الفرقان

في تفسير القرآن بالقرآن

الجزء السابع عشر

آیة الله العظمی الدکتور محمد الصادقی الطهرانی

[www.hakim-elahi.mihanblog.com](http://www.hakim-elahi.mihanblog.com)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 7

الجزء السابع عشر

سورة الإسراء

[سورة الإسراء (17): الآيات 1 الى 8]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏

سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى‏ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) وَ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً (3) وَ قَضَيْنا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (4)

فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولاً (5) ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (7) عَسى‏ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (8)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 8

سورة مثلثة الأسماء: الأسرى- بني إسرائيل- سبحان: تتبنى الرسالة الإسلامية بمقتضياتها و مخلفاتها كقاعدة أصيلة، بأصولها الثلاثة، و ما تتضمنه من ملاحم و بشارات و إنذارات مثلات، بدايتها «سبحان» لتأكيد و توطيد الرحلة المعراجية المنقطعة النظير، و نهايتها «الْحَمْدُ لِلَّهِ» تسبيح يضرب الى الحمد فانه تسبيح بالحمد و بينهما متوسطات! و في السورة قيلات خمس: إنها مكية إلا آيات: اثنتين او ثلاث او خمس او ثمان‏ «1» و لا توحي هذه او تلك بمدنيتها و لا تلمح إذ نزلت نظائرها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مدنيتان كما في روح المعاني هما «وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ...» «وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ ...» و عن بعضهم اضافة: «وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ ...» وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ...» و علّ الإخراج او منه الإخراج الى المدينة فهي مكية إذ تنبئ عن مستقبل، و عن الحسن الا «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ ...» «وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى‏ ...» «أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ...» «أَقِمِ الصَّلاةَ ...» «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ ...» و عن مقاتل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 9

في المكيات، ثم هي بين دالة على مكيتها او غير دالة على مدنيتها فقد تكون مكية كلها كما يقتضيه طبع الألفة و التأليف.

سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى‏ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1).

هنا إجمال عن الرحلة المعراجية الى أقصى اعماق الفضاء، و في التكوير إجمال اخصر مما هنا: «وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ» ثم ينجم تفصيلها في النجم: «وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى‏» مثلث بارع رائع عن هذه الرحلة الرهيبة الخارقة، يفسر بعضها بعضا و ينطق بعضها على بعض، مهما اختلفت فيها الروايات فلتعرض على القرآن لكي تنحو نحو القرآن.

«سبحان» خير بداية تتلو خير ختام‏ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» تبدأ بها سورة السبحان الأسرى- بني إسرائيل، كأليق حركة نفسية نفيسة تتسق مع واقع الاسراء وجوه اللطيف، و أحرى حالة روحية حيث يبلغ صاحبها إلى الأفق الأعلى المبين.

و «سبحان» علم للتسبيح منحصر في اللّه و منحسر عن غير اللّه، فانه التنزيه المطلق‏ «1»، فليختص بالنزيه المطلق، و ليس مطلق التنزيه حتى يشمل من سوى اللّه من الكاملين، و ان في أعلى قمم الكمال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الا «وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ...» «وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ ...» «وَ إِذْ قُلْنا لَكَ ...» «وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي ...» «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...» و آية الاستفزاز تشهد أنها مكية كآية الإدخال و سواهما لا تشهد انها مدنية. و عن قتادة و المعدل عن ابن عباس إلا ثماني هي‏ «وَ إِنْ كادُوا ... الى‏ «وَ قُلْ رَبِّ ..».

(1).

تفسير روح المعاني ج 15 ص 3 في العقد الفريد عن طلحة قال: سألت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) عن تفسير سبحان اللّه فقال: تنزيه للّه تعالى عن كل سوء.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 10

حيث الفقر ذواتهم، و النقص كيانهم فأنى لهم سبحان مطلق! و اللّه تعالى ذاته سبحان و صفاته سبحان و أفعاله سبحان، و هي هنا:

سبحان ذاته ان يعرج إليها عبده أي عروج كان، في المكانة أو في المكان، فانه مكن المكان فليس له مكان، و حد الحدود و الجهات فليست له حدود وجهات، و هو المنهي للنهايات و المغيي للغايات، فسبحان ذاته أن يكون منتهى العروج لعبده بأي معنى كان، اللهم إلا قمة المعرفة الممكنة باللّه:

«ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى. فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى‏»! ثم و سبحان أفعاله ان يعجز عن معراج عبده بجسمه و روحه إلى سماواته ليريه بعض آياته، كما يهرف به من لا يعرف قدرته تعالى على كل شي‏ء.

و سبحان صفاته عن ان يضن و يبخل عن هذه المكرمة الغالية لأول العابدين و سيد الخلق أجمعين، فسبحانه سبحانه سبحانه عن اي رين و شين في هذا البين.

ثم و «سبحان» تتكفل- ككل- بيان سلبية الصفات غير اللّائقات بجناب عزّه، كما «الحمد» بيان للثابتات اللائقات بحضرة قدسه.

الَّذِي أَسْرى‏ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ....

«اسرى» من «السّرى»: سير الليل- و لكنه مضمّن معنى الرفعة و العلو فسراة كل شي‏ء أعلاه، كسراة النهار: ارتفاعه، رفعة حسية او معنوية: «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» (19: 24) رفيعا عظيما هو المسيح (عليه السلام) كما السر و شجرة مستقيمة رفيعة، و قد تجمع «السرى» بين الرفعتين كما في سرى الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) سرى أرضية إلى القدس في سفرة جوية، ثم سماوية الى الأفق الأعلى مكانة و مكانا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 11

و إذا كانت السرى سير الليل فلما ذا هنا «ليلا» و كما في ثانية «فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ» (44: 23) و ثالثة «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» (11: 81) و من ثم في رابعة تأتي دون ليل‏ «وَ أَوْحَيْنا إِلى‏ مُوسى‏ أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ» (26: 52)؟؟.

نقول: إن جمع الليل الى السرى إذا كان مع عدم جمعه سيان كما في سرى موسى فالليل لمزيد الإيضاح‏ «1». ام و لكي يعرف أنها في ليلة واحدة لا ليال. و إذا- لا- كما في لوط: «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» قسم من الليل يؤمن فيه عن ملاحقة قومه، لا كله أو أية قطعة منه حيث الخطر حادق و العدو حاذق، فلهذه و تلك.

ام لهذه و سواها من نكات كما في الإسراء يجمعها: 1- دلالة على ان السرى كانت في ليلة واحدة حيث الوحدة لائحة من تنكير «ليلا» لا في ليال، حيث السرى وحدها أعم من ليلة او ليال. 2- و اشارة إلى انها كانت في قطع من ليلها دون تمامه، حيث القطعة مشار إليها بالتنكير «ليلا» كما الوحدة، فاستغراق الليل يقتضي «الليل» لا «ليلا» و 3- افادة للتعظيم حيث كانت ليلة العروج و كانت الإثنين و ما ادراك ما الاثنان؟ انه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ولد يوم الاثنين و بعث الاثنين، و عرج به الاثنين و خرج من مكة مهاجرا الاثنين و دخل المدينة الاثنين، و ارتحل الى رحمة ربه الاثنين، اثنينات ست تعم حياته، فسلام عليه يوم ولد و يوم بعث و يوم عرج و يوم هاجر و يوم مات و يوم يبعث حيا، ثم و هو هو الثاني في الكون و الكيان بعد الحضرة الإلهية، فاللّه هو الأول في مثلث الذات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما في‏ «وَ قالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ». قصدا الى ان نفي الاثنينية كاثبات الوحدة مقصود، دون ان يكون النفي هامشيا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 12

و الأفعال و الصفات، و احمد هو الثاني، و اين أول من ثان بون بين الوجوب و أرقى الإمكان:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ز احمد تا أحد يك ميم فرقست‏ |  | همه عالم در آن يك ميم غرقست‏ |

و ما هو موقف الباء في «بعبده» بعد أن «أسرى» متعد بالإفعال؟

هل إنها المزينة؟ و لا تعرف إلا في خبر ليس! أم لتأكيد التعدية أن سرى عبده انما هي منه تعالى تماما لا و من عبده؟ و لا يعهد هكذا تأكيد! و آياتها الاخرى في إسراء لوط باهله و موسى بقومه لا يناسبها تأكيد! أم ان مفعولها الأول محذوف كالذي عرج به كسفينته الفضائية «البراق» و الذي صاحبه كجبريل‏ «1» إذا فما هو المفعول الأول في نظيرتها «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ...

أَسْرِ بِعِبادِي ...» و لا يناسبها محذوف في لوط و موسى! ام إن سرى و اسرى بمعنى و هما متلازمتان‏ «2» مع الفرق أن أسرى لأول الليل و سرى لآخره‏ «3» و قد كان سرى الرسول في الثلث الأوّل من الليل؟- احتمالات: اخرها أولها و أولها آخرها و بينهما متوسطات.

و لماذا «بعبده» دون «محمد» او «رسوله- نبيه»؟

عله لأن «محمدا» دون وصف العبودية او الرسالة لا يحمل ما يتحمل هكذا معراج، و لا يذكر حين يذكر إلا للتعريف الاسمي بالرسول النبي.

ثم هذا العروج لم يكن رحلة رسالية، و إنما عبودية تتبنّى كما له في نفسه حيث‏ «دَنا فَتَدَلَّى. فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى‏ ... لَقَدْ رَأى‏ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى‏ ...» فالرحلة من الرب الى الخلق رسالة، و من الخلق الى الرب تكملة العبودية في ذاته لتكميل الرسالة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما عن ابن عطية-

(2)- كما عن أبي عبيدة-

(3)- و قال الليث: اسرى لاول الليل و سرى لآخره.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 13

ثم العبودية تزيل حجب النور و حجب الظلمة و الرسالة هي هي من حجب النور، و هو في مقام الدنو و التدلي يتخلى عن الحجب كلها و يتحلى بحلية العبودية في أعلى قممها «فَأَوْحى‏ إِلى‏ عَبْدِهِ ما أَوْحى‏» دون نبيه أو رسوله، وحيا سريّا سريّا يخصه دون سواه فسرى المعراج تقتضي سرى العبودية.

و من ثم ما احلى صيغة «عبده» و صبغته و صياغته ان لو لم تكن هنا لك رسالة، لم تكن هنا لاول العابدين صيغة أجدر من «عبده». ثم لا نجد في القرآن «عبدنا» و «عبده» إلا لصاحب المعراج‏ «1» اللهم الا لداود و أيوب و زكريا و نوح و لكنه في زكريا في ظل رحمة ربك: «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» (19: 2) و في داود تسلية لصبره: «اصْبِرْ عَلى‏ ما يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ» (38: 17) و في أيوب كذلك ذكرى لكي يصبر:

«وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى‏ رَبَّهُ ...» (38: 41) و في نوح تصبرا على طول المدة «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا» (54: 9).

فليس إذا «عبده» إلا محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) كأنه هو عبده لا سواه، لأنه جامع مجامع العبودية فهو «أَوَّلُ الْعابِدِينَ» كما و أنه هو رسوله لا سواه، كما تلمح لها آياتهما و تأتي في طياتها.

ثم و «عبده» تقريرا في مقام الإسراء إلى الدرجات العلى، و لكي لا تنسى هذه الصفة في زهوة الرحلة الفضائية و زهرة المعراج، و ليس لينساه الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ثم و لا يلتبس مقام العبودية بمقام‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). «وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى‏ عَبْدِنا» (2: 23) «وَ ما أَنْزَلْنا عَلى‏ عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ» (8: 41) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى‏ عَبْدِهِ الْكِتابَ» (18: 1) تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى‏ عَبْدِهِ» (25: 1) «فَأَوْحى‏ إِلى‏ عَبْدِهِ ما أَوْحى‏» (52: 10) «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلى‏ عَبْدِهِ آياتٍ» (57: 9).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 14

الألوهية كما التبس في العقائد المسيحية.

و أخيرا «عبده» توحي بأن هذه السرى كانت بجزئيه: روحه و جسمه، دون تقسم فلم يقل بروح عبده او بجسمه حتى يهرفه الهارفون و يخرفه الخارفون: ان المعراج كان روحيا، او برزخيا في رؤياه ام ماذا؟

و إنما «بعبده» فصاحب المعراج هنا «عبده» و في النجم «صاحبكم» «ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى‏» و في التكوير هو رسول كريم: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ» (23).

أ ترى بعد ان «صاحبكم» «عبده» «رسول» هي فقط روحه، و هو ما صاحبنا- فقط- بروحه، و ما رسالته- فقط- في روحه، و ما عبوديته- فقط- بروحه، ان هذه إلا هرطقة هراء و اللّه منها براء- ف «سبحانه سبحانه سبحانه من قيلات هي ويلات على الحق المبين فأين- تذهبون‏ «1»- و لماذا «ليلا» لا نهارا، ام مزدوجا، و النهار أبين للناظرين و أبعد إنكارا للناكرين؟ عله لأن الليل هنا كان نهارا هناك و لكي يرى من آيات ربه و ضح النهار، أم عله لأن الليل أهدء و أوقع لسرى المعراج، و ناشئته‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و ما في دعاء الندبة «و عرجت بروحه» غلط من الناقل و المنقول عنه و الصحيح «و عرجت به» كما في نسخة ثانية جعلها المحدث القمي فرعا، و الفرع أصلا. فأصله لا اصل له و فرعه هو الأصل! و قد يشبه أصله ما يروى عن عائشة «ما فقدت جسد رسول الله و لكن أسري بروحه» كما في الدر المنثور عنها- فقد كذبت مرتين: ان الاسراء كانت قبل ان يتزوجها بزمان فانها قبل الهجرة بسنة و زواجها بعدها بزمان، و ان الاسراء كان من المسجد الحرام لا بيت عائشة ام اي بيت، ثم و أحاديثنا متظافرة بالمعراج الجسماني و الروحاني معا دون تبعيض (راجع ج 26- 23- الفرقان ص 414- 415 و قد وافق عائشته زميلها معاوية في نكران المعراج الجسماني و معاوية كان يومئذ كافرا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 15

هي‏ «أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا» (73: 6) و أية ناشئة طوال حياته (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» انشأ و انشط من ناشئة المعراج فلتكن ليلا، و لا يحول الليل و لا أليل منه ظلمة دون رؤيته آيات ربه الكبرى بما أراه اللّه.

و السرى المعراجية تتبنى عروج الرسول الى أعلى الآفاق المعرفية، قبل ان تتبنى اعجازها، و لم يكن عروجه الى عمق الفضاء بالسرعة ما فوق الضوئية او علها الجاذبية التي تفوق الزمان لم يكن بالذي يرى فيصدق بما يرى، اللهم الا بما خبرهم بما رآه في سراه ما فوق الأرضية الى القدس من عير ام ماذا «1» فقد كان سرى الرسول سرى سريّا سريّا إلا فيما انبأ به ربه بما أنبأ و اللّه اعلم بسراه.

ثم «ليلا» توحي بوحدة المعراج اللهم الا ان يهرف بتكراره في نفس الليلة و لم يخلد بخلد قط، فالروايات الناقلة لتكراره تؤول او تطرح‏ «2» و روحه القدسية كانت عارجة دوما الى مقام قاب قوسين او ادنى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في روضة الكافي باسناده عن أبي عبد اللّه (عليه السّلام) قال: لما أسري برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أصبح فقعد فحدثهم بذلك فقالوا له: صف لنا بيت المقدس، قال: فوصف لهم و انما دخله ليلا فاشتبه عليه النعت فأتاه جبرئيل فقال: انظر هاهنا فنظر الى البيت فوصفه و هو ينظر اليه ثم نعت ما كان من عير لهم فيما بينهم و بين الشام ثم قال: هذه عير بني فلان يقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق او احمر، قال: و بعثت قريش رجلا على فرس ليردها، قال: و بلغ مع طلوع الشمس، قال قرطة بن عبد عمرو: يا لهفا ان لا أكون لك جذعا حين تزعم انك أتيت بيت المقدس و رجعت من ليلتك» (نور الثقلين 3: 102).

(2) كما

أورده القمي عن محمد بن الحسن الصفار باسناده عن أبي عبد اللّه (عليا السلام) قال: عرج بالنبي مائة و عشرين مرة ...»

أقول: و علها إلّا واحدة عروج روحي له (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و قد كانت حياته بهذا المعنى معارج.

و

في الكافي باسناده الى علي بن أبي حمزة قال: سئل ابو بصير أبا عبد اللّه (عليه السلام)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 16

اللهم إلا فيما تضطره رسالته ببلاغه و خلطه بالمرسل إليهم، حيث الرسالة- على قدسيتها- من حجب النور، و عله (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) كان يغان على قلبه و يستغفر ربه في كل يوم سبعين مرة من حجب النور.

... مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1).

منطلق المعراج مسجد هو أفضل المساجد في الأرض أم في الكون كله و قد جاء ذكره في الذكر الحكيم (15) مرة بكل تبجيل و تجليل ثم المسجد الأقصى و هو أقصى المساجد الى المسجد الحرام نجده مرة واحدة هي هاهنا بمواصفة واحدة: «بارَكْنا حَوْلَهُ».

و مهما اختلفت الروايات ان مبدأ المعراج بيت عائشة «1» ام بيت ام هاني‏ «2» ام المسجد الحرام‏ «3» فنص القرآن يؤيد ثالث ثلاثة فلا محيد عنه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فقال و انا حاضر: جعلت فداك كم عرج برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)؟

فقال: مرتين‏ (تفسير البرهان 3: 402)

أقول: علّ المرتين هما كما قال تعالى:

«وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى‏ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى‏» «حيث الروية المعراجية كانت مرتين لا اصل المعراج!

(1). كما نصت روايتها عن الدر المنثور «ما فقدت جسد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لكن أسري بروحه» كذبة مزدوجة!

(2) ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند و كأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، و أخرجه الحاكم و البيهقي عنه و رواه النسائي باختصار من رواية عوف عن زرارة بن اوفى عن أبي عباس.

(3)

تفسير القمي بإسناد عن أبي مالك الازدي عن إسماعيل الجعفي قال‏ كنت في المسجد قاعدا و ابو جعفر (عليه السلام) في ناحية فرفع رأسه فنظر الى السماء مرة و الى الكعبة مرة ثم قال: سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى‏ ...» و كرر ذلك ثلاث مرات ثم التفت الى فقال: اي شي‏ء يقولون اهل العراق في هذه الآية يا عراقي! قلت: يقولون اسرى به‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 17

و اما منتهى سرى المعراج هنا، فهل هو المسجد الأقصى الذي في القدس؟ و هناك مسجد الكوفة أقصى منه و عله أفضل! و بركات اللّه في المسجد الحرام أقدم من القدس و أكمل! و عرض المعراج في هذه الآية الخاصرة نصا و الحاصرة تقتضي التصريح بنهاية المعراج و غايته: السدرة المنتهى في الأفق الأعلى، دون متوسطه الأرضي فحسب، الأقصى الذي في القدس! ثم ما هي «آياتنا» في القدس التي لم يرها الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في البيت الحرام؟ هل هي قبور الرسل الإسرائيليين؟

و ليست من آيات اللّه، و إنما الرسل هم آيات اللّه و قد أراهم اللّه إياه إذ أخذ ميثاقهم‏ «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ ...» (3: 81) و أراه إياهم إذ أمران يسألهم: «وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» (43: 45) ثم الآيات التي أريها هي آيات ربه الكبرى في عمق الفضاء «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى‏ ... لَقَدْ رَأى‏ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى‏» فهذه الرؤية كانت في الأقصى التي في السماء عند السدرة لا التي في الأرض‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

من المسجد الحرام الى البيت المقدس فقال: ليس كما يقولون، و لكنه اسرى به من هذه الى هذه و أشار بيده الى السماء و قال: ما بينهما حرم‏ (نور الثقلين 3: 98)

و من حديث مالك بن صعصعة مطولا. ان المسجد الحرام مبدء المعراج متفق عليه. أقول: قد يعني هذه الأرض- و طبعا من المسجد الحرام- و الى هذه: عمق المعراج عند سدرة المنتهى- و ما بينهما حرم: ما بين المسجد الحرام و الأقصى الذي في السماء حرم- او ما بين الأقصى في الأرض و الأقصى في السماء حرم ام ماذا؟.

(1). و

فيه ايضا عن سالم الحناط عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال: المسجد الحرام و مسجد الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قلت: و المسجد الأقصى جعلت فداك، فقال: ذلك في السماء أسري اليه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقلت: ان الناس يقولون: انه بيت المقدس؟

فقال: مسجد الكوفة أفضل منه.

و مما يدل على وجود مسجد الكوفة حينذاك ما

رواه القمي في تفسيره باسناده الى أبي عبد اللّه (عليه السلام) في حديث فضل مسجد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 18

فلقد نرى أن المسجد الأقصى، أقصى المساجد في مطلق الكون من المسجد الحرام، و منتهى المعراج عند السدرة المنتهى، إذ «أوحي‏ إِلى‏ عَبْدِهِ ما أَوْحى‏ (10) لَقَدْ رَأى‏ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى‏» (18) بعد ما «دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى‏» (8- 9) دنوا و اقترابا من العلى الأعلى! هذا هو المسجد الأقصى الذي بورك حوله بركات معنوية معرفية.

و اخرى سواها أمثالها، فمن الأولى‏ «وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى‏ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى‏. عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى‏» 13- 15. و من الاخرى جنة المأوى و ما ينحو نحوها من آيات ربه الكبرى.

ف «الأفق المبين- الأفق الأعلى- سدرة المنتهى- جنة المأوى» في التكوير و في النجم- و البيت المعمور «1» في «الطور» علّها كلها تعابير عدة عن منتهى المعراج: المسجد الأقصى، و قد يسمى الذي في القدس بالمسجد الأقصى لمحاذاته الأقصى الأولى، و قد زاره الرسول (صلّى اللّه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الكوفة: «... حتى ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لما اسرى به قال له جبرئيل: تدري اين أنت يا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟ أنت مقابل مسجد الكوفان قال: فاستأذن لي ربي حتى آتيه فأصلي فيه ركعتين ...» المصدر 3:

130)، و أورده ابن سعد و ابو يعلي و الطبراني في حديث ام هاني مطولا «الكشاف ج 2 ص 505).

(1). للبيت المعمور مصاديق اخرى كالكعبة المشرفة و يقابله المسجد الأقصى في السماء السابعة فهو ايضا البيت المعمور كما

في نور الثقلين 5: 136 عن علي (عليه السلام) كما و هو منزل القرآن (5: 624) عن الصادق (عليه السلام) و في الدر المنثور عن شعب الايمان عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال: البيت المعمور في السماء السابعة

أقول: و أحاديث الفريقين مجمعة على انه في السماء السابعة، فليكن هو المسجد الأقصى في السابعة، عمر قبل عروج النبي ثم زادت عمارة بعروجه، ثم و من البيت المعمور بيت قلب الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) كما مضى عن علي (عليه السلام) فانه اشرف منزل للقرآن (راجع ج 27 ص 353- 354 من الفرقان).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 19

عليه و آله و سلّم) في رحلته المعراجية «1» إذا فالمسجد ان معنيان ب‏ «الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» فالذي في السماء أصل و غاية، و الذي في الأرض ممر إليه و ليس غاية.

و اية بركة عظمي و آية كبرى خير من الجنة المأوى. و ما رآه في الأفق الأعلى من آيات ربه الكبرى! «2» «لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

ثواب الأعمال عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انه قال في وصية له: ... اني لما بلغت بيت المقدس في معراجي الى السماء ... (نور الثقلين 3: 122)

و من الملاحظ في الروايات التي تنقل مروره في معراجه بالقدس انها كلها تقول بيت المقدس و لا مرة واحدة: المسجد الأقصى.

(2)

تفسير القمي في حديث المعراج من لفظ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لعلي (عليه السلام) ... فكشط لي عن سبع سماوات حتى رأيت سكانها و عمارها و موضع كل ملك منها ... و اما السادس لما أسري بي الى السماء جمع اللّه لي النبيين فصليت لهم و مثالك خلفي‏ «نور الثقلين 3: 102»

و من الآيات التي أريها الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) عترته المعصومون واحد بعد واحد كما

في عيون اخبار الرضا (عليه السلام) قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في حديث المعراج عن العترة ... يا محمد لو ان عبدا عبدني حتى ينقطع و يصير كالشن البالي ثم اتاني جاهدا بولايتهم ما أسكنته جنتي و لا أظللته تحت عرشي يا محمد أ تحب ان تراهم؟ قلت:

نعم يا رب! فقال عز و جل: ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا انا بأنوار علي و فاطمة و الحسن و الحسين و علي بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر و علي بن موسى و محمد بن علي و علي بن محمد و الحسن بن علي و الحجة بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري قلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة و هذا القائم الذي يحل حلالي و يحرم حرامي و به انتقم من اعدائي و هو راحة لاوليائي و هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين و الجاحدين و الكافرين ... (نور الثقلين 3: 119)

و

في الدر المنثور (4: 153- اخرج ابن عدي و ابن عساكر عن انس قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا: لا إله إلا اللّه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 20

: رؤية للمكون بقلبه بما لا فراق له و رؤية لكائناته ببصره لمتّسع مملكته.

و ترى لماذا «مِنْ آياتِنا» لا كلها لكي تستكمل الرؤية و تكمل الضيافة و الإضافة؟ ... الجواب في النجم: «لَقَدْ رَأى‏ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى‏» ف «من» تبعيض عن كل الآيات و «الكبرى» هي جل الآيات، فقد اصطفى الرب لمصطفاه كبرى الآيات و مصطفاها، و كفته رؤية الكبرى عما سواها: كبرى الآيات كيانا كالنبيين و الملائكة الكروبيين و كونا كسائر الآيات العظيمة الكونية و منها سائر خلق اللّه في سائر العوالم من سكان السماوات و عمارها «1».

أ ترى ان غاية المعراج فقط «لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا» لا إثبات رسالته ايضا كأية من آيات ربه؟ و من ثم ف «من» تبعض هذه الرؤية، في حين أري ابراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين.

إن الملكوت هي حقيقة الملك و ماهية تعلق الكون باللّه تعالى، و للملكوت درجات كما للملك درجات، و كما أن أهل الملك و الملكوت درجات فلكلّ درجة تخصه دون سواه، او تعمه و من معه في درجته، و صاحب المعراج أري الكبرى من درجات الملكوت: «لَقَدْ رَأى‏ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى‏» و ابراهيم و أضرابه ممن دون صاحب المعراج أري درجات أدنى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

محمد رسول اللّه أيدته بعلي»!. و منها النبيون و الملائكة الذين صلوا وراءه في البيت المعمور: كما رواه القمي باسناده الى أبي جعفر (عليه السلام) قال: كما أسري برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) الى السماء فبلغ البيت المعمور و حضرت الصلاة فاذن جبرئيل و اقام فتقدم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فصف الملائكة و النبيون خلف محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) (المصدر 130).

(1). مضى تحت الرقم 2 ص 7.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 21

منها، فانه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ»: كل ما يمكن ان يبان، و «بِالْأُفُقِ الْأَعْلى‏»: أعلى الآفاق المعرفية أماهيه لحد ما لها من سباق.

ثم ان من الملكوت ما ترى إذ ينظر إليها، للناس كل الناس: «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ‏ءٍ وَ أَنْ عَسى‏ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» (7: 185) «قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ» (23: 88).

و منها ما يختص بالمخلصين من عباد اللّه كإبراهيم: «وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ...» (6: 76) ان افول الآفلين دليل لا مردّ له على الفقر المطلق للكون و حقيقة تعلقه باللّه، إراءة و معرفة على مدرجة ابراهيم الخليل (عليه السلام).

و منها ما يخص صاحب المعراج حيث دنى فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى، إذ تخطى الكون بملكه و ملكوته، بعد ما اكتمل الرؤية و المعرفة فيهما و بهما، واري من آيات ربه الكبرى بصرا و بصيرة، ثم أراه ربه نفسه بأرفع درجات المعرفة الممكنة حيث دنى بالعلم‏ «1» و تدلى بالتجاهل عن نفسه‏

«و لو لا ان روحه و نفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه» «2»

و كما

قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «قربني ربي حتى كان بيني و بينه كقاب قوسين أو أدنى» «3»

«فلم يزل عن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال:

(2)

تفسير القمي باسناده الى الصادق (عليه السّلام) أوّل من سبق الى بلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و ذلك انه اقرب الخلق الى اللّه.

(3) تفسير روح البيان ج 9: 319 قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): و

في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 22

موضع و لم يتدل ببدن» «1»

«و كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به الى السماء: «تقدم يا محمد! فقد وطئت موطئا لم يطأ ملك مقرب و لا نبي مرسل ...» «2»

فأين ملكوت من ملكوت! و اين رؤية من رؤية و اين معرفة من معرفة! فلم يدن احد ما دناه الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و لا جبريل الذي صاحبه في شطر من سراه‏ «3».

انه لم تكن سرى المعراج إلا تشريفا للرسول محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و للملائكة و سكان السماوات و لكي يريه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ما أراه‏ «4» و يوحي اليه ما أوحاه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الدر المنثور (4: 158): اخرج الخطيب عن انس قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): لما أسري بي الى السماء قربني ربي تعالى حتى كان بيني و بينه قاب قوسين او ادنى لا بل ادنى ...».

(1). الاحتجاج للطبرسي في آية التدلي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام).

(2) تفسير القمي عن الصادق (عليه السلام).

(3)

في كتاب كمال الدين و تمام النعمة باسناده الى عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آباءه عن علي (عليه السّلام) عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في حديث طويل يقول في آخره: فلما انتهيت الى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدم يا محمد! ان هذا انتهاء حدي الذي وضعه اللّه لي في هذا المكان فان تجاوزته احترقت اجنحتي لتعدي حدود ربي جل جلاله فزج بي زجة في النور حتى انتهيت الى حيث ما شاء اللّه عز و جل في ملكوته فنوديت: يا محمد أنت عبدي و انا ربك فإياي فاعبد و علي فتوكل فانك نوري في عبادي و رسولي الى خلقي و حجتي في بريتي» (نور الثقلين 3: 125).

و

في اصول الكافي باسناده عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: لما عرج برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انتهى جبرائيل به الى مكان فخلى عنه فقال له: يا جبرئيل! تخليني على هذه الحال؟ فقال: امضه فو اللّه لقد وطئت مكانا ما وطأ بشر و ما مشى فيه بشر قبلك « (نور الثقلين 3: 129).

(4)

في كتاب التوحيد للصدوق باسناده الى يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لابي‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 23

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ترى من هو السميع البصير هنا؟ ثم ما هي الصلة بين السميع البصير و الرحلة المعراجية؟

قد يكون هو صاحب المعراج، فلأنه سميع يسمع الوحي الخاص في السدرة بأذن قلبه‏ «فَأَوْحى‏ إِلى‏ عَبْدِهِ ما أَوْحى‏» و يسمع محادثات الملاء الأعلى بسائر أذنه، كما يبصر من آيات ربه الكبرى ببصره‏ «لَقَدْ رَأى‏ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى‏» و يبصر ربه ببصيرته، «وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى‏» لهذا و ذاك أسري به، حيث يسمع ما لا يسمعه غيره بسمعيه، و يبصر ما لا يبصره غيره ببصريه.

و قد «لا» حيث الرسول و إن كان سميعا بصيرا و لكن «هو» الفاصل هنا توحي بالحصر، و لا حصر في السمع المطلق و بصره إلا في اللّه، و ان دخل في ضمنها رسول اللّه، فلان اللّه سميع بصير يجعل رسوله سميعا في معراجه بصيرا، بما يسمع من تطلبه، «رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» و يبصر من تأهله لهذه الرحلة المقدسة.

ثم‏ «السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» للّه ليستا مثلهما في سواه ف‏

«لم يزل الله عز و جل ربنا و العلم ذاته و لا معلوم و السمع ذاته و لا مسموع و البصر ذاته و لا مبصر و القدرة ذاته و لا مقدور، فلما أحدث الأشياء و كان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم و السمع على المسموع و البصر على المبصر و القدرة على‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام لاي علة عرج الله نبيه الى السماء و منها الى سدرة المنتهى و منها الى حجب النور و خاطبه و ناجاه هناك و الله لا يوصف بمكان؟ فقال: ان الله تبارك و تعالى لا يوصف بمكان و لا يجري عليه زمان و لكنه عز و جل أراد ان يشرف ملائكته و سكان سماواته و يكرمهم بمشاهدته و يريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه و ليس ذلك على ما يقول المشبهون سبحان الله و تعالى عما يشركون «نور الثقلين (3: 99).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 24

المقدور ...» «1»

ف‏

«هو سميع بغير جارحة و بصير بغير آلة، بل يسمع نفسه و يبصر بنفسه، ليس قولي: «انه يسمع بنفسه و يبصر بنفسه أنه شي‏ء و النفس شي‏ء آخر و لكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسئولا، و إفهاما لك إذ كنت سائلا، و أقول: يسمع بكله لا ان الكل له بعض و لكن أردت إفهامك و التعبير عن نفسي و ليس مرجعي في ذلك إلا الى انه السميع البصير، العالم الخبير بلا اختلاف الذات و لا اختلاف المعنى» «2».

فلقد

«سمي ربنا سميعا لا بجزء فيه يسمع به الصوت لا يبصر به، كما أن جزئنا الذي نسمع به لا يقوى على النظر، و لكن أخبر أنه لا تخفى عليه الأصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسميع و اختلف المعنى، و هكذا البصر لا بجزء به ابصر كما أنا نبصر بجزء منا لا ننتفع به في غيره، و لكن الله بصير لا يجهل شخصا منظورا اليه، فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنى» «3».

و هكذا تكون صفات اللّه الحسنى كافة، مجردة عما لمن سواه من حدود و قيود، ما يجب سلبها عن اللّه، إذ تختص بمن سواه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). اصول الكافي باسناده الى أبي عبد اللّه (عليه السلام) (نور الثقلين 3: 133).

(2) التوحيد للصدوق عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) (نور الثقلين 3: 134)

(3) المصدر عن الرضا (عليه السلام) و

فيه باسناده الى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يبصر و يبصر بغير الذي يسمع؟ قال: فقال: كذبوا و ألحدوا و شبهوا تعالى اللّه عن ذلك، انه سميع بصير، يسمع بما يبصر و يبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون انه بصير على ما يعقلونه؟ قال: فقال: تعالى اللّه- انما يعقل ما كان بصنعة المخلوق و ليس اللّه كذلك.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 25

ترى و لماذا يوصف ربنا بالسميع البصير دون الثلاثة الاخرى: اللامس- الشام- الذائق؟ عله لأنها تختص بحواسها الثلاث دونهما حيث يعمان حسيهما بعضويهما و دونهما من السمع و البصر المجردين، ثم السمع و البصر من كيفيات العلم دون الثلاثة الاخرى الخاصة بالحس، حيث لا ذوق و لا شم و لا لمس وراء الحس.

فمن الأسماء ما يخصه لفظيا كمعناه: الرحمن- الخالق ... و منها ما يخص خلقه فيها: المريض- النائم- الذائق- اللامس- الشام ... و منها ما نشارك ربنا في لفظه دون معناه: العالم- القادر- الحي- الموجود- السميع- البصير.

و الضابطة العامة في أسماءه أن تجرد عن معاني الخلق و صفاته الى ما يخصه إلها ليس كمثله شي‏ء.

ثم هذه الرحلة المنقطعة النظير للبشير النذير التي تفوق كل زمان و مكان رحلة مختارة من اللطيف الخبير، و هي آية عجيبة من آيات اللّه، ليريه من آياته الكبرى، مهما كانت آية- في هامشها- للمرسل إليهم، تفتح القلب على آفاق عجيبة في الكون، و تكشف عن الطاقات المخبوءة في كيان هذا الإنسان، و الاستعدادات الخارقة المنقطعة النظير التي يتهيأ بها لاستقبال الفيض المطلق من السميع البصير انه لطيف خبير.

وَ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2).

كتاب موسى هو التوراة و لماذا هنا الكتاب بدل التورات؟ عله لمحة من «الكتاب» بما كتب فيه و فرض عليهم. كما الكتاب ككل هو كل ما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 26

يثبت و يثبت. و هل أوتيه موسى هدى لبني إسرائيل دون سواهم؟ و هو ثالث أولى العزم من الرسل حيث تعم شرائعهم كافة المكلفين من الجنة و الناس أجمعين، فكيف اختصت هدى موسى بعض الناس: بني إسرائيل.؟

هذه الرسالة العظيمة كسواها من أولى العزم الخمسة الذين دارت عليهم الرحى‏ «1» تشمل المكلفين اجمع: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى‏ نُوراً وَ هُدىً لِلنَّاسِ ...» (6: 91) «يا مُوسى‏ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي ...» (7: 144) فرسالة موسى و هداه بكتابه هي للناس كل الناس، و الى فرعون و ملائه: «ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى‏ وَ هارُونَ إِلى‏ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ» (10:) 75) استكبروا مجرمين الا جماعة من ملائه السحرة: «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى‏» (20: 70) و إلا رجل من آل فرعون سوى السحرة: «وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ ...» (40:) 28).

و عل تركيزه هذه الرسالة العامة على بني إسرائيل في الكثرة المطلقة من مواردها، لأنهم كانوا هم أضعف المستضعفين في الأرض، و الرسالات الالهية تقصد المستضعفين أولا لتخليصهم، ثم المستكبرين لإبعادهم عنهم و من ثم هداهم أنفسهم- ثم من سواهم و هم القلة القليلة في تاريخ الرسالات.

و نرى في مثلث الدعوة للرسالات أن الزاوية الأولى هي القاعدة، ثم الثانية للإبقاء على هذه القاعدة ثم الثالثة لعموم الدعوة ثم و تأثير الدعوة في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ج 26- الفرقان- ص 73 في ضوء آية اولي العزم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 27

الأولى أولا و في الثالثة ثانيا و في الثانية ثالثا، كما في سحرة موسى و رجل من آل فرعون.

ثم السنة الرسالية تقتضي تركيزها على قوم الرسول أولا ثم منهم الى سواهم: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (26: 214) ثم أهل بلده و لا سيما الألد منهم‏ «وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا» (19: 93) «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ» (36: 6) و لا شك أن الرسالة المحمدية عالمية كما تنص عليها آياتها و تدلنا عليه غاياتها.

فموسى و كتابه هدى لبني إسرائيل أولا «1» و لفرعون و ملائه ثانيا، و لسائر الناس أخيرا.

أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا.

هل المخاطبون هنا هم بنو إسرائيل؟ و غيابهم في‏ «لِبَنِي إِسْرائِيلَ» يقتضي غيابهم هنا «ألا يتخذوا»! ام للمسلمين المخاطبين متنا في وحي القرآن؟ و ما هي الصلة بين هدى موسى و كتابه و الا يتخذ المسلمون من دون اللّه وكيلا؟ و هدى موسى تختص أمته!.

المخاطبون هنا هم بنو إسرائيل الحضور زمن الخطاب و على طول الزمن بعده فان رسالة موسى منذ بزوغه كانت هدى لبني إسرائيل السابقين على الدعوة الإسلامية، ألا يتخذوا هم و لا تتخذوا أنتم من دون اللّه وكيلا.

و الانتقال من الغيبة الى الحضور دأب يدأبه القرآن بمناسبات شتى.

و هل تختصر رسالة موسى و تحتصر في‏ «أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فضمير الغائب في «جعلناه» كما يرجع الى كتاب موسى كذلك الى موسى، فموسى بكتابه و كتاب موسى هدى دون انفصال.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 28

و في كتاب موسى أحكام أصلية و فرعية شتى؟.

أقول: ككل كلا، و أما كأصل يركز عليه الكل فبلى حيث الآلهة (العدة المعدة) و الوكالات الاخرى كانت في بني إسرائيل سنة دائبة، فلذلك أصبحت‏ «أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا» كأنها هدى موسى كلها لبني إسرائيل، فان عليهم ان يتبنوها لهداهم ككل، دون ان يتفلت اصل من الشريعة عنها أو فرع.

ثم و لا تختص شرعة موسى بهذه الأصالة، فإنها تعم الشرايع كلها فان الوكالات في أمر التكوين و التشريع ككل، و في سائر الوكالات كأصل إنما هي للّه سبحانه و تعالى عما يشركون.

تأتي الوكالة بمختلف صيغها سبعين مرة في الذكر الحكيم، محتصرة الربوبيات في اللّه تعالى: ان له الحكم لا سواه: «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» (12: 67) 2- وسعة العلم: «وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْ‏ءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا» (7: 89) 3- و الرحمة العامة: «هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا» (67: 29) 4- و الهداية: «وَ ما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ هَدانا سُبُلَنا» (14: 12) 5- و النصرة: «وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (3: 160) 6- و العزة 7- و الحكمة:

«وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (8: 49) 8- و المانع عن الضرر: «وَ لَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (58: 10) 9- و عن سيطرة الشيطان: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى‏ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (16: 99) 10- و في كل ما عند اللّه: «وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى‏ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى‏ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (42: 36) 11- و في رجوع الأمر كله اليه: «وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ» (11: 123) 12- و في سعة القدرة: و مطلق الملك و الملك: «وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا» (4: 132).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 29

ففي هذه الأمور تكوينيا و تشريعيا ينحصر التوكل على اللّه منحسرا عن سواه‏ «1». فلا توكل إلا على اللّه و لا اتكالية في الأمور على اللّه او سواه، و لا توكيل في وكالة غير اللّه إلا ناقصا ينحو نحو وكالة اللّه.

حيث الاتكال على اي كان يعني تخلي الإنسان عن أية محاولة فيما يتكل فيه، و البطالة في اي أمر للإنسان فيه حول و قوة محظور، حتى و ان كان على اللّه، كمن لا حراك له في الحصول على رزقه و يتكل على اللّه.

ثم التوكل على غير اللّه فيما يتوكل فيه دون اتكال يعني أن غير اللّه كاف و ليس به أيا كان، و انما يتوكل على اللّه، و لا يعني توكيل غير اللّه لا توكلا عليه و لا اتكالا، و انما مساعدة لك فيما لا يسعه حولك أم قوتك، ثم عليكما موكلا و وكيلا التوكل على اللّه فيما لا تقدران عليه او تقدران! «وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا».

ف‏ «أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا» تعم الوكالتين: 1 فيما يختص باللّه كما مضى في آياته 2- في كل أمر يعمله لك متعاملا معك غير اللّه، أن تراه مستقلا في حوله و قوته عن اللّه، ام غير مفتقر في بلوغ الغاية إلى اللّه و حتى فيما يبلغه الإنسان دون حاجة ظاهرة الى سواه.

«إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً» عله علة الأمرين، 1- ان اللّه حمل نوحا و المؤمنين معه، 2- و انه جعل دريته و من حمل معه هم الباقين.

و الشكور هي المبالغ في الشكر حسب المكنة و الاستطاعة كالعبد الشكور حيث يشكر في غاية العبودية، و هي البالغ في الشكر بمقتضى الرحمة: «وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» (42: 23) و أين شكور من شكور! على ان‏ «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ج 29- الفرقان- ص 217 على ضوء الآية: فاتخذه وكيلا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 30

(34: 13) و لقد كان نوح صبارا شكورا أن عاش قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، قوما كفورا و هو صبار شكور! ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً (3).

«ذرية» منصوبة على الإختصاص، أ فهذه الذرية هم- فقط- بنو إسرائيل؟ إذ «جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ» و هم محط الدعوة الموسوية؟ و ليسوا هم- فقط- ذرية من حملنا، و لا تخصهم الدعوة الموسوية، و هم ذرية ممن حملوا مع نوح لا «ذرية من»! أم هم بنو الإنسان من ذرية نوح طيلة الرسالة الموسوية؟ حيث‏ «وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ» (37: 77): فإن بني الإنسان كافة بعد نوح هم- فقط- من ذرية نوح؟ و كما يروى عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «1» و لكنهم ذرية نوح، لا «مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» و قد حمل معه من ذريته و من آمن به: «أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» (19: 58) فلو كانوا هم- فقط- ذرية نوح كان «و من ذرية نوح» ك‏ «مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ» فذرية آدم هم- فقط- ذرية آدم، و ذرية من حملنا مع نوح هم من ذريته و سواهم ممن حملوا معه: «قلنا احمل فيها من كل زوجين و أهلك إلا من سبق عليه القول و من آمن و ما آمن معه إلا قليل» (40: 11) و اللمحة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في الدر المنثور (4: 162) اخرج ابن مردويه عن عبد اللّه بن زيد الانصاري (رض)، قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» ما كان مع نوح الا اربعة أولاد: حام و سام و يافث و كوش فذاك اربعة أولاد انتسلوا هذا الخلق.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 31

المستفادة من‏ «مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» دون «ممن» تطارد احتمال أن بني الإنسان كافة بعد نوح إنما هم من ذريته. «وَ مَنْ آمَنَ» كانوا عقما! و الرواية تحمل على المصداق الأوضح الأعرف، و آية «الباقين» لا تعني ذريته الأولاد فحسب، و إنما من ركب سفينة النجاة: «وَ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» (76) يا ترى هم فقط ولده و بعض منهم لم يكن من أهله‏ «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ» (11: 46) و المؤمنون القلة الذين ركبوا معه قد نجوا، فأهله هنا هم كل من حمل معه، و هم كلهم ذريته‏ «وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ» (77) دون الهالكين: «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ» (83) فالأولون هم أهله و ذريته و الآخرون هم الهالكون و إن كانوا من ذريته‏ «1».

وَ قَضَيْنا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (4) فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا (5).

قضاء صارم بفساد عارم الى بني إسرائيل طول التاريخ الاسرائيلي منذ البداية في الأرض مرتين تصحب أخراهما «عُلُوًّا كَبِيراً» 1- فما هي القضاء؟ 2- و ما هو الكتاب؟ 3- و اين هي أرض الإفساد؟ 4- و ما هما المرتان؟ و العلو الكبير؟ 5- و من هم‏ «عِباداً لَنا» حيث يجوسون في الأولى خلال الديار، و يسوءون وجوههم في الثانية؟.

إن القضاء ككل- هي فصل الأمر، و قد يختلف الأمر بفصله حسب‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فلو كان اهله و ذريته- فقط- من نسله لكان الآخرون الهالكون هم الكافرون مع المؤمنين القلة الذين حملوا معه!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 32

اختلاف التعلقات: قضاه- فيه- عليه- له- به- إليه- منه- بين.

و هي بين فصل الأمر تكوينا او تشريعا او فعلا او تحويلا لنباء:

«فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ» (41: 12) تكوينا- «وَ قَضى‏ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» (17: 23) تشريعا- و «أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ» (28: 28) فعلا- و «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ» (33: 23) أجلا للموت و هو من فعل اللّه، ثم القضاء فيه: في القضية التي تقتضيها- و عليه: على المحكوم فيها، و له: المحكوم له- و به: بالحكم المقضي، و منه- من القاضي، و بين: بين المتقاضيين- سواء في التكوين او التشريع او فعل و أجل.

و اما القضاء اليه: رابع الأضلاع لمربع القضاء- فقد ينحصر في تحويل أمر تكوينا كالأجل: «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» (10: 11) أو تحويل لنباء فصل محتوم ايحاء، من مخلفات لسيئات: «وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» (15: 66) و قطع الدابر هذا من مخلفات اعمال قوم لوط المفسدين، حيث جزاهم اللّه بما أفسدوا، أو هو تحويل نباء فيه تهويل كما هنا: وَ قَضَيْنا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ ...» الحكم الفصل الإنباء إليهم في الكتاب:

التورات فلا هو تشريعي و لا تكويني، و انما قضاء علمي من أهم الملاحم التاريخية المنقطعة النظير يوحى إلى البشير النذير! و هل الكتاب هنا- فقط- التوراة حيث سبق ذكرها في‏ «وَ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ»؟ ام كل كتابات الوحي الإسرائيلي؟ او كل ما كتبه اللّه من كتاب قبل القرآن؟ نجد نبأ القضاء على مطلق الإفساد بالمهدي (عليه السلام) و أصحابه في عديد من كتابات الوحي: في العهد العتيق و الجديد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 33

و سواهما و قد يأتي نبأه في ختام البحث.

و أرض الإفساد هي الأرض كلها، دون اختصاص بالقدس او فلسطين، حيث الصيغة الخاصة به هي‏ «الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ»: «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» (5: 21) ام و لا اقل «أرضا» حتى تخص جانبا من الأرض: «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً» (12:) 9) «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها» (33: 27) ام «أرضكم» او «أرضنا» او «أرضهم» حتى تدل على اختصاص، دون «الأرض» و القائل هو اللّه خالق السماوات و الأرض، لا انسان الأرض الذي يسكن جانبا منها فيعني من «الأرض» سكناه او ما يملكه منها ام ماذا؟

فصيغة الأرض من صائغها اللّه ليست لتعني إلا الأرض كلها، أم و الأرضين السبع: «وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» (65: 12) اللهم إلا بقرينة حاضرة تخصها، و ليست هنا فلا اختصاص، فهما إذا إفساد ان في المعمورة كلها.

و هل المرتان هما- بعد- قتل زكريا و يحيى (عليهما السلام) «1»؟ و قتل كل نبي إفساد! و في أنبياء إسرائيل من هم أهم و أعظم منهما! فاذيعني الإفساد قتل نبي فلما ذا «مرتين» دون «الاف المرات»؟ و قد كانوا يقتلون‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و لم يرد فيه رواية في التفاسير الاثرية للفريقين إلّا روايات عن بعض الاصحاب او التابعين او المفسرين دون اي دليل اللهم الا ما

رووه عن علي (عليه السلام) كما في الدر المنثور 4: 163- اخرج ابن عساكر في تاريخه عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه‏ في قوله: لتفسدن في الأرض مرتين، قال: الاولى قتل زكريا (عليه السلام) و الاخرى قتل يحيى»

و هي على كونها رواية يتيمة لا توجد في كتب أحاديثنا مردودة بما ذكرناه في المتن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 34

في يوم سبعين نبيا ام ما زاد او نقص!.

فليكن الإفساد ان في الأرض شاملين كل المعمورة: إفسادا في الأنفس قتلا و إضلالا، و في الحرث و النسل: اقتصاديا، ثقافيا- أخلاقيا- سياسيا و حربيا ام ماذا، حيث يجعل المعمورة خربة بائرة لا تليق جوّا للحياة الإنسانية السليمة.

ان التاريخ الاسرائيلي على طوله هو تاريخ الفساد و الإفساد، كما في تلمودهم‏ «1» الا بعض ما كان زمن سلطات الرسالات الاسرائيلية السامية كموسى و يوسف و داود و سليمان و اضرابهم، ففي الأكثرية الساحقة زمانا و مكانا و إنسانا كانوا مفسدين ليل نهار، لا مرتين و لا آلاف فلا يحصيها الا اللّه! و لكن الإفساد- كما الإصلاح- العالميين لا يتيسران إلا في منظمة و سلطة و قيادة قوية، و لكي تعلو كافة النشاطات المضادة من حكومات و شعوب.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و اليهود اليوم هم الذين يديرون العالم كما يشاءون، يقوم الفيلسوف منهم فيحرك العالم بما يختلقه، جاء في التلمود و هو ملخص دين اليهود تفسيرا للتورات «ان الله فرقنا في الأمم لأنه يعلم اننا شعبه و أبناءه و ان العالم، الانساني كله خدم لنا، و الإنسان كله برزخ بيننا و بين البهائم نستعملهم للتفاهم بيننا و بين الحيوانات، فعلينا ان نجعلهم متشاكسين متقاتلين متعادين و نتدخل في سياساتهم و نجعلهم في حرب و خلاف دائمين لنربحهم في ضعفهم، و نزوج بناتنا لعظمائهم و نتدخل و ندخل في كل دين لنفسده على اهله و تكون لنا السيادة على هذا الإنسان الذي سخره الله لنا».

و لقد عملوا ما أملوا و بلغوا ما أملوا حيث أسسوا البلشفية في روسيا و منهم لينين، و ماركس الالماني الذي هو اصل البلشفية يهودي. و رؤساء جماهير امريكا كلهم من اليهود او عملائهم، و كذلك كفار الغرب و الشرق الطواغيت و زعماء مستسلمين من المسلمين هم من عملائهم كما نراهم اليوم يعملون لصالح الصهيونية العالمية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 35

و الصهاينة المجرمون كانوا- و قبل سنين- شذاذ الآفاق متفرقين في البلاد، ليست لهم دولة او دويلة، فما كانوا يستطيعون الإفساد في الأرض، حيث كانوا تحت مختلف السلطات.

و لأول مرة في تاريخهم شكلت دويلة في فلسطين بما تآزرت الطاقات من شراذمة الآفاق و الاستعمار الشرقي و الغربي، و بما تساهلت او ساعدت دويلات عربية حتى احتلت فلسطين لحد غربي نهر الأردن و كما

يروى عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقي النهر و هم غربيه» «1».

فلقد اختلقت دويلة العصابات الصهيونية منذ زهاء أربعين سنة، ثم احتلت بلادا اخرى ضمتها إليها بعد سنين بما فيها القدس، ثم أخيرا أعلنت ان القدس عاصمة إسرائيل، ثالوث منحوس من إفسادهم العالمي الأول، انطلاقا من فلسطين، و إطلاقا الى المعمورة كلها و حتى متى؟ لا ندري.

هذه هي المرة الأولى من إفسادهم مرتين، و طبعا بلا علو كبير- على علوه- فان كبيره للثانية، و في الأولى يساعدها او ينضم إليها او يستجيبها و يحرضها سائر سواعد الكفر و الفساد في المعمورة، لا سائر اليهود و النصارى و سواهم من الكفار و الملاحدة و المشركين فحسب، بل، و ممن يتسمون المسلمين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الطبقات 7: 422 عن السكوني قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أقول: الدجال هنا هو إسرائيل شر دجال طول التاريخ، و نهر الأردن بين فلسطين و الأردن، و نرى الآن ان غربي النهر محتل إسرائيلي و المسلمون في شرقيه، و لم يسبق لحد الآن في التاريخ الاسلامي احتلال الاراضي الغربية لنهر الأردن من قبل غير المسلمين الا قبل سنين من قبل الدجال الاسرائيلي و من الطريف جدا صدق الصفة الخاصة للدجال المعروف في قائد الحرب الاسرائيلي ب (موشي دايان) فانه ممسوحة العين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 36

و ايضا: من دويلات خليجية أماهيه التي هي ويلات على الإسلام و المسلمين العائشين تحت نيرهم، و كما نراهم يساعدون البعث الكافر ضد ايران المسلمة التي رفعت و لأول مرة في تاريخ الإسلام- راية الجمهورية المجيدة الإسلامية، فجند الكفر جنوده من مشارق الأرض و مغاربها على الحدود العراقية الايرانية و لكي يربح صدام صدام على هذه الجمهورية المباركة و تتخلص من حكم الإسلام الصارم‏ «1».

فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا (5).

وعد الأولى هو موعد الانتقام منهم في المرة الأولى من إفسادهم العالمي، حيث تشمل زبانيته مشارق الأرض و مغاربها، و علنا نعيش الآن في وعد الأولى، في بداية قضينا فيها على المكية الجبارة في ايران، و أخذنا في محاربة المستعمرين شرقيين و غربيين فأرسلوا علينا ذنبا من أذنابهم أحمق و اشرس عملائهم «صدام».

يا ترى من هم‏ «عِباداً لَنا» غيرنا و من يلحق بنا و يستجيبنا من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لقد جاءتنا انباء موثقة من جيشنا الباسل الاسلامي في المحمرة: خونين‏شهر شهر، و سواها من الحدود الايرانية العراقية ان المساعدات في شتى الحاجيات الحربية تأتي للعراق من (106) دولة، و ان المحاربين في خطوط النار ضد الجمهورية الاسلامية الان من (25) دولة شرقية و غربية، نقل لي جماعة من هؤلاء اننا أسرنا في المحمرة (35) منهم و كانوا من (17) دولة كمصر و الأردن و السعودية و المغرب و امريكا و انكلترا و روسيا و فرنسا و إسرائيل ...، و ان المحاربين الاردنيين في الجبهات بلغوا زهاء 000/ 40 نفرا، و هكذا يجند الكفر جنوده ضد جمهوريتنا، اللهم انصرنا عليهم بالمهدي و آبائه الطاهرين (عليهم السلام).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 37

المسلمين الغيارى الأحرار؟ هل هم بعد بخت النصر الوثني مع جنوده الوثنيين ام هم من خيرة عباد اللّه الصالحين؟.

إن هذه الصيغة سائغة لعباد اللّه الخصوص، مصوغة لمن يختصون عبوديتهم و عبادتهم باللّه دون سواه، ففي العباد المعصومين نجد هكذا فرادى ك‏ «عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» (19: 2) و «عَبْدَنا داوُدَ» (38: 17) و «عَبْدَنا أَيُّوبَ» (38: 41) و «نوح» (54: 9) و ك «عبده» الرسول الأعظم محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) كما هنا، و جماعات: «وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ. إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ» (38: 47).

ثم و نجد «عبادا لنا» فيمن دون المعصومين صيغة مختصرة منقطعة النظير تخص هؤلاء المبعوثين مرتين لدحر السلطات الصهيونية، طالما «عبادي» يعمهم و سواهم من المكرمين: «يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» (43: 68) «فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» (39: 17).

و كما في مثلث العباد «عبادنا» هم المصطفون: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ. ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (35: 32) حيث السابق بالخيرات من العباد هم «عبادنا» و الظالم لنفسه «عباد الشيطان» و المقتصد بين ذلك عوان. و نحن لا نجد في الطول التاريخي و العرض الجغرافي الإسلامي «عبادا لنا» خيرا من المسلمين الثوار الايرانيين بمن يلحق بهم و يستجيبهم من سائر المسلمين في هذه المعركة المصيرية بين مطلق الإسلام و مطلق الكفر، اللهم إلا بعضا ممن كانوا مع الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و علي و الحسين (عليهم السلام) ام من ذا؟ و لكنهم عاشوا قبل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 38

المرتين من الإفسادين العالميين، و نحن نعيش المرة الأولى منهما، فلنكن نحن «عبادا لنا» و قد يعبّر عنهم الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) باخوانه فوق أصحابه! في‏

قوله (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «اللهم لقني إخواني» «1»

«و يا ليتني قد لقيت إخواني» «2»

و هم رفقاءه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «3»

«الواحد منهم له اجر خمسين منكم» «4».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

البحار 52: 123- 8 ير باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)، ذات يوم و عنده جماعة من أصحابه: «اللهم لقني إخواني» مرتين- فقال من حوله من أصحابه: اما نحن إخوانك يا رسول اللّه؟ فقال: لا- إنكم اصحابي و إخواني قوم في آخر الزمان آمنوا و لم يروني لقد عرفنيهم اللّه بأسمائهم و اسماء آبائهم من قبل ان يخرجهم من أصلاب آبائهم و أرحام أمهاتهم، لأحدهم بأشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، او كالقابض على جمر الغضاء أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم اللّه من كل فتنة غبراء مظلمة».

و

فيه (122) 4- ج عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين (عليه السّلام) قال: تمتد الغيبة بولي اللّه الثاني عشر من أوصياء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و الأئمة بعده. يا أبا خالد! ان اهل زمان غيبته القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره أفضل اهل كل زمان، لأن اللّه تعالى ذكره أعطاهم من العقول و الافهام و المعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، و جعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بالسيف، أولئك هم المخلصون حقا و شيعتنا صدقا و الدعاة الى دين اللّه سرا و جهرا، و قال: انتظار الفرج من أعظم الفرج».

و

فيه (125) 12- ك: عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه قال قال النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لعلي (عليه السلام): يا علي! و اعلم ان أعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي و حجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض».

(2). (132) 36- جاء، باسناده عن عوف بن مالك قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ذات يوم: يا ليتني قد لقيت إخواني ...».

(3)

المصدر (129) 25 غط باسناده عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): طوبى لمن أدرك قائم اهل بيتي و هو مقتد به قبل قيامه يتولّى وليّه و يتبرّأ من عدوه، و يتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي و ذووا ودّي و مودتي و أكرم امتي علي (و أكرم خلق اللّه عليّ).

(4)

الغيبة للطوسي (290) عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له اجر خمسين منكم قالوا يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) نحن كنا معك ببدر و أحد و حنين و نزل فينا القرآن؟ فقال: انكم لو تحملتم لما حمّلوا لم تصبروا صبرهم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 39

و لئن قلت إن هؤلاء حسب النص يبعثون‏ «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما» و أني لكم انكم في زمن وعد الأولي و عقابها و إفساد هذه المرة بعد لم يشمل المعمورة كلها حتى يحين حين وعدها.

علة لأن المرة الأولى بادئة منذ زمن، و لان في وعدها يبعث «عبادا لنا» و تصدق هذه الصيغة لأول مرة علينا، فلنكن نحن هم، و إلا فليقل «عبادا لنا» كذا و كذا حتى لا يشملنا، ثم البعث آخذ فينا موقعه لما قطعنا ذنبا طويلا من أذناب إسرائيل «الشاه» و نعيش الآن قطع أذناب اخرى حتى نصل الى صاحب الأذناب «إسرائيل».

فكما أن إسرائيل تفسد في الأرض بأذنابه، بخيله و رجله، برجاله و رجّاله من مشارق الأرض و مغاربها، فليكن الانبعاث في‏ «عِباداً لَنا» نابعا منا نابغا كأصل، و مستأصلا كل الفساد بمن يستجيبنا من مسلمي المعمورة الأحرار.

لهؤلاء الثوار الأماجد حسب النص مثلث من الميزات: 1- «بعثنا ...» 2- «عبادا لنا» 3- «أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» و النتيجة:

«فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ» حيث يحققون الوعد: «وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا»!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 40

و البعث الرباني و لا سيما في جمعية الصفات «نا» يعني بعثا ربانيا ايمانيا صامدا صارما كالبعثات الرسالية. فالبعث الصهيوني في الإفساد العالمي يتطلب بعثا ربانيا يكافئه في الإصلاح العالمي: بعث عتيد فيه باس شديد!، و من قبل تأذن اللّه نوعية هذا البعث: «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» (7: 167): سلسلة من عباد اللّه الصالحين في حلقات متواصلة متفاضلة طول التاريخ الإسرائيلي لمن يسومهم سوء العذاب، ثم و يختص «عبادا لنا» بأخلصهم في هذا البين و أشدهم بأسا حيث يقضى بهم على الإفسادين العالميين.

فمن هؤلاء الخصوص؟ هم‏

«قوم يبعثهم اللّه قبل خروج القائم فلا يدعون وترا لآل محمد إلا أخذوه‏ «1» قتلوه‏ «2» و تفجرة هذه البعثة المظفرة علّها من قم‏

ف‏

«هم و الله اهل قم» «3»

بمن يقودهم من رجله القائد الأعظم الخميني نصره اللّه و كما

يروي عن الإمام الرضا (عليه السلام): «رجل من اهل قم ...» «4».

هؤلاء هم الأولون في وعد الأولى، ثم الآخرون في وعد الثانية

«هم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير البرهان عن العياشي عن الامام الصادق (عليه السلام) و الوتر بفتح الواو و كسره: الفرد او ما لم يتشفع و الذحل او الظلم فيه هو المقصود هنا.

(2) تفسير نور الثقلين 3: 18 عن روضة الكافي عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا ...».

(3) تاريخ قم تأليف حسن بن محمد القمي نقلا

عن جماعة من اصحاب الامام الصادق (عليه السلام) قالوا: كنا حضورا عنده (عليه السلام) فتلا: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا ...» قلنا: جعلنا فداك من هؤلاء؟ قال: هم و اللّه اهل قم.

(4) ياتي تفصيل هذا الحديث.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 41

القائم (عليه السلام) و أصحابه» «1».

ف «عبادا لنا» يقتسمون الى من‏ «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا» و من ثم من‏ «لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» و كما الإفساد الثاني أقوى و علوه أعلى من الأول و اشجى، كذلك‏ «عِباداً لَنا» فيه هم أحق و أحرى، كما أن قائدهم المهدي (عليه السلام) إمام لقائد المرة الأولى و لكافة المكلفين- اللهم عجل فرجه و سهل مخرجه.

ثم لا نجد البعث في آياته إلا بعث الرسل او بعث الأموات فالثاني تكويني و الأول تشريعي يعم المرسلين دون سواهم، اللهم إلا من ينحو منحاهم كطالوت: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً» (2: 247) ثم اللهم إلا من يسومهم سوء العذاب دوما و أخيرا الا «عِباداً لَنا» أخصاء ثم لا بعث إلا رساليا إلا في الغراب: «فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ» (5: 31) خارجا عن الشرعة التشريعية.

و ذلك البعث أيا كان، رسوليا او رساليا في غير الرسل يتضمن حركة قوية صارمة تقضي على الحياة العارمة، فكما بعث الأموات يحييهم، كذلك ذلك البعث يحيى ميت البلاد، و يحرر مستضعفي العباد عن سلطان الطواغيت بصورته العامة المستمرة ب «من يسومهم» و الخاصة بالمرتين ب «عبادا لنا».

ثم «عبادا لنا» هي ك «بعثنا» تخصهم دون سواهم! و كذلك‏ «بَأْسٍ شَدِيدٍ» إذ لا نجدها إلا في الحديد: «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» (57: 25) ام في بأس اللّه: «وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا» (4: 84)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين عن تفسير العياشي عن حمران عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 42

اللهم إلا فيما يدعيه من لا يصدّقون: «قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ» (27: 33) و قد تبين أن بأسهم بائس أمام بأس سليمان (عليه السلام) و أخيرا من يحذّر المخلفون من الاعراب عنهم: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى‏ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ...»

(48: 16) و هذا هو البأس الشديد لأعداء الإسلام منقطع النظير في التاريخ و عله بأس اليهود في المرتين‏ «1»، يقابله بأس شديد من‏ «عِباداً لَنا» بأس شديد ببأس شديد، و اين شديد من شديد، ثم لا نجد شديدا للمصلحين في تاريخ الرسالات ام للمفسدين إلا هذا و ذاك.

فهذا المثلث المجيد، المنقطع النظير بزواياه، يقضي على الصهاينة المجرمين، حيث يجوسون خلال الديار.

... فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا.

فالجوس هو الطلب باستقصاء في تردد حتى يتوسط المطلوب، و هؤلاء المؤمنون الأشداء يطلبون أولئك المفسدين في المرة الأولى باستقصاء و تردد خلال ديارهم و سائر الديار، دارا بعد دار ليجازوهم ما أفسدوا و يستأصلوهم ما وجدوهم، و نحن هم إنشاء اللّه! حيث لا ندع وترا لآل محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) إلّا أخذناه او قتلناه، و الصهيونية العالمية بمن معها من كفرة البلاد او مسلميهم المستسلمين، هم كلهم وتر لآل محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و نحن- بإذن اللّه- سوف نطأ ما فيها و من فيها بلا تهيب! و إننا في هذه المرة ندخل المسجد الأقصى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع سورة الفتح الجزء 26 من الفرقان ص 182 على ضوء آية البأس الشديد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 43

منتصرين و كما في آية الانتصار الثاني‏ «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ...»!

ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (7).

هذه الآيات من الملاحم الغيبية الثانية إبناء هاما عن آخر الزمن، حيث الظلم و الفساد يعم المعمورة كلها على سلطة عالية صهيونية عالمية و عملائها و أذنابها في مشارق الأرض و مغاربها، و من ثم يقضى على هذه السلطة بفرقة ثانية هي أسنى و أسمى من الأولى من «عبادا لنا» و هم القائم (عليه السلام) و أصحابه و تتحقق الدولة الأخيرة الإسلامية العالمية و الى يوم القيامة.

إن لقيام صاحب الأمر شرطين اساسيين سلبا و إيجابا كما هما لهذه الدولة الإسلامية ب «عبادا لنا» قبلها، فالسلبي هو سلب الحق و العدل عن المعمورة بمن يعيثون في الأرض فسادا، و الايجابي هو تحصّل «عبادا لنا» تبلورا من مسلمي المعمورة المجاهدين المناضلين، و لكي يحصل جند المهدي الأصلاء العشرة آلاف، و أصحاب ألويته الثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا حيث يقودون الوية الدولة المهدوية و هم من اقسام مملكته في كل المعمورة.

عمال الناحية السلبية لتأسيس هذه الدولة هي الصهيونية العالمية و اضرابها و كما في المرة الأولى، و عمال الناحية الايجابية لها هم خيرة من «عبادا لنا» كما في الأولى، أشداء خيرين و جاه أشداء شر يرين.

و كما ان الصهيونية العالمية تعمل و تتعامل في عيث الإفساد العالمي في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 44

المرتين هاتين- و على طول الزمن- فضرورة المكافحة الإسلامية تقتضي النضال المكافح المتغلب من مسلمي المعمورة تبلورا في «عبادا لنا» في المرتين هاتين- و على طول الزمن- لتكون كلمة اللّه هي العليا و كلمة الذين كفروا السفلى: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ» (2: 251) و إذا الأرض فسدت حيث «عبادا لنا» يستضعفون و لا يناصرهم أمثالهم من مسلمي البلاد، فعليهم ان يثوروا و يفوروا جميعا و لكي يجوسوا خلال الديار و يسوءوا وجوههم، «وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا».

فهناك على طول الخط «مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ» بعثا إلهيا الى يوم القيامة، ثم «عبادا لنا» في مرتي الإفساد العالمي، كما- علّنا- نعيش الآن أولاهما و تتلوها الثانية بقيام صاحب الأمر صلوات اللّه عليه.

و أنباء و ملاحم السلطة الصهيونية في غلبهم و أنهم سيغلبون و فيرة عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و اهل بيته الكرام، نستعرض هنا منها نماذج:

قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي فتعال فاقتله» «1»

و هذا يشمل مرتي الوعد في إفساديهم العالميين.

و

قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي من ورائي فاقتله» «2».

و

قال علي (عليه السلام): «ثم ليستعملن عليكم اليهود و النصارى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). صحيح مسلم ج 8 ص 188 و البخاري 2: 171.

(2) سنن الترمذي ص 325.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 45

حتى تنفوا- يعني الى أطراف الأرض- ثم لا يرغم الله إلا بآنافكم ثم و الله ليبعثن الله رجلا منا اهل البيت يملأها عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا» «1».

و لا واقع لهذه الملحمة طول التاريخ الإسلامي لمثناه الاستثمار و الاستعمار اليهودي النصراني إلا عند احتلال فلسطين بما تناصرا و تعاضدا- و تخاذل المسلمون- حيث نفي الفلسطينيون الى أطراف الأرض، و من ثم سائر المسلمين بين منفيين عن أراضيهم او عن سلطاتهم الإسلامية، عائشين تحت السلطة الصهيونية الصليبية، ثم السلطة الإسلامية عليهما مرتان أخراهما هي العالمية الكبرى الدائبة، كما الإفساد الثاني عالمي، و هذه الخطبة تبشر بالثانية، و سائر ما ننقله من الملاحم شاملة لهما «2». او تخص الثانية «3».

و كما الآيات الأولى أنذرت بالمرة الأولى في الإفساد العالمي ثم بشرت ان «عبادا لنا» يجوسون خلال الديار كذلك هذه الثانية تنذر أشد من الأولى و تبشر ببشارة فوقها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الكني للدولابي ج 2 ص 157 عن شيخ من النخع سمعت عليا (عليه السلام) يقول و هو على المنبر: ...

(2) و منها اضافة الى ما مضى في الرقم (1 و 2) ما

رواه احمد في مسنده (2:

417) عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر و الشجر فيقول الحجر او الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ...».

(3)

في الفائق (2: 219- غر) خطب الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فذكر الدجال و قتل المسيح له قال: فلا يبقى شي‏ء مما خلقه اللّه تعالى يتوارى به يهودي الا انطق اللّه ذلك الشي‏ء لا شجر و لا حجر و لا دابة فيقول يا عبد اللّه المسلّم هذا يهودي فاقتله الا الغرقدة فانها من شجرهم فلا تنطق، و ترفع الشحناء و التباغض و تنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليدة في فم الحنش فلا يضره».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 46

إنذارات و تبشيرات جزاء وفاقا و العاقبة للتقوى:

فمربع الإنذار: 1- لتفسدن، 2- ثم رددنا ... 3- و أمددناكم ...

4- و جعلناكم ...

و مربع: 1- فجاسوا، 2- ليسوؤا وجوهكم، 3- و ليدخلوا المسجد- 4- و ليتبروا ...

هذا مربع التبشير بفضل اللّه و رحمته، فترى كيف يضيف اللّه الى نفسه ثالولا من الإنذار؟

عله حتى لا يقال أنهم غالبون على أمر اللّه حيث يكرون على «عبادا لنا» المبعوثون من اللّه، ذلك بان اللّه لا يحول دون ثالوثهم جبرا عليهم في حولهم و حيلهم حيث الدار دار الاختيار و ليس الإجبار، و مجرد أنه لا يحول بينهم و بين كرتهم هذه يسمح بهذه الإضافة «رددنا ..» و كما في اضرابها:

«أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» (19: 83) «وَ كَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها» (6: 123) «وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» (6: 112) إرسال و جعل تكويني في اختيار دون إجبار «1» لا تشريعي حيث الأمور كلها راجعة الى اللّه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فإذ لا مؤثر في الوجود إلا اللّه فكل اثر و تأثير فيه اذن من اللّه، فان كان خيرا فالأذن في مثلث: التشريعي- التكويني توفيقا و التكويني في الجزء الأخير من العلة التامة، و ان كان شرا فإلا خير فقط، بعد ما قدم المكلف كل حوله و قوته و لم يبق من مقدمات فعله الا اذنه تعالى تكوينا، فان لم يأذن إذا أصبح المكلف مسيرا مجبورا في ترك الشر، و ان اذن حيث يجعل المكلف مجبورا في فعل الشر كان ظلما، و العدل العوان بين ذلك هو أن يكون اذنه تعالى بعد تكملة مشيئة المختار بما قدم من مقدمات اختيارية، فهو تعالى يأذن هنا كجزء من اجزاء العلة التامة، و ما دام الفعل مسنودا الى اختيار من الفاعل و ان كان واحدا بالمائة من مقدماته يعتبر ذلك الفعل اختياريا، و ان كان العقاب و الثواب حسب درجات الاختيار فان أفضل الأعمال أحمزها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 47

و صادرة عنه، و كما يليق بساحة قدسه دون تغلب لأحد على اللّه لا في خير و لا في شر.

إن الإمهال الإلهي لعمال الإفساد امتهان و استدراج للمفسدين و امتحان للمؤمنين: «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» (21: 35).

و تلكم الكرة الأخيرة على «عبادا لنا» علها ليست لأنهم يتساهلون في نضالهم. و إنما لتقللهم في عدتهم و عدتهم، و تعلل من تتوجب عليهم نصرتهم من مسلمي البلاد من ناحية، ثم من أخرى الانتفاضة العامة من الصهيونية المتبقية خلال الديار، بمن يستجيب لهم من سائر الكفار، حيث يجند الشيطان جنده و يحزب حزبه للمرة الثانية و الاخيرة و يضاف الى الإفساد العالمي من الصهيونية العالمية علو كبير، حيث الإفساد في الأرض مرتان و العلو مرة واحدة و هي في الثانية: «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً» لا علوين، و هو في الإفساد الثاني، إذ هم فيه‏ «أَكْثَرَ نَفِيراً»!.

و ترى كيف بإمكان اليهود هذان الإفساد ان العالميان و العلو العالمي في الأخير، و هم مضروب عليهم بالذلة و المسكنة؟ و هل الدولة القوية و السيطرة العالمية بعد ذلة و مسكنة، و هم ممدود لهم بأموال و بنين و هم بعد اكثر نفيرا؟! و اللّه تعالى يعد المسلمين في تصريحة قاطعة: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ» (3: 108)؟.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فإذ ينسب اللّه شرا الى نفسه لا يعني إلا سلبا و إيجابا: انه لم يحل بين العبد و شره‏ «وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» و إنه اذن له أخيرا في فعله تكوينا لا ينافي الاختيار، فليس اللّه فاعلا لشره و لا معاونا له شريكا في شره. و انما لم يمنع اجبارا و اذن له اختيارا: اذن في اختياره السوء ان يتحقق ما يريده باختياره السوء، «وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 48

بلى! إنهم مضروب عليهم بالذلة حيث ما ثقفوا إلّا بحبل من اللّه و حبل من اللّه، و «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً» و لكن شريطة تحقيق شروط من اللّه و كما قال اللّه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ (96) .. وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (97) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (98) وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا .. (99) وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (101) وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ .. (103) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. (107) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (108) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» (3: 109).

فهناك ذلة بترك الحبلين و مسكنة على اية حال لكفرهم بآيات اللّه و قتلهم الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون، فلو أنهم تمسكوا بالحبلين لزالت عنهم الذلة و المسكنة تماما، أو انهم تمسكوا بحبل واحد و كما هم متمسكون الآن بحبل من الناس‏ «1» لزالت عنهم الذلة على حدّ تمسكهم و تماسكهم مع بعض، ثم المسكنة هي حالة الاحتياج و ان كانوا في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و ان كان حق التمسك بحبل من الناس ان يتبنى حبلا من اللّه، و لكن لحبل من الناس متحللا عن حبل اللّه اثره و جاه تارك الحبلين تماما.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 49

غنى ظاهرية اقتصاديا و كما هم لزامهم هذه الحالة و ان ملكوا ثروات العالم.

ثم المسلمون المخاطبون «لن يضروكم» انما هم المخاطبون بسابقة الآيات الصابغة لهم بصبغة: 1- الا يطيعوا الكفار 2- و يعتصموا بحبل اللّه جميعا و هو الاعتصام بالحبلين جميعا 3- و يتقوا اللّه حق تقاته 4- و يعتصموا باللّه 5- و تكن فيهم أمة داعية آمرة ناهية 6- و لا يتفرقوا!.

و اما المسلمون المستسلمون أمام الاستعمار الكافر، التاركون للحبلين، ام ماذا؟ مما خوطبوا به في هذه الآيات فلا يصدق لهم «لن يضروكم» فالمتمسك بحبل واحد و ان كانوا هودا يتغلب على تارك الحبلين و ان كانوا مسلمين، و كما انتصرت إسرائيل على المسلمين العرب المستسلمين حيث انتكس هؤلاء عن حقيقة إسلامهم و تمسك اليهود بحبل من الناس فيما بينهم أنفسهم بتدعيم الوحدة بينهم و سائر المستعمرين شرقا و غربا، فلم يكن ذلك الانتصار و تأسيس دويلة العصابات، و تلكم الانتكاسة من المسلمين العرب الا جزاء وفاقا لأولاء و هؤلاء و اللّه من وراء القصد ف‏ «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ..»

(4: 123).

«ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» كرة للصهيونية العالمية على «عبادا لنا»: رجوعا عليهم بتغلب أشد من الأولى و أنكى، حيث العدة و العدة لهم في هذه المرة أقوى: «وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً»: منهم، و منكم في المرة الأولى و ليس إمدادهم بأموال و بنين و جعلهم اكثر نفيرا حيث تسببا رد الكرة عليهم، إلا مسارعة لهم في إساءة وجوههم: «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ» (23: 56) و إلا إملاء لهم ليزدادوا إثما: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ» (3: 178).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 50

كما و ان جعلهم اكثر نفيرا في حربهم «عبادا لنا» ليس إلا إملاء لهم و املالا، و كل ذلك امتهانا لهم، و امتحانا ل «عبادا لنا» و لأنهم قلّوا و أولئك كثروا، و أنهم تخلى عن مناصرتهم مسلموا البلاد، و أولئك تماسكوا أكثر من المرة الأولى و «لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ. مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ» (3: 197).

ثم ورد الكرة عليهم لا يعني القضاء الحاسم على «عبادا لنا» و انما قضاء مالردح قليل من الزمن، حيث العلو الكبير يختصهم فلا يبقي لهؤلاء الأكارم إلا علوا دون الكبير، حفاظا على كيانهم، و تحلّلا عن السيطرة الإسلامية على المعمورة كلها، عكس ما مضى في المرة الأولى، حيث الجوس في البلاد ما عنى القضاء الحاسم على الصهيونية، فلذلك تراها تنبو بعد ذلك و تنموا حتى ترد الكرة عليهم.

ثم‏ «لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ» في وعد المرة الآخرة، راجع الى «عبادا لنا» مهما قضى نحبه البعض منهم و خلفه آخرون من أجناسهم دون أشخاصهم، فهذه الدولة الحقة التي يؤسسها «عبادا لنا» في المرة الأولى سوف تبقى و من ثم تضعف برد الكرة ردحا من الزمن، و تتصل بالدولة الأخيرة المهدوية و كما يشير الى ذلك‏

باقر العلوم (عليه السلام): «كأنى بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا و لا يدفعونها إلا الى صاحبكم قتلاهم شهداء أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). غيبته النعماني ص 145- ابو خالد الكابلي عن الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 51

و قد ينطبق تماما على ثورتنا الإسلامية المجيدة المظفرة في ايران حيث قمنا ثلاث قومات‏ «1» و في الثالثة أقمنا الجمهورية المباركة الإسلامية بقيادة القائد الأعظم نائب الامام السيد روح اللّه الخميني أطال اللّه بقاه، و سوف لا ندفع هذه الراية المظفرة إلا الى صاحبنا صاحب الأمر الحجة بن الحسن المهدي صلوات اللّه و سلامه عليه و ستأتيكم روايات كهذه و أوضح في انباء

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و في ج 13 ص 221 ملحقات احقاق الحق شرح لآية اللّه العظمى المرعشي باب يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه:

قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و أله و سلّم) يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه‏

أقول: و علّهم هؤلاء الثوار المخلصون الذين يعبّدون الطريق للمهدي عليه السلام و يناسب الثورة المباركة الاسلامية في ايران.

رواه جماعة من الاعلام منهم الحافظ و ابن ماجة القزويني في سنن المصطفى ج 9 ص 519 و العلامة الحمويني في فرائد السمطين مخطوط و الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد ج 7 ص 318 مكتبة القدسي بالقاهرة و العلامة السيوطي في الحاوي للفتاوى ص 60 ط القاهرة و العلامة ابو عبد اللّه محمد بن عثمان البغدادي في المنتخب من صحيحى البخاري و مسلّم ص 183 مخطوط و العلامة النابلسي في ذخائر المواريث ج 1 ص 292 مكتبة القدسي بمصر و العلامة النبهاني في الفتح الكبير ج 3 ص 420 ط مصر و العلامة القرطبي في التذكرة ط مصر و الحافظ الكنجي الشافعي في البيان في اخبار آخر الزمان ص 314 ط النجف و العلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص 98 ط عبد اللطيف بمصر و العلامة المولى على المتقي الهندي في منتخب كنزل العمال المطبوع بهامش المسند ج 6 ص 29 الميمنية بمصر و العلامة الشيخ عبد النبي بن احمد القدوسي الحنفي في سنن المهدي ص 572 مخطوط.

(1). القيام الاول- في هذا الوجه- كان في الثاني عشر محرم الحرام- 15 خرداد 1341 حيث سقط من جرائه عشرات الآلاف من القتلى، و الثاني في عام 1356 حين استشهد نجل نائب الامام السيد مصطفى الخميني و استشهد الآلف، و الثالث حين انتقل نائب الامام من النجف الى باريس و اضطر محمد رضا بهلوي الى تسليم الأمر اليه ثم يبقى هو على عرشه دون اية مسئولية، و لكن الامام لم يقبل منه حتى ثار الثورة الثالثة حيث فر الشاه و من ورائه رئيس وزرائه و أسست الجمهورية الاسلامية بقيادة نائب الإمام روح اللّه الخميني.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 52

و ملاحم غيبته ان شاء اللّه تعالى.

و قد يناسبها ما يروى عن الرسول (ص صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حيث يفسر آية الكرة بقيام القائم (عليه السلام)، و يفسر «عبادا لنا» بسلمان الفارسي و من كان مثله ممن يوالي القائم بحقيقة المعرفة «1» و عل دمج المرتين ببعض هنا و هناك يشير الى قلة الفصل بينهما، و ان الأولى:

إفسادا او إصلاحا، لتعبيد الطريق إلى الثانية، اللهم عجل لنا الثانية بما تعبّده في الأولى.

.. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها .. (7).

في هذه الفترة من الكرة. إِنْ أَحْسَنْتُمْ‏ «دون إفساد و علو» أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» حيث لا يقفى عليكم إن أحسنتم فأصبحتم عدولا مسلمين، ام بقيتم هودا مستسلمين، «وَ إِنْ أَسَأْتُمْ» و أفسدتم في الأرض بعلو كبير «فلها» حيث «عبادا لنا» لكم بمرصاد صارم ف‏ «لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ».

إنه ليست الحسنى بالتي تحسن حالة طائفة فحسب دون أخرى، او

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما

في تفسير البرهان 2: 406- ابو جعفر محمد بن جرير في مسند فاطمة باسناده الى محمد بن خلف الطاهري عن زادان عن سلمان- في تعريفه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بالأئمة الاثني عشر، ثم محمد بن الحسن الهادي المهدي الناطق القائم بحق اللّه ثم قال يا سلمان انك مدركه و من كان مثلك و من توالاه بحقيقة المعرفة قال سلمان فشكرت اللّه كثيرا ثم قلت يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)! و اني مؤجل الى عهده ثم قال يا سلمان اقرء «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما .. ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ .. قال سلمان: فاشتد بكائي و شوقي ثم قلت يا رسول اللّه بعهد منك فقال:

اي و اللّه الذي أرسل محمدا بالحق مني و من علي و فاطمة و الحسن و الحسين و التسعة و كل من هو مني و معنا و فينا اي و اللّه يا سلمان و ليحضرن إبليس و جنوده و كل من محض الايمان محضا و محض الكفر محضا حتى يؤخذ بالقصاص و الأوتار و الاثوار و لا يظلم ربك أحدا و تحقق تأويل هذه الآية: «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 53

السيئة تسي‏ء جماعة دون آخرين، فالضابطة العامة التي لا تتغير في الدنيا و الآخرة، و التي تجعل عمل الإنسان كله له دون سواه، بكل ثماره و مخلفاته، و تجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، انها «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها» دونما استثناء.

.. فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (7).

وعد الآخرة، و ما يدريك ما وعد الآخرة؟ إنها ليست الآخرة في الاخرى. بل هي الآخرة من مرتي الإفساد في الدنيا: الأرض كلها، حيث تجمع الصهيونية العالمية بين الإفساد و العلو الكبير العالمي بأذنابها الكفار امّن ذا؟؟ من بني الإنسان المتخلفين عن شرعة اللّه، إذ تتذرع بثالوثها لتجعل الأرض فاسدة كاسدة لا تصلح فيها حياة انسانية إلا على تخوف و حذر. ثم لا يطول فسادهم العالمي الا ردحا من الزمن حيث تتفجر الجماعات البشرية ب «عبادا لنا» في وجه الظلم و الطغيان، و ليحققوا مثلثا من النكال و الإصلاح: ليسوؤا و ليدخلوا- و ليتبروا!.

و هذه هي المرة الثانية و الأخيرة من دولة الباطل حيث يقضى عليها بالمهدي (عليه السلام) و أصحابه- و على طول الخط- كما قضي عليها بأضرابهم ردحا من الزمن، و علّ الدولتين متصلتان على فترة في ضعف بينهما للأولى و هنا أوامر ثلاث يحققها زعيم الدولة الإسلامية الأخيرة بأصحابه الأكارم «فبه يملأ الله الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا».

«لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ»: كما اسأتم وجوه الإنسانية و أفسدتم وجه الحياة، ف «عبادا لنا» من تبقّى من المرة الأولى و من يستحصل حتى المرة الثانية من أضرابهم و هم أقوى و اهدى سبيلا، هؤلاء الأكارم مبعوثون مرة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 54

ثانية بأمر اللّه أن يواجهوهم في وجوههم كل الوجوه و بكل الوجوه، استئصالا لنائرتهم، و اسودادا لوجوههم و سيادة لوجوه المؤمنين و اشراقة دائبة لا تنقضي.

«لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ» قتلا و تشريدا و تنكيلا و تذليلا، و ليس قتل الإبادة فقط- إذ يتبقى منهم جماعة لا حيلة لهم و لا حول و لا قوة، عائشين حياة الذل و العداء فيما بينهم: «وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (5: 64) و هذه لليهود، و لا يعني سعي الفساد منهم إلا لحد المرة الثانية من إفساديهم العالميين، و سائر إفسادهم لهذا الحد، حيث هم كإخوانهم النصارى لا قوة لهم في هذه الدولة: «وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى‏ أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» (5: 14) فالطائفتان باقيتان على قلة من عدة و عدة الى يوم القيامة، عائشتان العداوة و البغضاء فيما بينهم، و لكنهم تساء وجوههم في افسادهم الثاني، فلا تضر عداءهم بينهم الدولة الإسلامية العالمية.

و بعد ما ساءت وجوههم و شاهت و انهارت شوكتهم و علوهم الكبير:

2 «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ»: يدخل «عبادا لنا» المسجد الأقصى دخولا لا خروج عنه، حيث يصبح مقرا لزعيم الدولة الإسلامية القائم المهدي (عليه السلام) «كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ» حيث‏ «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ»، و اين مرة من مرة؟! فأول مرة من مرتي الإفساد التي- علّنا- نعيشها الآن سوف ندخل المسجد الأقصى و نبقى فيه مسيطرين ردحا من الزمن، ثم نخرج فنرجع اليه زمن المهدي (عليه السلام) مرة ثانية و على طول الخط اللهم عجل فرج صاحب الأمر.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 55

3- «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» و التبر هو الإهلاك الكبير حيث لا يبقي و لا يذر وترا من المفسدين و ليس هو هلاك عمال الفساد فحسب، فانه هلاك فسادهم أيضا: تبارهم بفسادهم و من تبار العمال: «وَ كُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ كُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً» (17: 7) و من الأعمال: «إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» (7: 139) و هؤلاء هم العاكفون على أصنام لهم.

و تبار الصهيونية في هذه المرة بالمهدي (عليه السلام) و أصحابه هو تبار استئصال لهم بفسادهم و علوهم الكبير، هلاك كبير لعالين و علوّ كبير، ف «ما علوا» كما يعني علوهم‏ «1» كذلك يعني أشخاصهم في علوهم استئصالا للشرور و الشريرين.

فقد يستأصل الشر بآثاره و الشرير باق يجدده، و قد يستأصل الشرير و الشر باق بمخلفاته، «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا» ليس تتبيرا لأحدهما و الآخر باق و إنما «تتبيرا» مستأصلا للشر و الشرير معا بحيث لا يجدد ابد الآبدين و دهر الداهرين، و كذلك تكون ثورة المهدي (عليه السلام) و دولته.

ثم هؤلاء الصهاينة المجرمون بمن معهم من أوتارهم و اذنابهم و أحزابهم، انهم يقتسمون في تبارهم أقساما، فمنهم من يقتل و منهم من يتوب، و منهم عوان بين ذلك: لا يقتل و لا يتوب، و انما يستأصل شره‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و «ما» هنا مصدرية تؤول مدخولها الى المصدر «علوّهم» و النتيجة ليتبروا علوهم- و كذلك هي موصولة: ليتبروا الذين علوا في الدرجة التي علوا- تتبيرا و هما معا هنا معنيان: تتبيرا لهم على علوهم و لفسادهم.

و انما «ما» دون «من» و ذووا العقول يتطلبون «من»؟ لامرين: ان المصدرية هنا معنية كما الموصولة فلتكن «ما» و انهم اراذل لحد البهائم بل هم اصل فلا يستحقون «من» الخاص بذوي العقول.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 56

و إفساده، فلا تبقى عدائهم إلا فيما بينهم كما مضت آية إلقاء العداوة بين اليهود و إغرائها بين النصارى الى يوم القيامة، ثم لا يعودون و لن الى إفساد عالمي:

عَسى‏ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (8).

فالرحمة المرجوة لهم تشمل رحمة الغفران بالايمان، ثم رحمة الإبقاء لهم بلا ايمان و لا إفساد، فان عادوا في الإفساد عاد لهم التبار الهلاك هنا ثم في الآخرة «وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً»: سجنا يحصرهم.

الفصل بين الافسادين‏

: و ترى هل الفصل بين الافسادين بالدولة الإسلامية طائل ام ماذا؟

عله طائل لمكان‏ «ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ..» حيث توحي بالتراخي ثم لا تراخي للإفساد الثاني لمكان «ف»: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ..» فبين الوعدين بون متراخ للدولة الإسلامية الاولى التي نعيشها، و الدولتان متصلتان على فترة قصيرة حيث الإفساد الثاني، فيها فتور للدولة الأولى، و قوة للإفساد الثاني أقوى من الأول، و كما يستفاد من أحاديثنا حول الافسادين و الدولتين.

و ترى كيف تجتمع الدولة الإسلامية الأولى مع الإفساد العالمي الثاني في فترته القصيرة؟

انها تبقى لحد الحفاظ على اصل كيانها، و لكي تستحصل البقية الباقية من جنود المهدي (عليه السلام) و أصحاب الألوية.

و كما أن دولة المهدي (عليه السلام) أقوى و أسمى و أشمل دولة الهية طول تاريخ الرسالات كذلك أصحاب ألويته هم سلالات و حصالات‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 57

الرسالات، من أنبياء و أولياء و أصحاب الرسل و أفضل من تربى في حجور الرسالات.

فمن الرسل داود و سليمان و دانيال ام من ذا؟

و من اصحاب الرسل يوشع وصي موسى و شمعون وصي عيسى (عليه السلام) و من أصحاب محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) سلمان الفارسي و مالك الأشتر النخعي و ابو دجانة الانصاري ام من ذا؟

«وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى‏ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» و هم خمسة و عشرون رجلا.

و من هم و كم هم من قوم عيسى؟ لا ندري ...

ثم و من هم و كم هم من امة محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) علهم أو انهم اكثر الأمم، و يستحصلون طول الرسالة الإسلامية حتى قيام القائم (ع).

و قد يكون قائد ثورتنا الإسلامية السامية في ايران منهم و من أفاضلهم بعد أنبياءهم و أئمتهم.

و حيث اللواء لغويا هو قائد الجيش و متصرف اللواء، فهؤلاء الثلاثمائة و الثلاثة عشرا هم قواد الجيش و متصرفوا ألوية الدولة الإسلامية،

«فإذا اجتمعت له هذه العدة من اهل الإخلاص اظهر امره» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بحار الأنوار 52: 283 ج 10- ك: السناني عن الاسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني قال قلت لمحمد بن علي بن موسى ...

و

في سفينة البحار 2: 703 عن عبد العظيم الحسني قال‏ قلت لمحمد بن علي بن موسى (عليه السلام) اني لأرجو ان تكون القائم من اهل بيت محمد (ص) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا فقال: يا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 58

و اصول الجيش بداية هذه الدولة هم عشرة آلاف، قلوبهم كزبر الحديد يعطى لكل واحد منهم قوة أربعين رجلا، ثم اللاحق الملتصق بهم لا ندري عدتهم و عدتهم، و لكنهم كمجموع- هم دون ريب- أقوى جيش في تاريخ الرسالات و الإنسان عدة و عدة ايمانية و حربية عادلة، اللهم اجعلنا منهم.

انباء الدولة الإلهية و ابنائها في الكتاب.

عل الكتاب في‏ «وَ قَضَيْنا إِلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ» يعني عامة التورات لا خاصتها، فهي كعامة تشمل العهد العتيق كله، بما فيه كتابات الوحي التوراتي بتوراتها كأصل و بسائر أسفارها كفروع لها، ام و كتابات الوحي الانجيلي ايضا أصولا و فروعا، حيث الشرعة التوراتية و الإنجيلية شرعة واحدة اللهم إلا شذرا مما في الإنجيل من تحليل للبعض مما حرم على إسرائيل من محرمات ابتلائية مؤقتة، او يعني الكتاب مطلق كتابات الوحي قبل القرآن.

و مما تبقّى من هذه الأنباء هي التي تؤكد قيام صاحب الأمر استئصالا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

أبا القاسم ما منا إلّا قائم بأمر اللّه عز و جل و هاد الى دينه و لكن القائم الذي يطهر اللّه به الأرض من اهل الكفر و الجحود و يملأها عدلا و قسطا هو الذي يخفي على الناس ولادته و يغيب عنهم شخصه و يحرم عليهم تسميته و هو سمي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و كنيه و هو الذي تطوى له الأرض و يذل له كل صعب يجتمع اليه أصحابه عدة اهل بدر ثلثمائة و ثلاثة عشر رجلا من اقاصي الأرض و ذلك قول اللّه عز و جل:

«أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ» فإذا اجتمعت له هذه العدة من اهل الإخلاص اظهر امره فإذا كمل له العقد و هو عشرة آلاف رجل خرج بإذن اللّه عز و جل فلا يزال يقتل اعداء اللّه حتى يرضى اللّه عز و جل ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 59

لجذور الظلم و الطغيان‏ «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» «1» ما جاء في زبور داود مرارا و تكرارا كما في تصريحة قرآنية: «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» (21: 106).

و «عِبادِيَ الصَّالِحُونَ» هنا، هم من «عبادا لنا» ها هنا حيث يرثون الأرض بعد إفسادها الثاني، و الزبور هو زبور داود (عليه السلام) فانه بعد الذكر: «التوراة» حيث تذكر نفس البشارة بشتى العبارات، و لقد كتب اللّه تعالى هذه البشارة الاسرائيلية من عتيقها و جديدها.

ففي الزبور 37: 1- 34- تتكرر هذه البشارة كالتالي:

فان الأشرار يستأصلون و أما الذين يرجون الرب فإنهم يرثون الأرض (10) ... أما الآثمة فيعاقبون و ذرية المنافقين تستأصل (29). و الصديقون يرثون الأرض و يسكنونها الى الأبد (43) انتظر الرب و احفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض عند استئصال المنافقين تنظر (34).

و الآية الاخيرة بشارة لداود أنه من ورثة الأرض في الدولة الحقة الأخيرة و قد يكون من الثلاثمائة و الثلاثة عشر أصحاب الأولوية و يحق له!.

القائم في اشعياء تصطلح في ملكه السباع:

كما في (اشعياء 11: 1- 10): و يخرج قضيب من جذريسي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع الى كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) من 25- 270- تجد فيه تفاصيل ما جاءت في كتابات الوحي منذ خمسين قرنا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 60

و ينمي فرع من أصوله (1) و يستقر عليه روح الرب روح الحكمة و الفهم و روح المشورة و القوة و روح العلم و تقوى الرب (2) و يتنعم بمخافة الرب و لا يقضي بحسب رؤية عينيه و لا يحكم بحسب سماع أذنيه (3) بل يقضي للمساكين بعدل و يحكم لبائسي الأرض بإنصاف و يضرب الأرض بقضيب فيه و يهلك المنافق بنفس شفتيه (4) و يكون العدل منطقة حقويه و الحق حزام كشحيه (5) فيسكن الذئب مع الحمل و يربض النمر مع الجدي و يكون العجل و الشبل و المعلوف معا و الأسد يأكل التبن كالثور (6) و يلعب المرضع على حجر الأفعى و يضع الفطيم يده في نفق الأرقم (8) لا يسيئون و لا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر (9) و في ذلك اليوم اصل يسي‏ء القائم راية للشعوب إياه تترجى الأمم و يكون مثواه جيدا (10).

هذه الآيات تفسرها التي سلفت من الزبور، دالة على أن القضيب من جذريسي أبي داود ليس هو داود، فان داود من أصحاب ألويته في دولته، ثم و لم يعهد اصطلاح البهائم و امتلاء الأرض من معرفة الرب و استئصال الشر في اي زمن رسالي على طول الخط و لا اي ملك الهي، اللهم إلا ما وعدناه و نرجوه زمن «القائم» من جذريسي حيث ينتسب من ناحية الأم الى يسي أبي داود (عليه السلام) و يضرب الأرض بقضيب فيه حيث يقوم بالسيف في آخر الزمن!.

و في اشعياء 65: 11- 25- تنديد شديد ببني إسرائيل لإفسادهم و يهددهم بالتبار و انتقال دولتهم الى «عبيدي» و هم «عبادا لنا» في الاسراء:

و أنتم الذين تركوا الرب و نسوا جبل قدسي الذين يهيئون المائدة لجد و يعدون المزوج لمناه (11) فأعينكم للسيف و تجثون جميعكم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 61

للذبح. لأني دعوت و لم تجيبوا. تكلمت و لم تسمعوا و صنعتم الشر في عيني و ما لم أشأ إياه آثرتم (12) لذلك هكذا قال السيد الرب: ها إن عبيدي يأكلون و أنتم تجوعون. عبيدي يشربون و أنتم تعطشون (13) عبيدي يفرحون و أنتم تحزنون. عبيدي يرنمون من طيب القلب و أنتم تصرخون من كآبة القلب و تولون من انكسار الروح (14) و تخلفون اسمي لمختاري و يقتلك السيد الرب و يدعو عبيده باسم آخر (15) فالذي يتبارك بهذا الاسم على الأرض يتبارك بآله الحق و الذي يقسم به على الأرض يقسم بآله الحق لان المضايق الاولى قد نسيت و سترت عن عيني (16) لأني ها أنا ذا أخلق سماوات جديدة و أرضا جديدا فلا تذكر السالفة و لا تخطر على البال (17) بل تهللوا و ابتهجوا الى الأبد بما أخلق فإني ها أنا ذا أخلق أورشليم ابتهاجا و شعبها سرورا (18) و ابتهج باورشليم و ابشر بشعبي و لا يسمع فيها من بعد صوت بكاء و لا صوت صراخ (19) لا يكون هناك طفل أيام و لا شيخ لم يستكمل أيامه لأن الصبي يموت و هو ابن مائة سنة و الخاطئ يلعن و هو ابن مائة سنة و يبنون بيوتا و يسكنون فيها و يغرسون كروما و يأكلون ثمرها (21) لا يبنون و يسكن آخر و لا يغرسون و يأكل آخر لأن ايام شعبي كأيام الشجر و مختاري يتمتعون بأعمال أيديهم لا يتبعون باطلا و لا يلدون للرعب لأنهم ذرية مباركي الرب و أعقابهم معهم قبل أن يدعوا أجيب و فيما يكلمون أستجيب (24) الذئب و الحمل يرعيان معا و الأسد كبقر يأكل التبن. أما الحية فالتراب يكون طعامها، لا يضرون و لا يفسدون في جبل قدسي (25).

هذه الانباءات هي آتية في أنباء الإسلام للدولة المهدوية حذو النعل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 62

بالنعل و القذة بالقذة «1»، و كما أجمل عن نبأها في آيات الإسراء- تأمل.

و في (دانيال 12: 1- 3): و في ذلك الزمان يقوم ميكائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك و يكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الزمان. و في ذلك الزمان ينجو شعبك كل من يوجد مكتوبا في الكتاب (1) و كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية و بعضهم للعار و الرذل الأبدي (2) و يضي‏ء العقلاء كضياء الجلد و الذين جعلوا كثرين أبرارا كالكواكب الى الدهر و الأبد (3) ..

و فيها تصريحة الرجعة العامة و كما في الصادقي (عليه السلام) «2» ثم في الآية (13) «و أنت اذهب الى الانقضاء و ستستريح و تقوم في قرعتك الى انقضاء الأيام» و علّها اشارة الى كونه كداود من أصحاب ألوية الإمام المهدي (عليه السلام) الثلاثمائة و الثلاثة عشر رجلا.

أنباء و ملاحم غيبته في الروايات الإسلامية:

من خطبة قصيرة لعلي امير المؤمنين (عليه السلام) حول مستقبل الفتن:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في أحاديثنا: ينزل المهدي الى بيت المقدس- تخرج له الأرض أفاليذ- أفلاذ كبدها- تصطلح في مكة السباع- اقل الاعمار مائة سنة حتى ان الرجل ليرى مائة نسمة من نسله- يستأصل الفساد عن الأرض.

و هناك انتقالان من بني إسرائيل الى بني إسماعيل- انتقال الشريعة بمحمد (صلّى اللّه عليه و أله و سلّم) و انتقال الملك بالمهدي من آل محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية).

(2)

عنه (عليه السلام) يرجع من الأموات من محض الايمان محض من محض الكفر محضا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 63

«فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، و لا ترد لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة، و يحفزها قائدها، و يجهدها راكبها، أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم، يجاهدهم في الله قوم أذلة عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، و في السماء معروفون، فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له و لا حس، و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر و الجوع الأغبر» «1».

و

يروى عن جعفر بن محمد (عليه السلام) «... و أهل مدينة تسمى الزوراء. تبنى في آخر الزمان يستشفون بدمائنا و يتقربون ببغضنا يوالون في عداوتنا و يرون حربنا فرضا و قتالنا حتما» «2».

و

«لما رجع امير المؤمنين (عليه السلام) من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال: إنها الزوراء فسيروا و جنبوا عنها فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة» «3».

و

من خطبة له (عليه السلام) «... لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام و فحص براياته في ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرته و اشتدت شكيمته، و ثقلت في الأرض وطأته، عضت الفتنة أبناءها بأنيابها، و ماجت الحرب بأمواجها، و بدا من الأيام كلوحها، و من الليالي كدوحها، فإذا أينع زرعه و قام على ينعه، و هدرت شقاشقه، و برقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، و اقبلن كالليل المظلم و البحر الملتطم، هذا- و كم يخرق الكوفة من قاصف، و يمر عليها من عاصف، و عن قليل تلتف القرون‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الخطبة 101 من نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي له عن علي (عليه السلام‏

(2، 3) ج 2 ص 567 سفينة البحار للمحدث القمي نقلا عن بحار الأنوار للمجلسي.

له و الزوراء هي بغداد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 64

و يحصد القائم و يحطم المحصود» «1».

و عل القرون الثانية هي القرون الإسلامية في دولة المهدي (ع) و قبيلها ب «عبادا لنا» التي نعيشها، فالقائم (عليه السلام) يحصد ما زرعته الصهيونية العالمية من إفساد المعمورة، و يحطم ما حصدته- اللهم عجل فرجه و سهل مخرجه.

و قد تروى عنه (عليه السّلام) غرة ضد فورة العمالة الصدامية الصهيونية.

في حديث سلسلة الذهب‏ «2» انه قال (عليه السلام): «ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني، فإن بين جوانحي علما جما، فسلوني قبل ان تشغر برجلها «3» فتنة شرقية تطأ في خطامها «4»، ملعون ناعقها و موليها و قائدها و سائقها و المتحرز فيها، فكم عندها من رافعة ذيلها يدعو بويلها دجلة أو حولها، لا مأوى يكنها و لا أحد يرحمها، فإذا استدار الفلك قلتم مات أو هلك، و بأي واد سلك‏ «5» فعندها توقعوا الفرج و هو تأويل هذه الآية:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). من الخطبة 100 نهج البلاغة للسيد الرضي عن علي (عليه السلام)

(2) تفسير نور الثقلين 3: 139 في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته: ...

(3) شغر الكلب برجلها ليبول بال ام لم يبل، و شغر الرجل رجله للنكاح- شغرت الأرض لم يبق بها احد يحميها و يضبطها فهي شاغرة، و الشغر الإخراج و البعد، و شغر البلد بعد من الناصر، و ارض شاغرة، لا تمنع من غارة أحد لخلوها و التفرقة فيها، و شغرت الناس برجلي علوت الناس.

(4) الخطام كخطاب موضع الزمام من أنف البعير ام ما ذا.

(5)

سفينة البحار 2: 702 عن عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر (عليه السلام) عن آبائه عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال: للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولات النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه الا فمن ثبت منهم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 65

«ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ...» و الذي فلق الحبة و برى‏ء النسمة ليعيش إذ ذاك ملوك ناعمين، و لا يخرج الرجل منهم في الدنيا حتى يولد لصلبه الف ذكر، آمنين من كل بدعة و آفة و التنزيل، عاملين بكتاب الله و سنة رسوله، و قد اضمحلت عليهم الآفات و الشبهات».

الفتنة الشرقية

: علها او انها الفتنة الصهيونية الشرق أوسطية البادئة من إسرائيل في احتلال فلسطين و القدس، المتعلقة بحبل من الناس النسناس شرقيا و غربيا.

و من أذنابها العملاء الفتنة الصدامية العفلقية من بغداد و ما حولها، كما نعيشها الآن.

تشغر برجلها- تطأ في خطامها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة امامه فهو معي في درجتي يوم القيامة ...».

و

فيه عن أبي خالد الكابلي قال قال لي علي بن الحسين (عليه السلام) يا أبا خالد! ليأتين فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو الا من أخذ اللّه ميثاقه أولئك مصابيح الهدى و ينابيع العلم ينجيهم اللّه من كل فتنة مظلمة كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان في ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله و إسرافيل امامه معه راية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قد نشرها لا يهوي بها الى قوم الا اهلكهم اللّه عز و جل».

و

في نفس المصدر عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) عن آبائه قال قال النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): و الذي بعثني بالحق بشيرا ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود اليه مني حتى يقول اكثر الناس: ما للّه في آل محمد من حاجة و يشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه و لا يجعل للشيطان عليه سبيلا بشكه فيزيله عن ملتي و يخرجه من ديني فقد اخرج أبويكم من الجنة من قبل و ان اللّه عز و جل جعل الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 66

فتنة شاغرة بأرض شاغرة من مفتتنين شاغرين، و كأن أصلها إنسانة مجنونة تتخبط في مشيتها، حيث تمشي مكبة على وجهها، إذ ترفع هذه الإنسانة الحيوانة برجلها، و بدل أن تطأ في أرضها تطأ في عرضها- في خطامها: أنفها الذي هو موضع زمامها، فلا تتمنع من غارة أحد لأرضها لخلوها ممن يحميها و التفرقة فيها.

ترفع برجلها لتحتل أرضا او أراض أخرى، فإذا هي بوطئها خطامها تثبت في موضعها و تحتل أرضها و يهتك عرضها، و لأنها رفعت رجلها الى غير حقها، متخبطة في وطئتها، ماشية مكبة على وجهها، فلا تطأ و تذل إلا أنفها، فتبتلى بخماسية لعنتها:

ملعون ناعقها و موليها و قائدها و سائقها و المتحرز فيها.

كأن «ناعقها» الذي ينعق و يعربد لهذه الفتنة هو صدامها الصهيوني البعثي حيث أخذ يعربد لحرب وحشية شعواء عشواء لصالح الصهيونية العالمية، كأنحس ذنب عميل من أذنابها، يرعد و يبرق و لا يحرق إلا نفسه، و «موليها» الذي يوليها و يتولاها كأصل لها هي نفس الصهيونية في إسرائيل ثم سواها، حيث تتولى هذه الحرب بأرذل و أطول أذنابها في البداية، ثم إلى أذنابها الشرقية و الغربية الأخرى.

و عل «قائدها» هو الامبريالية الأمريكية حيث تقود هذه الفتنة لصالح الصهيونية، و هي هي من عمالها الأقوياء، و من ثم الإمبريالية السوكيتية ام ماذا؟.

و «سائقها» الذي يسوقها هو العمالة البعثية العفلقية بناعقها «صدام» حيث تسوق هذه الفتنة الشاغرة العارمة في جنّة و تخبط

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 67

ثم «المتحرز فيها» تحرز الحفاظ على كيانه من بأس الثورة الإسلامية و تحرز الفرار عن بأس البعث الصدامي، علّها عديد من دويلات الخليج و أضرابها التي هي ويلات على الإسلام، و المتحرزين فيها من شيوخ الخليج و ملوكها إلا شذرا حيث يقدمون بالعدّة و العدّة، تقوية لمطلق الكفر أمام الإسلام.

«فكم عندها من رافعة ذيلها» فتن جزئية هامشية عند الفتنة الأم، ترفع ذيلها فرارا دون قرار لتنجوا من بأسها و بؤسها ولات حين فرار إذ:

«يدعو بويلها»: الفتنة الأم و ذرياتها «دجلة أو حولها» فدجلة «بغداد» عاصمة الفتنة الزوراء «أو حولها» من بلاد عراقية ثم دويلات من الخليج «يدعو بويلها» إذ ينادي بكافة وسائل النداء الإعلام مستصرخة مستغيثة قوات الكفر اجمع ف «لا مأوى يكنها و لا أحد يرحمها» حتى لا يبقى كن و لا راحم من جنود الشيطان لهذه الفتنة الا مخذولة مرذولة، حيث‏ «عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا» فلا تبقى لهم باقية، فهنا لك تتم الدولة الإسلامية مسيطرة على دويلات الكفر في ويلات لها و ويلات.

ثم يستدير الفلك برد الكرة عليهم فاستضعاف هذه الدولة الكريمة ردحا من الزمن، فيجي‏ء وعد الآخرة ليسوءوا وجوههم:

«فإذا استدار الفلك» و أصبح الياس بالشدة جارفا لحد: «قلتم مات» صاحب الأمر «أو هلك باي واد سلك» و إذا هو موجود هنا و قريب منا فكيف لا ينصرنا «فعند ذلك توقعوا الفرج»: النهائي الدائب، بعد الفرج البدائي الذاهب ... «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). أقول: قد رويت هذه الخطبة بصورة اخرى كما

في البحار 52: 272 ج 167- و باسناده عن إسحاق يرفعه الى الأصبغ بن نباتة قال سمعت امير المؤمنين (عليه السلام) يقول للناس: سلوني قبل ان تفقدوني لأني بطرق السماء اعلم من العلماء و بطرق‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 68

و

يروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) ما- عله- يشير الى هذه الفتنة «و لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل وليجة و بطانة و ذلك بعد فقدان الشيعة الثالث من ولدي» «1»

و الفتنة الصدامية- كذنب للفتنة الصهيونية- هي أصم فتنة طول تاريخ الفتن حيث لا اذن لها يسمع الحق او يستمع اليه، صماء عن كل قائل إلا قولة الصهيونية عمالة مجنونة لصالحها، و الصيلم: المستأصل الشديد، هي الفتنة التي تنحو منحى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الأرض اعلم من العالم، انا يعسوب الدين، أنا يعسوب المؤمنين و امام المتقين، و ديان الناس يوم الدين- الى قوله- الا ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فان بين جوانحي علما جما فسلوني قبل ان تشغر برجلها فتنة شرقية و تطأ في خطامها بعد موتها و حياتها و تشب نار بالحطب الجزل من غربي الأرض. رافعة ذيلها تدعو يا ويلها لرحله و مثلها فإذا استدار الفلك قتلتم مات او هلك باي واد سلك فيومئذ تاويل هذه الآية «ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ ...»

هنا تضاف شب نار بالحطب الجزل من غربي الأرض، مساعدات حربية غربية تؤجج نيران الحرب في هذه الفتنة الشرقية تجنيدا لمطلق الكفر من شرق الأرض و غربها ضد مطلق الإسلام.

و الحطب الجزل هو اليابس الغليظ العظيم منه و الكثير و كأنه الاسلحة الفتاكة التي يؤتى من الغرب تقوية لهذه الفتنة الشرقية.

و «رافعة ذيلها» علها الطائرات الحربية، و هي تدعو يا ويلها من مدفعيات جبارة من الجمهورية الاسلامية الايرانية. و

في سير الاعلام 2: 297 قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): اما أول الشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب‏ و رواه مثله عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في مختصر التذكرة 132 و مستدرك الحاكم 4: 458 و في الأخير: تبعث نار تسوق الناس من مشارق الأرض الى مغاربها»

أقول:

و نرى صدق هذه الإنباتات حيث ظهرت نار و فتنة شرقية صهيونية صدامية.

(1).

سفينة البحار ج 2 ص 703 باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في ذلك يج- يج 38 ك عن احمد بن زكريا قال قال لي الرضا (عليه السلام) اين منزلك ببغداد قلت: الكرخ- قال اما انه اسلّم موضع و لا بد من فتنة ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 69

استئصال الحق عن بكرته. و رغم انها «صماء صيلم» يسقط فيها كلّ من لها من «وليجة» هو «المتحرز فيها» و «بطانة» هو «ناعقها و موليها و قائدها و سائقها» ثم لا تبقى الا «عبادا لنا» في دولتهم الإسلامية المباركة!.

و

يروى عنه (عليه السلام) ايضا في نائب الإمام فینصره اللّه: «رجل من اهل قم يدعو الناس الى الحق، تجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف و لا يملون من الحرب، و لا يجبنون و على الله يتوكلون و العاقبة للمتقين» «1».

«رجل» تتبناه كافة البطولات و الرجولات الإسلامية «من أهل قم» تبنته هذه الحوزة المباركة حيث الأهلية هنا هي اهلية تلكم الرجولة لا الولادة «يدعو الناس الى الحق» إذ خذله مخالفوه و حملته- لا فحسب لفظا باللسان، و انما بالأنفس و النفائس و بسيول الدماء «تجتمع معه قوم كزبر الحديد» و هم علّهم «عبادا لنا» المبعوثون لاستئصال الفساد العالمي الصهيوني الأول: «لهم مربع الطاقات الجبارة: 1- «لا تزلهم الرياح العواصف» التي تعصف شرقا و غربا حيث هم مؤمنون حقا و المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف و لا تزيله القواصف 2- «و لا يملون من الحرب» حيثما بلغت بهم نائرتها 3- «و لا يجبنون» من استشهاد ام ماذا؟ 4- «وَ عَلى‏ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» دون سواعد شرقية او غربية او مساعدات من هنا و هناك:

«وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»: الدولة العاقبة لدولتهم- الاخيرة في دول التاريخ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). سفينة البحار ج 2 ص 446.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 70

- للمتقين‏ «1» و هم أولاء بتاسيسهم دولة الحق بزعامة نائب المهدي (عليه السلام) يعبّدون الطريق لدولته المباركة العالمية التي تبقى مع الزمن حتى القيامة الكبرى.

و قد تعنى معناه خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يقول فيها:

«لا بد من رحى تطحن فإذا قامت على قطبها، و ثبتت على ساقها بعث الله عليها عبدا عسفا: (عنيفا) خاملا أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم، و اصحاب السبال، سود ثيابهم، اصحاب رايات سود، ويل لمن ناواهم يقتلونهم هرجا، و الله لكأني انظر إليهم و الى أفعالهم، و ما يلقى من الفجار منهم و الاعراب الجفاة، يسلطهم الله عليهم بلا رحمة، فيقتلونهم هر جا على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية و البحرية جزاء بما عملوا و ما ربك بظلام للعبيد» «2».

و العبد العسف: العنيف ضد الظلم الخامل أصله علّه هو نائب الإمام الخميني حيث كان خاملا طول عمره، و بدا اشتهاره و بدء منذ قيامه، و أصحابه الطويلة شعورهم اصحاب السبال كما نرى الكثير من الانقلابيين معه كذلك ... و لعل الرايات السود هي التي ترتفع عند موته او استشهاده حيث يرفعها أصحابه و ينتصرون في حربهم ضد الكفر حتى يحققوا امر اللّه‏ «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا»! و قد يعنيه ما

يروى عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ... انا اهل بيت اختار اللّه لنا الآخرة على الدنيا و ان أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء و تشريدا و تطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). العاقبة في هذه الآية صفة لمحذوف هي الحياة او الدولة، تعني الحياة او الدولة الاخيرة في عالم التكليف للمتقين، و ليست الحياة الآخرة فحسب و ان كانت منها:

(2) البحار 52: 232.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 71

الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤوها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم و لو حبوا على الثلج» «1».

قيام البهلوي من قزوين من علائم ظهور المهدي (عليه السلام):

من الملاحم‏

المروية عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في تفصيل علامات ظهور المهدي (عليه السلام) «... فعندها يتكلم الروبيضة- فقال سلمان: و ما الروبيضة يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)، فداك أبي و امي؟ قال: (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يتكلم في امر العامة من لم يكن يتكلم فلم يلبثوا الا قليلا حتى تخور الأرض خورة فلا يظن كل قوم الا انها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء اللّه ثم ينكتون في مكثهم فتلقى لهم الأرض أفلاذ كبدها ... فهذا معنى قوله: «فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

سنن المصطفى ص 517 حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام ثنا علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علقمة عبد اللّه قال: بينما نحن عند رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) إذا اقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) اغرورقت عيناه و تغير لونه قال: ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال ...

أقول: و هذا الحديث يواطي ما مر عن الامام الباقر (عليه السلام) في نقل غيبة النعماني ص 140 مع بعض الزوائد هناك، و لعل الرايات السود هي رايات عزاء الحسين (عليه السلام) في 12 محرم 15 خرداد 41 حيث قاموا لاخذ حق الإسلام من الشاه المعدوم و استرجاع المرجع الديني الأعلى من السجن فلم يكن الا قتلا ذريعا فيهم.

(2)

تفسير القمي باسناده عن عبد اللّه بن عباس، قال‏ حججنا مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حجة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم اقبل إلينا بوجهه فقال:

الا أخبرك بأشراط الساعة و كان ادنى الناس منه يومئذ سلمان فقال: بلى يا رسول اللّه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 72

و الرويبضة علها لا معنى لها في لغة و لذلك لم يفسرها الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) هنا الا بعنوان مشير: «يتكلم ...» و هي هي «رضا بهلوي» باختلاف ترتيب حروفها، و لا ينافيه ما فسره هو (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في رواية اخرى ب‏

«الرجل التافه» «1»

فانه حقا تافه.

و

عن محمد بن الحنفية قال‏ قلت له:- الإمام علي (عليه السلام)- قد طال هذا الأمر حتى متى- الى ان قال-: انى يكون ذلك و لم يقم الزنديق من قزوين فيهتك ستورها، و يكفر صدورها، و يغير سورها، و يذهب ببهجتها من فر منه أدركه و من حاربه قتله، و من اعتزله افتقر، و من تابعه كفر حتى يقوم باكيان: باك يبكي على دينه و باك يبكي على دنياه» «2»

و الزنديق هو البهلوي‏ «3» و قد كان قيامه من قزوين و صدقت عليه الافتعالات.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فقال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم). من أشراط الساعة ... الى ن قال ...».

(1). كما

في البحار 52: 245 ح 124 في باسناده عن ابن نباته قال سمعت عليا (عليه السلام) يقول: ان بين يدي القائم سنين خدّاعة يكذب فيها الصادق و يصدق فيها الكاذب و يقرب فيها الماحل (و في حديث) و ينطق فيها الرويبضة» قال الجزري في حدث أشراط الساعة «و ان ينطق الرويبضة في امر العامة- قيل و ما الرويبضة ما رسول اللّه؟ فقال: الرجل التافة ينطق في امر العامة.

أقول: فالرويبضة إذا تصغير الرابضة العاجز الذي ربض عن معالي الأمور و قعد عن لبها و زيادة التاء للمبالغة.

ثم أقول: ما أجمل الجمع بين المعنى من الرويبضة: التافة- و رضا بهلوى حسب تأليف حروفها!.

(2) بحار الأنوار الطبعة الجديدة ج 52 ص 312 ح 61 غط الفضل عن ابن أبي نجران عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية.

(3) في مجمع البحرين: الزنديق هو البهلوي:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 73

و

عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): يخرج بقزوين رجل اسمه اسم بنيّ يسرع الناس الى طاعته المشرك و المؤمن يملأ الجبال خوفا» «1»

و «بني» تصغير «ابن» هو «رضا» بنيّ الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) الامام الرضا عليه السلام.

و

عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في استعراض علائم الظهور «و شمول اهل العراق خوف لا يكون معه قرار» «2».

و في كلام لعلي امير المؤمنين يتحمل الإيحاء الى الحالة الموجودة بيننا بين البعثية الصدامية الكافرة.

قال (عليه السلام): «لا يقوم القائم حتى تفقأ عين الدنيا و تظهر الحمرة في السماء و تلك دموع حملة العرش على اهل الأرض، و حتى يظهر فيهم قوم لا خلاق لهم يدعون لولدي و هم براء من ولدي، تلك عصابة رديئة لا خلاق لهم، على الأشرار مسلطة و للجبابرة مفتنة، و للملوك مبيرة، يظهر في سواد الكوفة، يقدمهم رجل اسود اللون و القلب، رث الدين، لا خلاق له، مهجن زنيم عتل، تداولته ايدي العواهر من الأمهات من شر نسل لاسقاها اللّه المطر في سنة اظهار المتغيب من ولدي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بحار الأنوار ... ص 213 غط ردي عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انه قال ...

(2)

البحار 52: 221 ج 85 شا. الحسين بن زيد عن منذر الجوزي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال سمعته يقول. يزجر الناس قبل قيام القائم ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 74

صاحب الراية الحمراء و العلم الأخضر، اي يوم للمخيبين بين الأنبار و هيت.

ذلك يوم صيلم الأكراد و الشراة، و خراب دار الفراعنة، و مسكن الجبابرة، و مأوى الولاة الظلمة، و ام البلاء و اخت العار، تلك و رب علي يا عمر بن سعد بغداد، الا لعنة اللّه على العصاة من بني امية و بني فلان الخونة الذين يقتلون الطيبين من ولدي و لا يراقبون فيهم ذمتي، و لا يخافون اللّه فيما يفعلونه بحرمتي ...» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) 226 ج 90 في باسناده عن عمر بن سعد عنه (عليه السلام) ...

و من الطرايف جدا خطاب الامام (عليه السلام) أخيرا لعمر بن سعد جد صدام عامل هذه الفتنة و عميلها، بعد ما يصف عصابة البعث العفلقي التي يقودها صدامها، ثم يصفه لعنة اللّه عليه بسواد اللون و القلب- و قد جمعهما- و انه رث الدين مهجن زنيم عتل تداولته ايدي العواهر من الأمهات من شر نسل، ثم وعدا بيوم صيلم الأكراد و الشراة و خراب دار الفراعنة مسكن الجبابرة و مأوى الولاة الظلمة و ام البلاء و اخت العار تلك و رب علي يا عمر بن سعد! بغداد!:

و

في ج 13 ص 314 ملحقات احقاق الحق عن العلامة المولى على المتقي الهندي في كنز العمال ج 7 ص 261 طا حيدرآباد الدكن روى عن علي (عليه السلام) في خطبة له‏ «و ليكونن من يخلفني في اهل بيتي رجل يأمر بأمر اللّه قوي يحكم بحكم اللّه و ذلك بعد زمان مكلح مفصح يشتد فيه البلاء و ينقطع فيه الرجاء، و يقبل فيه الرشا فعند ذلك يبعث اللّه رجلا من شاطئ دجلة لأمر حزبه- يحمله الحقد على سفك الدماء قد كان في ستر و غطاء فيقتل قوما و هو عليهم غضبان شديد الحقد حران في سنته بختنصر يسومهم خسفا و يسقيهم سوط عذاب و سيف دمار ثم يكون من بعده هنات و امور مشتبهات الا من شط الفرات الى النجفات بابا القطقطانيات في آيات و آفات متواليات يخدش شكا بعد يقين يقوم بعد حين يبني المدائن و يفتح الخزائن و يجمع الأمم ينفدها شخص البصر و طمح النظر و عنت الوجوه و كشف البال حتى يرى مقبلا مدبرا فيا لهفى على ما اعلم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 75

[سورة الإسراء (17): الآيات 9 الى 12]

إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9) وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (10) وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً (11) وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ وَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً (12)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

رجب شهر ذكر رمضان تمام السنين شوال يشال فيه امر القوم ذو القعدة يعتقدون فيه ذو الحجة الفتح من اوّل العشر الا ان العجب كل العجب بعد جمادي و رجب جمع الشتات و بعث أموات و حديثات هونات هونات بينهن موتات رافعة ذيلها داعية عولها معلنة قولها بدجلة او حولها- ألا إن منا قائما عفيفة احسابه سادة أصحابه ينادى عند اصطلام اعداء اللّه باسمه و اسم أبيه في شهر رمضان ثلاثا بعد هرج و قتال و ضنك و خيال و قيام من البلاء على ساق و اني لأعلم الى من تخرج الأرض ودائعها و تسلّم اليه خزائنها و لو شئت ان اضرب برجلي فأقول: اخرجي من هاهنا بيضا و دروعا كيف أنتم يا ابن هنات إذا كانت سيوفكم بأيمانكم مصلتات ثم رملتم رملات ليلة البيات ليستخلفن اللّه خليفة يثبت على الهدى و لا يأخذ على حكمه الرشا إذا دعا دعوات بعيدات المدى دامغات للمنافقين فارجات عن المؤمنين ألا إنّ ذلك كائن على رغم الراغمين و الحمد للّه رب العالمين و صلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين و آله و أصحابه أجمعين بن المنادي:

و أخرجه مثله في كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج 6 ص 35 ط الميمنية بمصر.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 76

للقرآن زهاء أربعون اسما «1» هذا أكثرها ذكرا «2» و اشتهارا، و أغزرها معنى و ازدهارا إذ يعني جملة ما تعنيه هي تفصيلا، و هو يعني في مختلف معانيه: الجمع- الطهارة- التطهير- القراءة- الإبلاغ- الرؤية- اقتراب المغيب: معان سبعة كالسماوات السبع و الأرضين السبع و ايام الأسبوع السبعة، حيث يشمل بمعانيه جملة و تفصيلا الازمنة و الامكنة و من فيهما.

فانه طهارة- فتطهير- و قراءة و إبلاغ- و رؤية لما يمكن ان يرى بصرا و بصيرة، و جمع لما لم يجمعه غيره من كتابات و اقتراب لاغتراب غيره من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هي: القرآن- الفرقان- الكتاب- الذكر- الحديث- التنزيل- الموعظة- الشفاء- الهدى- الحبل- الرحمة- الصراط المستقيم- الحكم- الحكمة- الحكيم- المحكم- الروح- البيان- التبيان- المبين- الفصل- النجوم- القصص- البصائر- المثاني- النعمة- البرهان- البشير- النذير- القيم- المهيمن- الهادي- النور- الحق- العزيز- الكريم- العظيم- المبارك- بلاغ- سبيل- حياة

(2) نجده (70) مرة اثنتان منهما قرآن الفجر: صلاة الفجر- و اثنتان: قرآنه: قراءته- و الباقي هذا القرآن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 77

كتابات كما انه من آيات اقتراب الساعة و نبيه نبي الساعة.

و ترى لماذا هنا و في عديد غيرها «هذَا الْقُرْآنَ» حيث توحي بان هناك قرآنا أو قرائين أخرى، و في عديد اخرى «القرآن» و القرآن هو القرآن؟

لأن «قرآن» من اللّه هو جنس المقرو بالوحي كتابا على المكلفين، شاملا كتابات الوحي كلها، و أفضلها هذا القرآن، فقد يعرف ب «هذا» ليدل على حاضره دون غابره، و «هذا» في موارده كلها يتضمن ميزة او ميزات له عن سائر القرآن‏ «1» و قد تدل على عمومه لسائر الوحي:

«قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ ...» (10:) 15) «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» (34: 31).

إذا فلا بد من تعريف به ليميزه عن غيره ب «هذا» او «العظيم» «وَ لَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» (15: 87) او تعريف اللام عهدا الى حاضره حيث يخاطبهم به: «وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ...» (5: 101) او بضمير يعرفه: «وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ...» (10: 61) او وصف: «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ» (15: 1)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ك‏ «أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» 6- 119 «وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى‏ مِنْ دُونِ اللَّهِ» 10: 37 «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ» 12: 3 «وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا» 17: 41 «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى‏ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ:» 17: 88 «وَ قالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً» 25: 30 «إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى‏ بَنِي إِسْرائِيلَ ...» 27: 76 «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» 34:

31 ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 78

ام ماذا من إشارة تميزه عن سواه و يختص‏ «هذَا الْقُرْآنَ» هنا بما يعرفه أنه‏ «يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» من قوامات الوحي و قيامات صاحب الوحي و المكلفين به.

و «قرآن» مع كل ذلك علم لهذا القرآن، لم يسم به غيره من قرآن و ان كان يشمله جنسه، و هو أفضل و اكثر أسماء القرآن.

ثم هنا هاد و مهدي و مهدي له و بشارة لمن يهتدي و إنذار على من لا يهتدي، فالهادي هو القرآن حيث الهدى طبيعته و حالته و صياغته لأعلى قمم الهدى، دون إبقاء على هدى ممكنة إلا و هو يهدي لها غير قاصر و لا ضنين.

و المهدي هو على الإطلاق كل مكلف بحاجة الى هدى، و بامكانه أن يهتدي بلا حدود من زمان أو مكان أو أقوام و أجيال فانه هدى اللّه و الهدى الإلهية في القرآن كاملة شامة.

و المهدي له، و ترى لماذا «له» دون «إليه» ام دون جار ك‏ «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ»؟ ... ثم «التي» بحذف الموصوف المتردد بين عديد ك:

الطريقة- الشريعة- الملة- الرسالة- الولاية ام ماذا؟ و لا يحذف الموصوف الا المعلوم لحد لا يحسن ذكره بل و يحسن حذفه؟.

نجد الهداية في القرآن في هذا المثلث، و ليس «يهدي له» إلا هنا لكتاب اللّه، و في أخرى للّه: «قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى‏ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» «1» (10: 35) ثم لا ثالث لهما، فإنما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و من الطريف ان‏ «يَهْدِي لِلْحَقِّ» الخاصة باللّه تتوسط «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» لغير اللّه أولاها «شركائكم» سؤال تعنّت، و أخراها لكافة الهداة الى الحق حيث تجمعهم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 79

اللّه و كتاب اللّه يهدي له لا سواه، فلتكن «الهداية له» خاصة باللّه بقرآنه المبين.

ثم اللّه و إن كان يهدي بالقرآن من اتبع رضوانه سبل السلام و يهديهم الى صراط مستقيم: «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» (5: 116) هداية إياه و هداية اليه، إلا ان أيا منهما لا يشمل مطلق الهدى، و الهداية له تشمله كله، فالهداية «الى» دلالة الى الهدى الآفاقية البعيدة عن المهدي إذ هي خارج ذاته، او الانفسية البعيدة عنها كالآفاقية لمن احتجب عن نفسه بعيدا «1»، و الهداية إياه إيصال الى المقصود آفاقية و انفسية او يقارب الإيصال لمكان القرب بين المهدي و المهدي له لحد الاتصال‏ «2». و الهداية له تشمل الإيصال و الدلالة الى الانفسية و الآفاقية قريبة و بعيدة، دلالة الى ما في النفس من هدى العقل و الفطرة ام ماذا؟ و إيصالا الى حقها و واقعها، و دلالة إلى ما في الآفاق تكوينا و تشريعا و إيصالا إليها فالهداية له- إذا- أتم و أطم من الهداية إليه و إياه‏ «3» فما الطفه التعبير عن الهداية المطلقة ب «يهدي إياه» و عن الدلالة المؤثرة و سواها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

«يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» فليس تغيير صيغة الهداية مجرد تفنّن التعبير و انما لخصوص المعني من «له» و «اليه».

(1). لان «الى» توحي لفصل بين المهدي و المهدي اليه، و الهدى الانفسية ليست بعيدة عن المهدي:

(2) حيث الهداية إياه توحي الى وحدة عريقة بين المهدى و المهدى له دون فصل بينهما، اما حققيا ما الإيصال و يشارفه كالقريب القريب.

(3) حيث الهداية له، و اللام للاختصاص أعم من الدلالة الخاصة و الإيصال الخاص الى مادة الهدى آفاقية و أنفسية، فالهداية إياه هي «له» و الهداية اليه كذلك «له» كما الهداية الآفاقية و الأنفسية كلاهما «له» و ان كانت «له» مراتب عدة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 80

ب «يهدي اليه» و عن مجموع الهدايات ب «يهدي له» الشاملة لكافة مراحل الهداية مستغرقة لها كلها! و لأن هذه الآية هي الفريدة في نوعها للهداية الشاملة فلتشمل الهدى كلها، دلالة و إيصالا للهدى أنفسية في هداية العقل و الفطرة، و آفاقية في هداية التكوين و التشريع، فالقرآن نسخة كاملة للهدى كلها حيث يهدي به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام.

إنه هدى للكافرين كما للمؤمنين دلالة، و هدى للمتقين في مزيد الدلالة ثم الإيصال الى حق الهدى، ثم و هو هدى للإنسان و أضرابه آفاقيا و أنفسيا.

و اما «التي» بحذف الموصوف فللايحاء بإطلاق المهدي له، دون خصوص الملة او الطريقة او الرسالة او النبوة او الولاية اماهيه؟ «1».

فانه هدى بكل بنودها و متطلباتها للإنسان و أضرابه كأفضل ما يمكن و أكمله في عالم الفطرة و العقل، و في التنسيق بين ظاهر الإنسان و باطنه و بينه و بين ربه في علاقة المعرفة و العبودية- و بينه و بين الناس في علاقة العشرة، و في كافة زوايا الهدى و متطلباتها و تنسيقاتها و مخلفاتها الحاضرة و المستقبلة.

«لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» فكتابات اللّه كلها قويمة قيّمة لا عوج فيها و لا قصور، و لكنها مؤقتة زمنا، محدودة بالمتطلبات المرسومة لزمنها، و الاستعدادت لطالبيها فيها، و أما القرآن فهو يهدي للتي هي أقوم: قيمة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كالسبل و الآيات الآفاقية و الانفسية (3) و الأخلاق (4) و الحياة (5) و احكام الفطرة و العقل (6) و الايمان (7) و الإسلام (8) و التقوى (9) و الزهادة (10) و المعرفة و المعجزة (11) مواد الهداية التي تدعو إليها كتابات الوحي، فكل هذه الموصوفات تصلح ان تكون للتي هي أقوم دون إبقاء على مادة من الهدى إلّا و هي تشملها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 81

و قوامة و استقامة و قياما «1» منذ بزوغه ما طلعت الشمس و غربت، فشمسه لا تغرب و ما يحتاجه المهتدون به لا يعزب، فلا يقعد عن هدايته، و لا يفشل عن استقامته و لا ينقص عن قيمته و قوامته لأنه كتاب الزمن كله.

ف «هي أقوم» من غيرها على الإطلاق قواما و قياما: «قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً ...» (6: 161) فيه كافة القوامات و القيامات لحد القيامة الكبرى، لا أفول لشمسه و لا انقطاع لشرعته، لا كتاب بعد كتابه و لا رسالة بعد رسالته، حيث الأقوم يتطلب ختام الوحي بوحيه.

فهذه الآية إجمال عن مثلث الخاتمية: شريعة و رسالة و كتابا، نجد تفاصيلها في آيات اخرى، و التي هي أقوم يشمل هذا المثلث و ما معها من ملة و طريقة و ولاية، و الولاية المطلقة للقرآن و نبيه و أهل بيته هي أقوم الولايات طول الرسالات الالهية، و هي كلها على هامش الولاية الالهية «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالأقوم تتحمل كونها من القوام و القيامة و القيمة، و القرآن يهدي للتي هي أقوم في مثلثه دون اختصاص بأحدها.

(2)

في تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير الآية قال: يهدي الى الولاية»

أقول: و هي تشمل الولايات كلها و منها ولاية الائمة التي هي ثالث مراتبها بعد ولاية اللّه و الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و قد يفسر بولاية الامام بيانا لثالث مصاديقها لأنه مختلف فيها حتى يلحق بولاية الرسول، و من ذلك ما في حديث سلسلة الذهب،

يرويه ابن بابويه باسناده عن عياش بن يزيد مولى زيد بن علي، قال حدثني أبي قال حدثني موسى بن جعفر ... و عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: الامام منا لا يكون الا معصوما و ليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون الا منصوصا فقيل له يا بن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)! فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل اللّه و حبل اللّه هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة فالإمام يهدي الى القرآن و القرآن يهدي الامام و ذلك قول اللّه عز

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 82

ثم القرآن ليس ليهدي للتي هي أقوم هداية المعرفة و الإيصال الى الحق إلا لمن اتخذه دليلا بحق و كما

عن الإمام علي (عليه السلام): «ايها الناس انه من استنصح الله وفق، و من اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي أقوم»

: دليل المعرفة و العمل الصالح ثم يبشره:

و مراتب الهدى القرآنية آخذة من العلمية الى العقيدية الى العملية التطبيقية. و الاخيرة هي المبشر لها «وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً».

و مراحل العلم القرآني‏

«على أربعة أشياء على العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق فالعبارة للعوام و الإشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء» «1».

و مراتب العقيدة اليقين ثلاث: علم اليقين- عين اليقين- حق اليقين.

و مراتب العمل تنحو مراتب العلم و اليقين. كلما ازداد ازداد و كلما نقص نقص.

و الدلالة القرآنية ثلاث: دلالة التعبير في مراتبها، ثم دلالة الاهتداء، ثم الإيصال الى المطلوب: الصراط المستقيم ... و مما توحيه آية الأقوم أن هذا القرآن هو المتن الأعلى للإسلام و ما سواه من أحاديث ليست الا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و جل: «إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»

و روي تفسيره بالإمام باسناده عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) ايضا.

(1). سفينة البحار يرويه الامام الحسين عن أبيه علي امير المؤمنين (عليه السلام).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 83

على هامشه ان وافقه فليكن متنا متينا مكينا في الحوزات العلمية الإسلامية و في كافة الحقول.

و من التي هي أقوم في هدي القرآن إعجازها، حيث الآية الرسالية فيه أقوم الآيات إذ تعيش الزمن و يعيشها الزمن دون حاجة إلى آية اخرى.

و منها السياسة القرآنية التي تقود دولة عالمية على طول الزمن كما يقودها القائم المهدي (عليه السلام) في آخر الزمن.

و منها الحقوق القرآنية التي تحلق على كافة الحقوق طول التاريخ، و تكفي معونة الحياة المتوسعة المتداخلة المتشابكة المتشاكسة.

و منها الملاحم الغيبية و الإنباءات المستقبلة التي توقظ النّوم و تنبه النابهين كي يكونوا على أهبة و حذر لبناء المستقبل المجيد للدولة الإسلامية.

و منها الإقتصاد القرآني و قد تكفي حلا لمشكلة الإقتصاد العضال آية وحيدة منه‏ «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏».

و منها و منها و قد تحدى القرآن فيما تحدى الانس و الجن‏ «عَلى‏ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»: طول الزمان و عرض المكان.

«وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً» (9).

يبشر من آمن باللّه و اليوم الآخر و ما بينهما على ضوء القرآن، و يعملون الصالحات التي تصلح نتيجة للايمان و تصلح الحياة كل الحياة على ضوء القرآن، يبشرهم قدر ما اهتدوا به و آمنوا و عملوا الصالحات‏ «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً»: لا ناقصا عما قدموا فانه عجز و بخل، و لا مساويا مواتيا له فانه مثل بمثل، و ليس اللّه مثلا لنا حتى يؤاتينا في ثواب اعمالنا، و انما فضلا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 84

و إحسانا: «أَجْراً كَبِيراً» اكبر مما قدموا و ان كان تسمية الثواب أجرا فضلا عن «كبيرا» هو ايضا اجر كبير و لطف غزير، حيث العبد لا يستحق بإيمانه و عمله الصالح اجرا من ربه، إذ لا يعود نفعه الا اليه لا الى ربه، إذا فاصل الثواب فضل و تسميته اجرا فضل و صفته كبيرا، فضل، مثلث الفضل في قول فصل.

ثم القرآن لمن لم يتخذه دليلا لا يزيده إلا خسارا، و لا سيما الذين لا يؤمنون بالآخرة، و إن كانوا مؤمنين باللّه، حيث الايمان باللّه دون الآخرة لا يلزم المؤمن به بما يلتزم به المؤمن بآخرته من عمل الصالحات، و مجرد الأيمان باللّه دون عمل لا ينفع حتى إذا كان ايمانا بالآخرة ايضا:

وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (10).

لا يؤمنون بالحياة الآخرة و دلائلها في القرآن واضحة و في الآفاق و الأنفس لائحة! و الإعتاد هو التهيئة، و العذاب الأليم يشمل ذوقه يوم الدنيا في المعيشة الضنك و في البرزخ بوجه آكد، ثم في القيامة واقع لأليم العذاب: «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى‏ ...»

(20: 124): عذابات معتدة في مثلث الحياة بما قدمته أنفسهم.

وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا (11).

تأنيب بهوى الإنسان العجول الجهول التارك لهدي القرآن حيث يدعو بالشر دعاءه بالخير فشتان شتان بين هدي القرآن و هدي الإنسان، حيث‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 85

يهوى بعجلته فيهوي في هواة الضلال جهلا له او جهالة بمصادر الأمور و مصائرها، فاستعجالا بالشر فيما يأتي خيره باستمهال!.

و الدعاء هي الطلب في مقال او حال او فعال، فقد يدعو ربه الشر «1» دعاءه بالخير: «اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» (8: 32) كنضر بن حرث و قد أجيبت دعاءه فضرب عنقه، و لو كانت هذه سنة دائبة لقضي عليهم باستعجالهم:

«وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» (10: 11).

او يدعو رسولا- يكذبه- بالشر لو انه صادق: «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ» (23: 47) «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ» (13: 6) «يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ» (27: 46).

ف‏

«لا تدعو على أنفسكم لا تدعو على أولادكم لا تدعو على أموالكم لا توافقوا الله ساعة فيها اجابة فيستجيب لكم» «2».

و

«اعرف طريق نجاتك و هلاكك كي لا تدعوا الله بشي‏ء عسى فيه هلاكك و أنت تظن ان فيه نجاتك‏ «3».

و على الإنسان الذي يريد خيره أن يتطرق إليه بما يقدمه من خير على إمهال دون استعجال، حيث الخير يخلف الخير كما الشر يأتي بالشر، و لكنما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الباء في هذا الاحتمال للتعدية حيث المفعول به فيه الله او الرسول ام غيرهما.

و دعائه مفعول مطلق نوعي اي يدعو ... دعاءه بالخير بالشر. مدعوه الذي يحصل بسبب الخير يدعوه بالشر».

(2) الدر المنثور 166- اخرج ابو داود البزار عن جابر (رضي اللّه عنه) قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم).

(3) نور الثقلين 3: 141 عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 86

الإنسان العجول الجهول قد يطلب خيره بالشر طلبه بالخير فيما هو حقا خير، او يطلب ما يظنه خيرا و هو شر بالشر: شرا على شر او يطلب ما يراه شرا بالشر فهو في مثلث الشر «1».

فالمستعجل برزقه الذي لا محالة آتيه بعمله قد يطلبه بالشر: سرقة او احتكارا او بخسا في المكيال ام ماذا؟ رغم أنه لا يصله إلا ما قدر له بعمله، و إذا نا له زائد عليه بشره فلا يناله في فائدة له إلا فاسدة كاسدة.

و لكنما الإنسان المهدي بهدي القرآن كل دعاءه خير و يدعوه بخير، و فيما يجهل خيره يحتاط مترويا مستشيرا عقله و عقلاء غيره، متكلا الى ربه على كل حال، في كل حل وتر حال، و إذ يدعو ربه فيما يظنه أو يراه خيرا فانما يطلبه بتأديب دون إصرار و تأكيد.

«وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا» فعجلة الإنسان بطبعه و خلقته، دون ان يعدّ لها فيعدّ لها إلى الأصلح متأنيا، هو الباعث الأهم لدعائه بالشر دعائه بالخير لحد كأن البواعث الاخرى لا موقع لها مع ما لها من مواقعها، و ما هي الصلة بين عجلة الإنسان و دعاءه بالشر دعاءه بالخير؟ إنها تسرّع الشر و سهولة الدعاء به، و تأني الخير و صعوبة الدعاء به فبدل ان يطلب مطلوبه الخير بالخير يطلبه بالشر استعجالا.

و في مربع الطلب: شرا بشر- خيرا بخير- خيرا بشر- شرا بخير نرى العجلة لائحة في مقدمات الشر إلى خير أم إلى شر «2» و أما الخير الى الخير فلا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الباء هنا للسببية اي يدعو بسبب الشر و واسطته دعاءه بسبب الخير او بدل دعاءه بالخير، او كدعائه بالخير ف «دعاءه» هنا منصوب بنزع الخافض و في الاحتمال الاول مفعول مطلق نوعي.

(2) فالأول على كون دعاءه بالخير مفعولا مطلقا نوعيا و الثاني منصوبا بنزع الخافض كدعائه- اي يطلب الشر بالشر كأنه يدعو بالخير.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 87

تأنيب فيه، و الخير الى شر كتظاهر المنافق بالزهادة حتى يكيد كيده، ففيه أشد تأنيب و لكنه لا تشمله الآية حيث تعاكسها و لا استعجال فيه.

و «الإنسان» هنا هو نوعه: من آدم و ذريته‏ «1» «و كان» حالة هذا النوع في كينونته العجل: فقد «خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ» (21: 37) و عل العجل هنا لآدم‏

«لما خلقه اللّه نفخ فيه من روحه وثب ليقوم قبل ان يتم خلقه فسقط فقال اللّه عز و جل:

«كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا» «2»

ثم و لذريته منيّهم الذي يعجل حيث يدفق بعجل لحد سمي عجلا، و هذه العجلة التي تتبنّى خلق الإنسان ليست الا لحكمة عجلة سيره في مسيرة كماله، و لكنه يعكسها في دعاء شره او دعاءه بالشر دعاءه بالخير.

وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ وَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا (12).

الليل و النهار آيتان من آيات اللّه: «وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ ...»

(41: 37) حيث يدلان بتخالفهما و اختلافهما تلو بعض دائبا دون تخلف، يدلان على أن خلقهما مدبر باختيار و حكمة قاصدة، كما و أن الليل في تحوله‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فلو كان المقصود هنا آدم لقال آدم فانه علم له، و لو كان ذريته لقال بنو آدم، و أما الإنسان او البشر فهو يشمل هذا الجنس من آدم أبي البشر و من سائر البشر.

(2) نور الثقلين 2: 142 عن تفسير العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) ... و في الدر المنثور: 166- اخرج ابن أبي شيبة و ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن المنذر و ابن عساكر عن سلمان الفارسي (رضي اللّه عنه) قال: أوّل ما خلق اللّه من آدم (عليه السلام) رأسه فجعل ينظر و هو يخلق و بقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال: يا رب! اعجل قبل الليل فذلك قوله‏ «وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا» و أخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد مثله.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 88

الى نهار آية للحياة بعد الموت: «وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ» (36: 37) فان سلخ النهار من الليل يواطي سلخ الروح من البدن، ثم رجع النهار خلفه كرجع الروح الى البدن حذوا النعل بالنعل، إذا فالليل و النهار آيتان تدلان على المبدإ و المعاد، و في كل حكمة تقتضيه الحياة سكنا و ابتغاء من فضل اللّه فالليل للراحة و السكون الجمام، و النهار للسعي و الكسب و القيام‏ «1».

و ترى ان آية الليل الممحوة و آية النهار المبصرة هما الشمس و القمر، فإنهما آيتان في هاتين الآيتين: «وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ ...»

(41: 37) كما و أن اضافة الآية إليهما تقتضي اختلافها عنهما و أنهما آيتان فيهما؟ فالمذكور هنا كالمذكور هناك آيات أربع! ام ترى انهما الليل و النهار أنفسهما، فان آية الليل القمر ليست ممحوة دائبا، و انما عند الخسوف المطلق و آخر الشهر، و آية النهار الشمس هي مبصرة بجعلها شمسا لا أن الشمس جعلت مبصرة: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ ...»

(10: 5) على أن الشمس ايضا تكسف كما القمر يخسف، فلا يختصه المحو و يختصها الأبصار، و ان المذكور في الآية: «اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ» آية الليل هي الليل و آية النهار النهار!.

او يقال إن آية الليل كلا القمر و الليل، و آية النهار كلا الشمس و النهار «2» فالليل ممحو مظلم، و قمره لا يكفي نورا و ان كان نورا، على أن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ج 30: 18 من الفرقان تفسير الآية 9- 11 من سورة النبأ.

(2) فالمراد- إذا- من الآية جنسها ليلا و نهارا حتى تشمل الآيتين في كل منهما، او ان آية الليل تعني كلا على حدة و استعمال اللفظ في اكثر من معنى واحد سائع في القرآن حيث المشكلة الفعلية فيه ليس للّه الذي له مقام جمع الجمع في العلم و القدرة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 89

نوره ليس نورا إلا زهاء ثلث الشهر مع ما يمحوه خسفا مطلقا.

و لكن آية النهار بشمسها و نفس النهار مبصرة و إن أظلته السحاب فانمحى قرصها، فالنهار لا ينمحي، إلا إذا كسفت و ما أقله كما الخسف للقمر فليعن- إذا- من كل آية مجموع الآيتين: الليل و القمر- الشمس و النهار.

او يقال: لأن الآية هي العلامة فالمراد بمحو آية الليل جعل ظلمتها مشكلة لا يفهم معناها و لا يعلم فحواها لما استأثر اللّه تعالى بعلمه عن المصلحة المستسرة في ذلك، و حقيقة المحو طمس اثر الشي‏ء من قولهم:

محوت الكتاب إذا طمست سطوره حتى يشكل على القارئ و يخفى على الرائي.

ثم و إبصار آية النهار أن جعلها مكشوفة القناع مبينة الأبصار على خلاف آية الليل إذ جعلها مشرجة الغلاف بهيمة الأطراف.

و قد يعنى الجميع بتأويل ان القمر جعل ممحوا بالنسبة للشمس لا مطلقا، فالشمس تبصر و هي ايضا تبصر بضوئها، و القمر يبصر و لا يبصر فانه نور و ليس ضوء و قد يعنيه ما تظافر في الاخبار «1» ثم الليل ممحو بظلامه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

تفسير البرهان 3: 410- العلل ابن بابويه بإسناد متصل الى يزيد بن سلام‏ انه سئل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ... فما بال الشمس و القمر لا يستويان في الضوء و النور؟ قال: لما خلقهما اللّه عز و جل أطاعا و لم يعصيا شيئا فامر اللّه عز و جل جبرئيل ان يمحو القمر فمحاه فأثر المحو في القمر خطوطا سوداء و لو ان القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح و لما عرف الليل من النهار و لا النهار من الليل و لا علم الصائم كم يصوم و لا عرف الناس عدد السنين و الحساب و ذلك قول اللّه عز و جل‏ «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ ...».

و

في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) فمحونا آية الليل قال‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 90

و عدم ضوء الشمس، و النهار مبصر بضوئها:

«و جعل شمسها آية مبصرة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

هو السواد الذي في جوف القمر و رواه مثله عن أبي الطفيل عن الامام علي (عليه السلام) فقال له ابن الكوا فما هذا السواد في القمر؟ قال: أعمى سأل عن عمياء أما سمعت اللّه يقول‏ «فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً» فذلك محوها.

و في الاحتجاج للطبرسي رواه مثل الأخير عن الأصبغ بن نباتة قال قال ابن الكوا لأمير المؤمنين:

و

في الدر المنثور 3: 166- اخرج ابن حاتم و ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس (رضي اللّه عنه) عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في حديث‏ فأرسل جبرئيل فامر جناحه على وجه القمر و هو يومئذ شمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء و بقي فيه النور فذلك قوله‏ «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ»

أقول: نتفهم هذا الحديث الا- و هو يومئذ شمس ثلاث مرات- و

فيه اخرج البيهقي في دلائل النبوة و ابن عساكر عن سعيد المقبري‏ ان عبد اللّه بن سلام (رضي اللّه عنه) سأل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) عن السواد الذي في القمر فقال: كانا شمسين فقال: قال اللّه‏ «... فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ ...» فالسواد الذي رأيت هو المحو و اخرج مثله ابن أبي شيبة و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أب يحاتم و ابن الأنباري في المصاحف عن علي (عليه السلام) في الآية:

قال: هو السواد الذي في القمر

و

اخرج ابن مردويه عن علي (عليه السّلام) في الآية قال: كان الليل و النهار سواء فمحى اللّه آية الليل فجعلها مظلمة و ترك آية النهار كما هي‏

و

اخرج ابن عساكر عن علي بن زيد (رضي اللّه عنه) قال: سأل ابن الكوا عليّا (رضي اللّه عنه) عن السواد الذي في القمر قال: هو قول اللّه تعالى: «فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ».

أقول: حاصل ما قد يصدق من هذه المجموعة ان الشمس و القمر في بادية خلقهما كانا نيرين كبعض مع اختلافهما في الحجم- حيث المحو هو محور النور لا الجرم- فمحي اللّه القمر من ضوءه حتى أصبح نورا و جعل الشمس ضياء: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً» (10: 5) فقد كانت شمسا دون هذه الضياء و كان قمرا دون هذا النور، فضياء الشمس و نور القمر مجعولان.

و قد ينافي محو القمر هكذا ان نوره مكتسب من ضوء الشمس و لا نور له من نفسه كما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 91

لنهارها و قمرها آية ممحوة من ليلها و أجراهما في مناقل مجراهما و قدر مسيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل و النهار بهما و ليعلم عدد السنين و الحساب بمقاديرهما» «1».

«... لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ».

كأن ابتغاء فضل من اللّه، و معرفة عدد السنين و الحساب كلاهما من مخلفات آية الليل و النهار و ان كان فضل اللّه يبتغى في الأكثر نهارا، و لكنه لا يخص المادي منه حتى يختص النهار، فالمعنوي منه أهم و أكثره بالليل، و ان كان الليل حسب الأصل و أكثريا للسكن و النهار للنشور و لكن: «وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» (30: 22) «وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (28: 73) و هذا جعل ثان ينوب الأول شيئا ما عند الحاجة و فيما لزم عكس الأمر و ان كان الالتزام بالأول أحرى و أصلح لراحة الإنسان، اللهم إلا في تهجد الليل فضلا روحيا.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

يقول العلم، الا ان جعل القمر نورا منيرا ينافيه: «وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً» (25: 61) «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً» (721: 16) و لم يثبت اكتساب نور القمر من ضوء الشمس علميا قانونيا لا يتخلف و لئن ثبت كان معنى محو القمر محو الأكثر من نوره الآن اكتسابا من الشمس إذ كان بالإمكان ان يجعله اللّه بحيث يكتسب من الشمس نورا تواطى نور الشمس، الا ان هذا لا يسمى محوا اللهم الا إذا كان القمر بحيث يكتسب نورا من الشمس تواطيها ثم اللّه محاه، اللهم لا علم لنا الا ما علمتنا، و قد يكون كيان نور القمر مما سكت اللّه عنه حيث احتمال هكذا محو في آية المحو لا يعد و الاحتمال حيث الظاهر ان آية الليل هي الليل و آية النهار النهار، و كون القمر نورا لا ينافي في انه يكسبه من الشمس ام ماذا؟.

(1). في نهج البلاغة عن علي امير المؤمنين (عليه السلام) ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 92

كذلك و معرفة السنين و الحساب من مخلفات آية الليل و النهار، لا إحداهما و لا النهار فحسب، بل قد يكون الليل بآيته أحرى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (10: 4) «فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً» (6: 96) «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ» (55: 5) أ ترى بعد ان الليل بآيته لا حساب له و لا حسبان، و هما زميلان متضائفان في الحسبان؟! فلو كان الليل و النهار بآيتيهما سرمدين لم يعلم عدد السنين و الحساب، و لكن خلفة الليل و النهار علم لهما و لليوم، و سبعة اليوم للأسبوع، و منازل القمر لايام الشهر، و اثني عشر الشهر للسنة، فمحو آية الليل تدريجيا حيث قدره منازل هلالا و بدرا و محاقا، و ابصار آية النهار، انهما متعاونان في معرفة عدد السنين و الحساب، كما ان محو القمر حيث لا يضي‏ء كالشمس يميّز الليل عن النهار.

و ترى ما هو الفارق بين علم عدد السنين و الحساب، و عدد السنين من الحساب؟

عل الفرق بالعموم المطلق فان عدد السنين حساب و ليس كل حساب عدد السنين، فانه هنا عدد في السنة شهورا و فصولا و أسابيع و أياما و ساعات، فالحساب لما دون السنة فعلم عدد السنين- و طبعا القمرية- و الحساب في أجزائها من مخلفات محو آية الليل و إبصار آية النهار.

فالليل و النهار بآيتيهما آيتان كونيتان تشيان بدقة الناموس الذي لا يصيبه خلل بأية علل فهما دائبتان حتى القيامة الكبرى‏ «لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 93

«وَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا» في كتابي التكوين و التدوين، دون إجمال او تعطيل.

فكل شي‏ء هو من خلق اللّه فهو من آيات اللّه، و اللّه‏ «يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» (13: 2) «وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ» (6:) 55) «... وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (7: 74) «نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (10: 24) «... لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (30: 28) «... لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (10:) 5).

و الشي‏ء في‏ «وَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ» هو كل شي‏ء تكوينا او تشريعا و من الأشياء المفصلة أعمال الإنسان و أقواله و عقائده و نياته، حيث هي مفصلة في عنقه‏ «لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً» (18:) 48).

[سورة الإسراء (17): الآيات 13 الى 21]

وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً (13) اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى‏ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (14) مَنِ اهْتَدى‏ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏ وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (15) وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً (16) وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفى‏ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (17)

مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً (18) وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى‏ لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19) كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 94

وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ....

«الطائر» هو كل ما يطير أيا كان من شخص او شي‏ء او عمل او تفكير ام ماذا؟ ثم الطائر البخت و الحظ و النصيب، و الجاهلية كانت و لحد الآن تهرف بما لا تعرف أن الذي قدّر لكل انسان هو تقديره و بخته الذي قدره اللّه له يطير إليه دون رباط له بعمله، او يستطير اليه خير او شر من عمل غيره، او انه يشارك في حظه عمله و عمل غيره، ام ماذا مما يلحق الإنسان‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 95

نصيبا من خير او شر يطير اليه من غيره، ربه او خلقه، او و أخيرا، إذا كان عمل كل إنسان له خيرا و عليه شرا، فعمله أيا كان يطير عنه الى الفناء فلا حجة تبقى عليه حتى تلزمه و تلجمه يوم القيامة.

و القرآن يطارد في طيات آيات هذه الغلطة الماردة و يلزم عمل كل انسان في عنقه كما هنا «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏».

يحصر الطائر مبدئيا بما مع الإنسان: «قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (18): تفألنا بكم شرا يطير منكم إلينا فأنتم شؤمنا و بؤسنا! «قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ» (36: 19).

و من ثم يحصره جزاء بما عند اللّه: «قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ» (27: 47) «فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى‏ وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» (7: 131) ثم لا حالة ثالثة للطائر رغم ما يزعم! فالعمل أيا كان و من اي انسان إنما طائره معه و عند اللّه، لا يجاوزه الى من سواه و لا اليه من سواه و لا انه مقدر مسير عليه، و لا انه يطير عنه الى الفناء دون ان يبقى حجة له او عليه، فانما طائره في عنقه ثم عند اللّه.

إذا فتسميته العمل طائرا ليست الا مسايرة التعبير عن العمل‏ «1» بما يطير الى غير العامل، او استطارة من تقدير مسيّر من اللّه! او استطارة عن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و كان العرب يتيمنون بطيران الطائر الى اليمين و يتشأمون بطيرانه الى اليسار، و لذلك جعل الطائر اسما لمطلق ما يتمنى به و يتشأم ثم استعمل في مطلق سبب الخير و الشر من الأعمال و الأقوال و العقائد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 96

العامل الى الفناء! اللهم الا استطارة الى الآفاق من ارضها و اعماق فضائها، حيث الأمواج الصوتية و الصورية طائرة عن الإنسان الى الافاق و هي على ما هي عليه ملزمة في عنقه، نسختان عينيتان من مربع الأعمال يستنسخها اللّه في الآفاق و في الأنفس، و سيريهما اللّه يوم يقوم الاشهاد: «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ» (41: 53) فمن هذه الآيات الآيات العينية من الأعمال المسجلة في الأنفس و الآفاق و شره علّه هو الشر المستطير: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً» (76: 7) فان شر الآخرة المستقبل هو استمرار لشر الدنيا المستطير الماضي، فشر الآخرة ثابت حيث ينتج عن شر الأولى المستطير. و حقيقة الاستطارة من صفات ذوات الأجنحة: البعثة على الطيران، فشر الدنيا منبعث من قبل اللّه للطيران الى مسجلات الكون آفاقية و انفسية، تيارات الشر و طياراته يوم الدنيا و إلى اعماق البرزخ و القيامة.

فالقرآن يصدق من صيغة الطائر هذه السائغة التي صاغها اللّه، و يكذب ذلك الثالوث الخاطئ من استطارة الأعمال: من اللّه تقدير التسيير الى العمال، «وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» او منه إطارة منك الى سواك، او منه إليك بنفسه او انتاجه، او من الإنسان ككل الى الفناء، كلا ثم كلا إلا إلزاما للعمل و عهدته في عنقه‏ «1» ثم اطارة الى كتاب الآفاق، فآية الطائر تصريحة بما بعدها أن الأعمال ملزمة في ذوات العمال و عهدتهم: «في عنقه» ايحاء ثنائيا يكسح خرافات الأوهام، ثانيهما أن كل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فان قال: في ذاته- لم يدل على عهدته- و ان قال: في عهدته لم يدل على تسجيله في ذاته بصوريته.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 97

عمل فإنما هو على عهدة عامله بخيره و شره في عاجله و آجله، كما و أنه مسجل بصورته الصوتية و الصورية في ذاته، فالعنق عبارة عن الذات حيث الكيان الحيوي للإنسان به اكثر مما سواه، و عبارة عن العهدة، فإلزام طائر الإنسان في عنقه ايحاء بهما جميعا، فالعمل الزائن في العنق كالقلائد و الاطواق، كما العمل الشائن كالاغلال و الأوهاق هما لزام عنقه مهما كانا خفيين يوم الدنيا، فان اللّه يخرجهما يوم الاخرى كتابا يلقاه منشورا.

ثم و الطائر تلويحة باستطارة نسخة عينية من الأعمال الى كتاب الآفاق ثم نجد تصريحتها في آيات تحدث الأرض اخبارها.

«أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» و عل إلزامه طائره يوحي بكون طائره لزام ذاته ككل، و «فِي عُنُقِهِ» بان ما يلزم ذاته هو على عهدته، فهو لازمه لا يفارقه، لا يمكنه ان يتخلص عنه او يتملص منه، لا نفس العمل و لا مخلفاته، فهو كالطوق في عنقه بالزامه إياه و الحكم عليه به.

فلئن اختص هذا الإلزام بعهدة العمل دون نفسه لكان التعبير «الزمنا طائره» دون «ألزمناه» و لو اختص بإلزام العمل دون عهدته لقال: «في ذاته» دون «في عنقه» فثنائية الإلزام لا محيد عنها في هذا الإجمال، و كما تفصلها: «وَ نُخْرِجُ لَهُ‏ ... اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى‏ بِنَفْسِكَ ... «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏» حيث الأولى لزام عمله، و الأخيرة لزام عهدته يجمعهما:

«خيره و شره معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل» «1»

ف‏

«يذكر العبد جميع ما عمل و ما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 144 عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الثاني و أبي عبد الله (عليهم السلام).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 98

الساعة» «1»

ف‏

«اعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في أجلهم» «2».

و في القرآن آيات مفصلات في بقاء العمل و عهدته‏ «3» و في الحديث تفسيرات و تأويلات للطائر «4».

فلا تعني «طائره» سعادته و شقاوته، فإنهما ليستا بمقدرتين إلا حسب سعيه، تقدير اختيار دون اجبارا «5» كما لا تعنى انعدام عمله و لا سواه مما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 144 عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الثاني و أبي عبد اللّه (عليه السلام) في الآية:: الى ان قال: فلذلك‏ «يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً»:

(2) نهج البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) من كلماته القصار (6):

(3) فالآيات في‏ «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» لا لزام العهدة، و الآيات في انعكاس الأعمال في نفس الإنسان و في الآفاق لا لزام نفس العمل في الآفاق و الأنفس (راجع سورة الزلزال و القارعة من الفرقان):

(4)

نور الثقلين 3: 114 في تفسير العياشي عن زرارة و حمران و محمد بن مسلّم عن أبي جعفر و أبي عبد اللّه (عليهما السلام) عن قوله: وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» قال: قدره الذي قدر عليه‏

أقول: يعني قدر الاختيار حسب ما اختار من اعمال لا قدر الإجبار حتى يسير على قدره:

(5)

في الدر المنثور 4: 167- اخرج ابن مردويه عن حذيفة بن السيد (رضي اللّه عنه) سمعت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يقول في حديث تفصيل خلق الإنسان في الرحم:: ثم يقول الملك يا رب أ شقي ام سعيد فان كان سعيدا نفخ فيه بالسعادة في آخر اجله و ان كان شقيا نفخ فيه بالشقاوة في آخر اجله ثم يقول: اكتب اثرها و رزقها و مصيبتها و عملها بالطاعة و المعصية فيكتب من ذلك ما يأمره اللّه به ثم يقول الملك يا رب ما اصنع بهذا الكتاب فيقول: علقه في عنقه الى قضائي عليه فذلك قوله‏ «وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ»-

أقول: «أشقي:: و ان كان شقيا» يوحي بالشقاوة الآجلة بعد التكليف بالاختيار كما في السعادة، و كتابة الشقاوة و السعادة هي كتابة التقدير لما يتقدره المكلف، و كتابة عمل الطاعة و المعصية تعني تقديريهما كذلك، و انهما سيلزمان في عنقه إبقاء لهما و عهدة عليه:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 99

خرفوا له او هرفوه، اللهم إلا «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏»! و ما يروى عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ان طائره هو سعادته او شقاوته باعمالهما ليس ليعني إلا ما تعنيه الآية من إلزام العمل الملتزم بالاختيار دون إلزام الإجبار، «وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» فلا قضاء أزليا يحتم على الإنسان سعادة او شقاء الا بما يحتّمه الإنسان على نفسه كما يحتمه اختيارا دون إجبار.

و ترى ان «طائره» يختص عمله بجوارحه؟ ام و قوله فانه من عمله الطائر، ام و عقيدته و نيته فإنهما من اعمال الجوانح كما تلكما من الجوارح؟ و هما ايضا طائرتان؟

إن الطائر كطائر يعمها كلها «1» فانه يحاسب بها كلها و لا سيما طائر العقيدة فانها تحصّل يوم يقوم الاشهاد كما يحصّل غيرها: «وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ» (100: 10).

و لا يعني التحصيل هنا إلا تكريس ما في الصدور كتابا يقرأ تفهما دون سماع او إبصار، تحصيلا لعقائد أو أفكار و نيات هي من طائر الصدور:

«قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» (3: 30): فيا للإنسان من نفسه مسجلة تسجل مثلث القول و الفعل و السريرة كما قال او فعل او أسر، و مهما غفل- لطول الأمد- عما نوى او اعتقد او قال او اعتمل كشف عنه غطاءه يومئذ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالعمل إذا قورن بالقول و العقيدة دلت قرينته على ان العمل بالأركان فقط، و إذا اطلق دون قرينة شمل قرينيه، و اما الطائر الموحي الى كيان العمل اثباتا مصدقا، او نفيا في مثلثته، فهو طائر اللسان و الجوارح، و الفكر و العقيدة دون إبقاء:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 100

ليرى ما فعل: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (50: 22): بصر العين للمعاينة، و بصر السمع للاستماع، و بصر البصيرة لدرك ما نوى او اعتقد!.

فإنسان القرآن شاشة تلفزيونية و مسجلة للصوت و الصورة و السيرة و السريرة و كتاب للصور و الأصوات و السريرات:

... وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً.

و لماذا «نخرج له» لا نخرجه؟ إن «له» هنا توحي بأن هذا الإخراج ليس إلا لعامله شهادة عينيه فجزاء و ليس للّه فانه يعلمه قبل الإخراج و هو الذي الزمه في عنقه! و لماذا «نخرج ... كتابا» دون «نخرجه كتابا» عله كيلا يتوهم ان الطائر يجعل كتابا يوم القيامة و لم يكن‏ «1» فانما الكتاب هو الطائر و الفرق بين نشأتيه انه في الأولى خفية مغفول عنها، و في الاخرى ظاهرة محتج بها: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (50: 22).

نخرج ما ألزمناه من طائره في عنقه، نخرجه عنه يوم القيامة كتابا ... لم يكن ليمحى بما اندرست أوراقه حيث بلت و رمدت أعضاء الإنسان و هي أوراق هذا الكتاب! حيث استنسخه العلي القدير: «هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (45: 29) كتاب يحير عقول المجرمين: «وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً» (18: 48) و هو من أظهر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فان الإخراج المركب يوحي بأن الحالة الثانية تختلف عن الاولى، و الإخراج غير المركب دليل الوحدة الحقيقية بين الطائر و الكتاب.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 101

الصحف المنشورة «إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» (81: 10) الصحيفة الذاتية المسجلة فيها اعماله!.

ان مثلث كتاب الأعمال هو كتاب اللّه بما استنسخه و سجله‏ «هذا كِتابُنا ...» و هو كتاب الإنسان نفسه بما عمله: «اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى‏ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً»:

هذا كتاب نفسه إذ سجله اللّه في نفس عامله، يقرئه كما هو حيث ينشر كما صدر حالا او مقالا او افعالا، قراءة تفهم الحال فكريا و عقيديا كأنه فكره او اعتقده في الحال، و قراءة سماع المقال كأنه قاله في الحال، و قراءة رؤية الأعمال كأنه عملها في الحال‏ «1» و أوراق الكتاب هي نفسه في مثلث الأسطر التي استنسخها اللّه، و كفته نفسه حسيبا عليه حيث تكبتها بحجتها العينية الحاذرة الحاضرة: «وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً» كما عملوا «وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً» فلو كان هذا الكتاب ما يحبر بقلم ام ماذا؟

لم يكن نفس العامل، فلم يكن نفسه فيه حسيبا، و لا يكفي الكتاب المجر بقلم يحكي عن طائره حكاية وضعية، لا يكفي عليه حسيبا إذ له نكرانه حيث لا يشهد شهادة عينية كافية و ليس ليقرؤه إلا من تعلم القراءة قبلها.

و ان كتاب النفس المنشور بما ينشره اللّه يقرأ بنفس اللغة التي صدرت لغة الحال و المقال و الأفعال، دون حاجة الى ثقافة اخرى سوى التفهم و السمع و البصر، ثم هناك كتاب آخر يؤاتيه هو الأرض بفضائها «2» و كتاب‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ف «نفسك» هنا مجموع الروح و الجسم حيث هما يشهدان الشهادة العينية في المثلث المذكور.

(2) كما تدل عليه آيات الزلزال‏ «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها ...» راجع ج 3 من الفرقان تفسير الزلزال.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 102

ثالث هو ما يكتبه الكرام الكاتبون‏ «1» و رابع هو ما يتلقاه الشهود «2» اشهاد اربعة و متوافقة «يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ» و ان كان‏ «كَفى‏ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً» «3»: دون حاجة الى الثلاثة الآخرين و لكن لتحيط بك الشهود نفسيا وافقيا فلا تبقى لك أيّة عاذرة!.

في كتاب النفس نجد لسان المقال و جوارح الأفعال كما الجوانح تشهد بما كانوا يعملون إلقاء يوم يقوم الاشهاد كما شهدت تلقيا: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ. يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» (24: 26) «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى‏ أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» (36: 66) ختما على الأفواه صدا عن تكلم الألسن اختيارا كما تشاء نكرانا لما قالته او عملته الجوارح و تفتحا لأقوال الألسن المخرجة عنها يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، فالألسن المنفصلة عن ألسن القائلين تتكلم بما تكلمت طوال التكليف، فشهادة الألسن على أصحابها قد تكون اختيارا، و لا يختار المجرم كلاما على نفسه، او اجبارا و هو بعيد غاية البعد عن الشهادة الحق من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). عله يدل عليه مثل قوله تعالى: «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ: كِراماً كاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ» راجع نفس المصدر و يعني الكتاب هنا أيضا ما سجله اللّه بعماله الكرام الكاتبين في انفس المكلفين و الجو الذي يعيشون فيه، او ان كتابهم عنا علمهم بأعمالنا بما علمهم اللّه كما قد يوحى به‏ «يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ».

(2) تدل عليه آيات شهادة الشهود المبعوثين يوم يقوم الاشهاد كقوله تعالى: «يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى‏ هؤُلاءِ.» (16:) 92) «وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَ وُضِعَ الْكِتابُ وَ جِي‏ءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ: وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ» (39:) 71).

(3) قد تكون الباء في «بنفسك» زائدة للزينة كما يقال، و قد تكون للتعدية السببية ان نفسك سبب الشهادة و الحساب عليك.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 103

القدير الرحيم، على ان الأفواه مختوم عليها فلا كلام أيا كان من الألسن في الأفواه، و انما الشاهد عليه هو لسانه المنفصل المخرج، ان تنقل الألفاظ عن اللسان الى غير اللسان فيشهد بما قال: كمسجلات سجلت فيها ما قالت شهادة عليهم كما تشهد الايدي و الأرجل شهادات عينية عادلة: «وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ. وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ... وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَ ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ» (41: 23).

فالجلود تعم جوارح الإنسان بما فيها سمع الأذن و بصر العين، كما و قد تشمل كل جسم الإنسان حيث هو جلد لروحه، و السمع هو سمع القلب كما البصر بصره و إن كانا يشملان سمع الأذن و بصر العين، و من الجلود الألسن كما هما منها، فالإنسان بكله، بروحه و جسمه كتاب لمثلث الأعمال، شاهدة عليه يوم يقوم الاشهاد.

مَنِ اهْتَدى‏ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏ وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15).

ضوابط ثلاث تضبطها هذه الآية لا محيد عنها و لا مناص:

1- إن الاهتداء و الضلالة تنحصران نفعا و ضرا بأصحابهما و تنحسران عن سواهما، ف‏ «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (74: 38) دون رهانة بما لم تكسب او كسبت غيرها، فالعمل الطائر- رغم زعم الجاهلية- كما لا يطير عن عامله الى الفناء، كذلك لا يطير عنه بتبعته الى سواه، و إنما التبعة الفردية تربط كل انسان بنفسه: «قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 104

مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى‏ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» (10: 108).

ترى إذا اختصت الضلالة و الهدى بمن ضل و اهتدى، فكيف يؤمر المهتدون أن يهدوا، و ينهى الضالون ان يضلوا؟

الجواب: أن الحصر هنا نسبي يعني- فقط- نفي انتقال الهدى و الضلالة بآثارهما الى غير أصحابهما، كما تعنيه آية الطائر، و لا يعني عدم بث الهدى ام ماذا؟

2- «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏» إن الهدى و الضلالة هما لزام أصحابهما، ما من احد يحمل او يتحمل حمل احد و لا يحمله و لو كان ذا قربى: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏ وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى‏ حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْ‏ءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى‏» (35: 18) و إن وزرت كمثلها او تزيد إذا أضلت غيرها، و لكنها ليست لتخفف في حمله حمل التي ضلت بإضلالها: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْ‏ءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ. وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ» (29: 13) فهؤلاء المضللون يحملون وزري ضلالهم و إضلالهم: أثقالهم و أثقالا مع أثقالهم دون ان ينقص من أوزار من ضلوا بهم شي‏ء: «لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ» (16:) 25) «مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها ...» (4: 85) «1»

تعني هذه الضابطة فيما تعني أن أولاد الكفار- الصغار- لا يعذبون‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). حديثه متظافر و راجع تفسير آية الوزر في ج 27 ص 450- 457 سورة النجم من الفرقان، ترى فيه حوارين حول آية السعي و الوزر جوابا عمار بما يسأل حولها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 105

بكفر آباءهم‏ «1» كما أن أولاد المؤمنين لا يثابون بإيمانهم، و ان كانوا جميعا من اهل الجنة، لطفا بهم حيث لم يذنبوا، و عطفا زائدا بآباء مؤمنين. حيث الاجتماع لهم بأولادهم الصغار حظوة لهم و رحمة «2» و مختلف الحديث حول العذاب‏ «3» و اللّاعذاب معروض على الآيات الناكرة لعذابهم، حيث‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 168- اخرج قاسم بن اصبغ و ابن عبد البر عن انس (رضي اللّه عنه) قال: سألنا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) عن أولاد المشركين قال:

هم خدام اهل الجنة.

أقول: لماذا خدامهم و ليسوا منهم كما هم؟ لأنهم لم يعملوا اعمالهم فليسوا في درجاتهم و خدمتهم لأهل الجنة لا تكلف فيها و هي رحمة لهم و أولاء.

و

فيه و اخرج ابن سعد و احمد و قاسم بن اصبغ و ابن عبد البر عن خنساء بنت معاوية الضمرية عن عمها قال: سمعت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يقول: النبي في الجنة و الشهيد في الجنة و المولود في الجنة و الوئيد في الجنة.

(2) راجع ج 27 من الفرقان تفسير الآية (الحقنا بهم ذريتهم) تجد فيه بحثا فصلا حول الموضوع.

(3)

في الدر المنثور 4: 168 باسناده الى الصعب بن جثامة (رضي اللّه عنه) قال‏ قلت يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) اني قضيت في البنات من ذراري المشركين؟ قال: هم منهم-

أقول تطرده آية الوزر و أمثالها، و لا يصلحه‏

المروي عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فيما أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت‏ سألت خديجة (رضي اللّه عنها) رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) عن أولاد المشركين فقال: هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال: اللّه اعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزلت‏ «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏» فقال:

هم على الفطرة او قال: في الجنة.

أقول: و هذه فرية وقحة على الرسول انه حكم على خلاف العقل و العدل ان أولاد المشركين معهم، دون سناد الى وحي، و لم يكن الرسول يحكم الا بوحي، و لا حتى بعقله المنير الذي فاق العقول فكيف يحكم بما يخالف العقل و الوحي معا و حتى إذا كان السؤال قبل نزول آية الوزر فليصبر حتى يحكم اللّه، او يحكم بما نزلت قبل من آيات تنص بعدل اللّه و فضله ام على اقل تقدير يحكم بعقله!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 106

«لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏» ثم و بالموت ينقطع التكليف فلا يكلفون بشي‏ء في الأخرى‏ «1».

و ترى القاعدة الفقهية (الدية على العاقلة) هل تعرقل قطعية هذه الضابطة، و هي من العمومات الآبية عن التخصيص؟.

الجواب ان لا ذنب للقاصر حتى يؤخذ به عاقلته، ثم و غض النظر عن الدية إجحاف على صاحب الحق، و القاصر لا يملك الدية، و إن ملكها فالعاقلة أحرى بتأدية الدية، إذ كان عليه تربية القاصر و الحفاظ عليه كيلا يجني جنايته، فإذا وقعت الجناية كان أقل ما يؤخذ عليه العاقلة- الدية، فالعاقلة إذا وازرة وزر نفسها!.

أو أن الدية ليست وزر الجناية، إنما هي بحكم اللّه على العاقلة- كما عليه نفقة القاصر، حفاظا على حق المجني عليه، و لا أحق هنا من العاقلة ولاية له على القاصر.

او ان الدية جامعة الأمرين دون أن يكون هناك وزر على القاصر، اللهم إلا وزرا على العاقلة بما له ولاية، و هذا الجمع أجمل.

ثم ترى ان مواصفة النفس بالوازرة حيث لا تزر وزر اخرى هلّا تخرج نفسا غير وازرة و هي العادلة المعصومة عن الوزر و إذا لا فلما ذا «وازرة» و إذا بلى فلتكن غير الوازرة وازرة وزر اخرى او آهلة ان تتحمل حملها! علّ الوازرة هي التي تحاول ان تزر وزر اخرى و ان لم تكن وازرة لنفسها، ثم إنّ المعصومة كيف تزر و لماذا؟ فهل تزر وزرا اخرى تبرءة لها بتحمل وزرها فتعصي بعصيانها و تعذّب بعذابها؟ و هذا خروج عن العصمة ثم و خروج عن حكم الآيات الناكرة لهذه النيابة النكدة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالروآيات القائلة انهم يمتحنون بما يكلفون يوم القيامة مؤله او مضروبة عرض الحائط.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 107

«يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ» (2:) 48).

ام تزر إبطالا لعقوبته عن الاخرى و عن نفسها، و هذا غفران دون سبب و ليس الغفران بسببه ايضا إلا للّه «و هل يغفر الذنوب إلا الله» ثم و ليس هذا حملا لحمل اخرى! ... وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا.

ترى ما هو العذاب المنوط ببعث الرسول؟ و هل إن بعثه دون وصول بلاغه كاف في استحقاق العذاب؟

هل يعني هذا العذاب مطلق العذاب، حتى المستحق بالتخلف عن وحي الفطرة و العقل، او عن وحي الشعور لغير ذوي العقول؟ و إن عذاب ربك لواقع في اي تخلف! ف‏ «ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْ‏ءٍ ثُمَّ إِلى‏ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» (6: 36) و لا يعني حشرهم الى ربهم إلا جمعهم اجمع الى ربوبية الجزاء الثواب او العقاب، لا سيما في العصيانات الظالمة الفاحشة، فاللّه أعدل من ان يترك الظالم و لا يأخذه لا في الدنيا و لا في الآخرة «1»: «وَ لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ ...»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 1: 592 عن الفقيه‏ ان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ابصر ناقة معقولة و عليها جهازها فقال: اين صاحبها؟ مروة فليستعد للخصومة.

و

في المجمع عن أبي ذر قال: بينا انا عند رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إذا انتطحت عنزان فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): أ تدرون فيما انتطحا، فقالوا: لا ندري قال: و لكن الله يدري و سيقضي بينهما.

و

عن الكافي باسناده الى الكلبي النسابة قال‏ قلت لجعفر بن محمد (عليه السلام) ما تقول في المسح على الخفين؟ فتبسم ثم قال: إذا كان يوم القيامة ورد الله كل شي‏ء الى شيئه ورد الجلد الى الغنم فترى اصحاب المسح اين يذهب وضوءهم!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 108

(14: 42) مهما كان الظلم يشعر بشعور، ام بفطرة او عقل، ام بوحي النبوة، و ان كانت تختلف بمختلف مراتب الإدراك.

و القاعدة الاصولية العقلية «قبح العقاب بلا بيان» لا يصح أن تعني خصوص بيان وحي النبوة، فإن وحي الشعور بيان، و وحي الفطرة بيان، و وحي العقل بيان، و إن كان بيان الشرع أشمل، كما و ان تكليفه أعضل.

و الآيات التي تعذر العذاب لو لا بعث الرسل، لا تعني إلا العذاب الناتج عن عصيان هؤلاء الرسل، لا مطلق العذاب المستحق بعصيان سائر الرسل: شعورا و فطرة و عقلا! و إنما «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (4: 165) حجة أننا كانت لنا هدى فوق ما تهدينا إليها عقولنا بالرسل فلما ذا لم تبعث إلينا رسولا، ثم و حجة ألّا عقاب في عصيان الرسل و لم تبعث الرسل! بل و لا عصيان إذا في خلافهم قبل بعثهم، بل لا يحصل إذا خلاف.

او تعذر عذاب الاستيصال الناتج عن التخلف الفاحش المتهدم للرسالات.

«وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى‏» (20: 134).

علّه أو انه المقصود هنا فحسب، أو هو القدر المتيقن كما توحي له «ما كنا» ك‏ «لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ» حيث تعطف الى العذاب الماضي و هو الاستئصال في الدنيا، ايحاء برحمة رحيمية في سنة دائبة إلهية ألا عذاب في الأولى حتى يبعث رسولا ثم يعصى بما لا تتحملها رسالة و لا حياة انسانية، و كما توحي له التالية المقررة لظرف هكذا عذاب: «وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ...» وَ كَمْ أَهْلَكْنا ...» ان إهلاك القرى لا يراد إلا في هكذا عصيانات.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 109

إذا ففي عصيان وحي الشعور- كما للطير و الدواب- عذاب قدره يوم الحشر قليلا، دون الدنيا و البرزخ إلا قليلا، و في عصيان وحي الفطرة و العقل كذلك و اكثر قد يكفيه عذاب في البرزخ. و في عصيان غير فاحش لوحي النبوة عذاب في البرزخ او في الحشر، ثم و في عصيان فاحش لوحي النبوة حيث يهدم أركان بناية المجتمع عذاب الاستئصال في الدنيا ثم و في البرزخ و الحشر عذاب دائب اليم، فالمعذب في الدنيا للعصيان الطغيان يعذب بالأحرى في البرزخ و الأخرى، و ليس كل معذب فيهما يعذب في الأولى.

و قد تشمل «ما كنا» عذابي الأولى و الاخرى في نطاق التكاليف الرسالية، لا مطلق العذاب و إن في نطاق التكاليف الثلاثة الاخرى‏ «1» و لا خصوص الأولى، فكما العذاب الأدنى في التخلف عن وحي الشعور ليس إلا في حاضر الشعور، ثم أعلى منه في الفطرة، فأعلى في العقل، كذلك الأعلى تخلفا عن وحي الشريعة في العصيانات العادية، ثم التخلف القمة في الأولى قبل الاخرى عذاب الاستئصال و التدمير، و ليس الا في حاضر الرسالة. للقاعدة العقلية «قبح العقاب بلا بيان» الشاملة له و لما قبله.

فلا تعني‏ «حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» إلا بيان الرسالة ببلاغها، إن للمترفين الطاغين فعذاب الاستئصال هنا ام للناس أجمعين فعذاب في الاخرى، و إن كان القدر المتيقن هو الأولى و في هامشه الاخرى، ثم العصيان في أية رسالة من الرسالات الخمس يخلف وجوب العقاب إذا كان ظلما و تعديا على الخلق أيا كان، أو جوازه إذا كان تقصيرا بحق الخالق دون خلقه، و لم يكن في تركه تسوية ظالمة بين المطيع و العاصي، فالسماح عن بعض المعاصي هو قضية الفضل و الرحمة الواسعة كما في المستضعفين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). شعورا و فطرت و عقلا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 110

«إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً» (4: 99) هذا السماح ليس ظلما و تسوية، و اما السماح عن اي ظلم بالنسبة للخلق دونما أي مقابل فهو ظلم بعيد عن ساحة العدل الرباني.

و «حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» تعني الرسالة البالغة الى المكلفين بأحد شطريها، ثم الثلاث الاخرى كذلك البالغة الى مكلفيها، ففي كل رسالة بالغة على حدها حجة، و في التخلف عنها جواز او وجوب العذاب، من دنيوي بسيط الى برزخي بمراتبه، إلى أخروي كذلك، و الى عذاب الاستئصال في الدنيا اضافة الى الاخرى.

ثم و بعث الرسول يحمل أمرين: بلوغ المرسل إليهم و بلاغ الرسالة، حيث الرسالة الى غير البالغ قاصرة المفعول، و الرسالة غير البالغة الى البالغين ليست رسالة، و كما للبلوغ درجات كذلك للرسالة الى البالغين درجات، و الثواب و العقاب يقدران على قدر الدرجات: «وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» (6: 19): بلغ هو و بلغته الرسالة.

و البلاغ يتطلب أمرين: بلوغ المبلّغ إليه عقلا فتكليفا، و وصول الرسالة اليه واضحا و بليغا، لذلك فمن الناس من ليس عليه اي تكليف كالمجانين، و منهم من يكلفون تكاليف حسية دنيوية كما يعقلون، كالصغار العقلاء، و منهم من يكلفون كذلك و قسما من الأخروية دون إطلاق كالسفهاء و سائر المستضعفين، و الأخيران عسى اللّه ان يعفو عنهم إذا لم تكن السفاهة و الاستضعاف بذات أيديهم و تقصير منهم، حيث التقصير أيا كان يتطلب جزاء على قدره ف‏ «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 111

فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً» (4: 99).

فالرسالة غير البالغة الى المكلفين دون تقصير منهم، او البالغة الى غير البالغين كالمجانين ثم البله ثم المستضعفين القاصرين، هذه الرسالة لا تحتم أي عذاب في نطاقها و كما لا تجوزه خلافا لما يروى‏ «1».

كما و ان البيان الرسالي كلما ازداد إزداد تحتم العقاب و قدره، كالحاضرين بلاغ الرسالة، و الذين منحوا عقلا او علما زائدا

«فإنما يداق الله العباد يوم القيامة على قدر عقولهم» «2»

: وعيهم للبلاغ ثم و يعاكسه كلما نقص البيان الرسالي او انتقصه المرسل إليهم قصورا، كالغائبين البعيدين عن بلاغ الرسالة، و الذين لم يمنحوا عقلا راجحا او علما زائدا،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في الدر المنثور 4: 168 باسناده عن الأسود بن سريع ان النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال: اربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا و رجل أحمق و رجل هرم و رجل مات في الفطرة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام و ما اسمع شيئا و اما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام و الصبيان يحذفونني بالبعر و اما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام و ما اعقل شيئا و اما الذي مات في الفطرة فيقول: رب ما اتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطعنه و يرسل إليهم رسولا ان ادخلوا النار قال:

فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم بردا و سلاما و من لم يدخلها اسحب إليها.

و

فيه عن انس قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يؤتى يوم القيامة باربعة بالمولود و المعتوه و من مات في الفطرة و الشيخ الهرم الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك و تعالى لعتق من جهنم ابرزي و يقول لهم كنت ابعث عبادي رسلا من أنفسهم و اني رسول نفسي إليكم فيقول لهم: ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء يا رب أ ندخلها و منها كنا نفر، قال: و اما من كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها فيقول الرب قد عانيتموني فعصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيبا و معصية فيدخل هؤلاء الجنة و هؤلاء النار.

(2) الكافي باب العقل و الجهل عن الإمام الصادق (عليه السلام).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 112

فقضية العدل الرباني هو العقاب قدر التخلف و كيانه و اثره، مع ما تقتضيه الرحمة الالهية لانتقاص العذاب او تركه ما لم يخالف العدل، فالثواب من آثار الفضل و الرحمة و العقاب من آثار العدل و الرحمة.

و الأحاديث المروية عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أن المعذورين هنا يكلفون يوم القيامة فيثابون إن أطاعوا و يعذبون إن عصوا، إنها تخالف الضرورة الإسلامية القائلة:

«إن اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل»

المستفاد من آيات بينات و تواتر الروايات.

ثم لو اعطوا هنا لك عقولا كافية لم يكونوا ليعصوا اللّه تعالى و هو رسول نفسه دون حجاب الرسالات الاخرى. و هو يوم تكشّف الحقائق و هم يرون مع ما يرون- الجنة و النار!.

ثم ان «و ما كنا» «1» إنما تنفي عذاب الاستئصال‏ «حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» ان جواب هكذا عذاب ليس الا في ظرف بعث رسول، لا أن بعث رسول و عصيانه أيا كان يقتضي هكذا عذاب، و إنما إذا أمر المترفون ففسقوا، ف‏ «إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ ...» بيان لنطرف عذاب الاستئصال‏ وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً (16).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). قد تكون «كنا» هنا منسلخة عن اي زمان؟ و العذاب و اللاعذاب و بعث الرسل زماني! ... او انها منسلخة عن مضيها فتشمل مثلث الزمان، فهي إذا تنفي مربع العذاب في مثلث النشآت، الناتج عن عصيان الرسل؟ و هذا اشمل الاحتمالات و أجملها! ... او انها تعني خصوص الماضي دون نفي للمستقبل، ان السنة الإلهية مستقرة في اللاعذاب الاستئصال في ماضي الاولى او مستقبلها، ثم الاخيرة هي القدر المتيقن و المورد للآيتين بعدها، الا ان بعث الرسل بمجرده و التخلف عنهم أيا كان لا يقتضي عذاب الاستئصال، اللهم الا ان يعنى ظرف الاستئصال انه بلاغ الرسل فعصيانهم المتهدم كما توحيه آية المترفين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 113

أسئلة عدة تطرح حول مواضيع من هذه الآية إذ كثرت الأقاويل حول الاجابة عنها:

1- كيف تتقدم ارادة الإهلاك على موجبه‏ «فَفَسَقُوا فِيها» و موجب الإهلاك ليس إلا قبل إرادته، فإن كانت متعلقة بعذاب مستحق بغير هذا الفسق لم تكن لها صلة بهذا الفسق، و إن كانت به نفسه فكيف تتقدمه، او انها إرادة لإهلاك قرية دون صلة لها بأي فسق؟ ثم كيف يتخلف مراد اللّه عن ارادته- و هي نافذة- بما يقدّمه من تقدير للفسق؟

أقول: إنها إرادة للإهلاك بفسوق القرية عامة، حيث الآية السالفة بينت مورد استحقاق العذاب انه في ظرف بعث الرسول و عصيانه، فهنا استحقاق قاطع لعذاب الاخرى، و استحقاق جائز لعذاب الأولى لا يتطلب إلا ارادة الإهلاك دون إمضاءه فتحقيقه، و مما يوحي بذلك واو العطف في‏ «وَ إِذا أَرَدْنا» حيث تعطف إرادة العذاب هذه الى بعث الرسول فعصيانه.

و ارادة اللّه منها حتم و منها دون ذلك، فحتمها لا مردّ لها «وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ» (13: 11) و دونه فيه مرد و بداء و هي التي لم تكمل بعد معداتها، و لا مرد في إرادة التكوين حيث هي حتم‏ «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (36: 82) و قد يكون مرد منه او تصبر حتى يحصل منجزاتها فيما دون هكذا تكوين كإهلاك قرية فاسقة لم تتم منجزات استئصالها كفسوق مترفيها عما أمروا به فيها.

فهنا إرادة للإهلاك بعدها تقدير لتحقيقها: «أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها» فقضاء: «فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ» فإمضاء: «فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً» كما و قبلها مشية و علم، و قبل هذه المشية ايضا تقدير لها هو عصيان القرية للرسول حيث يتطلب عذابا محتوما في الأخرى و آخر غير محتوم في الأولى.

فقد علم اللّه ان اهل هذه القرية فسقت و من ثم يفسق مترفوها إذا أمروا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 114

فيها، فشاء أن يهلكهم فأراده، فقدر ما أراد بما أمر مترفيها ففسقوا فيها، فقضى ما قدر بما حق عليها القول، فأمضى ما قضى‏ «فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً» «1».

و كما

سئل الإمام الباقر «عليه السلام» كيف علم اللّه؟ قال: علم و شاء و أراد و قدر و قضى و أمضى، فأمضى ما قضى و قضى ما قدر و قدر ما أراد، فبعلمه كانت المشية، و بمشيته كانت الإرادة و بإرادته كان التقدير، و بتقديره كان القضاء و بقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدم على المشية و المشية ثانية، و الارادة ثالثة و التقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فللّه تبارك و تعالى البداء فيما علم متى شاء و فيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء «2».

إنّ مشيته تعالى هي همه بالشي‏ء و هي ابتداء الفعل، و إرادته هي إتمامه على المشية و الثبوت عليها، و تقديره هو الهندسة من الطول و العرض و البقاء، و كما يروى عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام‏ «3» فلكل ارادة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فلمشية العذاب و ارادته تقدير هو عصيان عامة القرية، و لتحقق كلمة العذاب.

تقدير هو ان يؤمر مترفوها فيفسقوا فيها.

(2) التوحيد للصدوق رحمه اللّه.

(3)

محاسن البرقي عن أبي الحسن (عليه السلام) ليونس: لا تتكلم بالقدر، قال:

اني لا أتكلم بالقدر و لكن أقول: لا يكون الا ما أراد اللّه و شاء و قضى و قدر فقال:

ليس هكذا أقول و لكن أقول: لا يكون الا ما شاء اللّه و أراد و قدر و قضى ثم قال:

أ تدري ما المشيئة فقال: لا- فقال: همه بالشي‏ء (ابتداء الفعل) او تدري ما أراد؟

قال: لا قال: إتمامه على المشيئة (الثبوت عليه) فقال او تدري ما قدر؟ قال: لا قال: هو الهندسة من الطول و العرض و البقاء ثم قال: ان اللّه إذا شاء شيئا اراده و إذا أراد قدره و إذا قدره قضاه و إذا قضاه أمضاه الحديث. و رواه مثله من «ان الله» في محاسن البرقي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام).

و

في اصول الكافي 1: 48 ح 3 عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن (عليه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 115

تقدير حتى تنتهي إلى إرادة محتومة فقضاء و إمضاء و القضاء هو حق القول:

تحتم كلمة العذاب و لم تكن قبل هذا التقدير محتومة و إنما جائزة «1».

ثم الإرادة حتما و دونه هي صفة فعل حادثة و ليست أزلية و كما في حوار الإمام الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي‏

قال (عليه السلام): الا تخبرني عن قول اللّه عز و جل: «وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً ...» يعني بذلك أنه يحدث ارادة؟ قال: نعم- قال: فإذا أحدث إرادة كان قولك:

إن الإرادة هي هو او شي‏ء منه باطلا، لأنه لا يكون ان يحدث نفسه، و لا يتغير عن حاله تعالى اللّه عن ذلك! قال سليمان: إنه لم يكن عنى بذلك أنه يحدث إرادة قال (عليه السلام): فما عنى به؟ قال: عنى فعل الشي‏ء، قال (عليه السّلام): ويلك كم تردد في هذه المسألة و قد أخبرتك أن الارادة محدثة لأن فعل الشي‏ء محدث، قال: فليس لها معنى! قال (عليه السلام): قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له؟! فإذا لم يكن لها معنى قديم و لا حديث بطل قولكم: إن اللّه عز و جل لم يزل مريدا! قال: إنما عنيت انها فعل من اللّه تعالى لم يزل، قال (عليه السلام): ألا تعلم ان ما لم يزل لا يكون مفعولا و قديما و حديثا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

السلام) اخبرني عن الارادة من اللّه و من الخلق؟ قال فقال: الارادة من الخلق الضمير و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل و اما من اللّه تعالى فإرادته احداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي و لا يهم و لا يتفكر و هذه الصفات منفية عنه و هي صفات الخلق فارادة اللّه الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همة و لا تفكر و لا كيف لذلك كما انه لا كيف له.

أقول: يعني (عليه السلام) كما انه لا كيف لذاته كذلك لا كيف لفاعليته و ان كان مفعوله مكيّفا بكيف فانه فعله، فإرادته من حيث هي لا كيف له كذاته و لكن مراده مكيّف فافهم.

(1). ان كلمة العذاب هنا جائزة حين أراد اللّه إهلاك القرية و لكنها حقت حين فسق مترفوها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 116

في حالة واحدة؟ فلم يحر جوابا» «1».

2- و ترى ما هو الأمر هنا؟ و بماذا؟ و لماذا يخص مترفيها؟: فان كان هناك شرع عم المترفين و سواهم و إلا فلا أمر شرعيا للمترفين؟! الأمر هنا كما في أضرابه تشريعي لا تكويني كما يهرفه من لا يعرف مواضيع الكلام‏ «2» و هو أمر بالتقوى و ترك الطغوى للمترفين‏ «فَفَسَقُوا فِيها»: خرجوا عن الطاعة و خالفوا أمرنا، فالنص «أمرنا ففسقوا» لا «أمرناهم بالفسق ففسقوا» و فسق الأمر هو عصيانه و التخلف عنه، و «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى‏ وَ يَنْهى‏ عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ ...» (16:) 90) «وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» (7: 29) فإنما ذلكم الشيطان‏ «يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» (2:) 169) و ما اقبحه و اهرفه فرية على الرحمان بما يأمر به الشيطان‏ «3»! و ثم إذا كان أمرا بالفسق- عوذا باللّه- فليكن تطبيقه طاعة تستحق الثواب، فلما ذا «فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً»؟ إذا فليس إلا فسقا عن أمر هام يتطلب هكذا تدمير!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 145 في عيون اخبار الرضا في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي بعد كلام طول قال الرضا (عليه السلام): ...

(2) في امر التكوين تسييرا إجبار بالفسق و ما أظلمه إذا تعذيب المترفين بفسق اضطرهم اللّه فيه، و امره تخييرا و هو الاذن في حصول الفسق كجزء أخير للعلة التامة الحاصل بعد ما قدم المختار كل اختياراته في عملية الفسق، هذا و ان كان صحيحا في نفسه و لكنه هنا لا يصح حيث يعم الفساق مترفين و سواهم دون اختصاص بالمترفين.

(3) و كيف يأمر اللّه بالفسق، و ثم إذا أطيع في امر الفسق يدمر، و ما ربك بظلام للعبيد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 117

و أما اختصاصه بالمترفين؟ فلان الأوامر تختلف حسب الظروف و القابليات و المتطلبات فردية و جماهيرية، و المترفون و هم المتوسعون في نعمة حيث يبدلونها نعمة و نقمة، في دولة او دولة، في مال او منال في أنفس أو أموال أو احوال، هؤلاء هم البغاة الطغاة في الأغلبية الساحقة، فالأوامر المتجهة إليهم هي غير ما يوجه إلى غيرهم، إذ لا يؤمر بشي‏ء إلا من عنده ذلك الشي‏ء و ليس لغير المترفين ترف حتى يؤمروا في ترفهم سلبا لطغوى الترف و إيجابا لتقواه، ففي ائتمارهم اعتمار القرى و تعميرها، و في فسقهم اضطرارها و تدميرها.

فالمترفون هم الذين وسع اللّه عليهم في نعم امتحانا و امتهانا إذ كذبوا بلقاء الآخرة: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» (23: 33) فلا يترف في نعمة إلا من يتطرف في اللامبالات ثم يزداد عتوا و نفورا: «وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كانُوا مُجْرِمِينَ» (11: 116) كانوا قبل ان يترفوا مجرمين، مجتنين ثمرات الحياة الى الحيونات فاتبعوا ما أترفوا فيه فكانوا أظلم و أطغى، فهم الناكرون دوما للرسالات: «وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ» (34: 34) «... إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى‏ أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى‏ آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ» (43: 24) .... «حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذابِ إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ» (23: 64) «فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ. لا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلى‏ ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ. قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ» (21: 15).

3- و ترى هؤلاء المترفون يستحقون بفسقهم التدمير، فما ذنب سائر اهل القرية يشملهم عذاب التدمير، و هناك قرى يخص تدميرها بمترفيها:

«... وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كانُوا مُجْرِمِينَ» (11: 116)؟.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 118

إن عذاب التدمير الاستئصال لا يشمل إلا الظالمين، فإن كانوا مترفين فحق لهم أصليا، و إن كانوا مستضعفين يفسحون مجالات لفسوق المترفين، متخاذلين أمامهم، لا يدافعون عن حقوقهم و لا يمسكون على أيديهم، و بذلك يعم الفسق، تحللا للقرية الظالمة بمترفيها و سائر من فيها، و ترهلا لها فتأهلا لعذاب شامل، فليس المسؤول فيها هنا فقط المترفون، بل و المستضعفون المتخاذلون حيث فسحوا مجالات لهم و تسامحوا عما أترفوا و أفسدوا ... «ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى‏ قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ» (8: 53) و ليس اللّه ليمنع المجرمين عما يجرمون و المستضعفون يسمحون لهم و يتسامحون: «وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ. وَ ما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى‏ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ ما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى‏ إِلَّا وَ أَهْلُها ظالِمُونَ» (28: 59) سواء أ كانوا من أصول الظلم الطواغيت و الأكابر المجرمين، ام من فروعه المستضعفين، حيث يتقبلون فيستقبلون الظلم فهم إذا ظالمو أنفسهم و سواهم: «فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَ مَضى‏ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ» (43: 8) «وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ. فَما كانَ دَعْواهُمْ إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا إِلَّا أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ» (7: 5) «فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَ هِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى‏ عُرُوشِها ...» (22: 45): «فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ» (6: 6) «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى‏» (20: 134).

و الرأس الرئيس في معارك الدمار هو فسق المترفين المبطرين: تكذيبا للرسل: «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْناهُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» (26: 129) و الإجرام الفاحش المتهدم: «أَهْلَكْناهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ» (44: 37) و لا سيما المتمكنين المسرفين: «أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ...» (6: 6) «ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 119

وَ مَنْ نَشاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ» (21: 9).

إذا فعذاب الاستئصال إنما يخص المترفين المبطرين إذا لم يسايرهم المستضعفون حيث يتشاركون أصلا و هامشا في التخلف عن مواضيع من أوامر الرسالات الإلهية، ما تتهدم به بنايات المجتمع و تنفصم به عراه، فتدمر به قراه.

هذه سنة اللّه الدائبة السارية لسائر القرى أنها هالكة بما تهلك نفسها بالسبعة أبواب الجحيم التي يتفتحها المترفون: استكبارا و استعمارا و استثمارا و استحمارا و استبدادا و استخفافا و استضعافا! ثم المستضعفون المترذلون يدخلون هذه الأبواب تخاذلا و تكاسلا فيحنون ظهورهم لهم ليحتنكوهم فيركبوهم و الى جهنم و بئس المصير.

هكذا نتمشى في تفسير هذه الآية الغرة و اضرابها كما تعنيها، دونما تحميل عليها ما لا تتحملها من احتمالات: معنويا او قراءة تختلف عن هذه المتواترة في كتب القرآن، كأن يبدل أمرها بتأميرها «أمرنا» «1» فرارا عن أمره تعالى- في زعمهم- بالفسق الى تأميره الفساق، ك‏ «كَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها وَ ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ ما يَشْعُرُونَ» (6: 123).

ام ان‏ «أَمَرْنا مُتْرَفِيها» هي صفة القرية وصلتها، لا جوابا ل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما

في نور الثقلين 3: 145- العياشي عن حمران عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية: أمرنا مترفيها مشددة منصوبة تفسيرها كثرنا و قال: لا قرأتها مخففة

و

في روآية اخرى عنه (عليه السلام) قال: تفسيرها أمرنا أكابرها

، و

فيه عن المجمع‏ آمرنا بالمد عن علي (عليه السلام).

أقول: في تعارض الروايتين تساقطهما، و في إرجاعهما الى كتاب الله تصديق للثانية ثم و تكذيب للثالثة، اضافة الى ان التأمير جعل للأمير و ليس التكثير!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 120

«إِذا أَرَدْنا» كما مضى، فتبقى «إذا» إذن بلا جواب حاضر، لأنه ظاهر بنفس الكلام: «فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً» «1».

او ان «أمرنا» تكويني بحيث لا ينافي الاختيار، إذنا و إرادة من اللّه في فسق المترفين كجزء أخير للعلة التامة بعد توفر الإختيار لمعدات الفسق المختار «2».

و هذه كلها من غثها و سمينها في نفسها ليست الآية لتعنيها، فالقرآن حمال ذو وجوه فاحملوها الى احسن الوجوه، و أحسنها ما يحملها دون تحميل كما أحسناه ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، دون الأمر التكوين الذي يسير المترفين الى الفسوق دونما اختيار، و لكن الأول هو الأول فانه احسن الوجوه لفظيا و معنويا.

وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفى‏ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (17).

القرن زمنيا أجزاء من الزمان مقترنة ببعض اعتبارا كمائة سنة، و حقيقة كسائر الزمن يوم الدنيا ثم البرزخ ثم الاخرة، و من حيث الأنفس: القوم المقترنون في زمن واحد، و عل وحدة الزمن هنا تعني الوحدة النوعية، و قرن زمني هو الأكثر لبقاء نسل يخلفه آخرون.

و هنا قرون هالكة بما أهلكت حيويتها، و فسحت مجالات المترفين المترهلين فيها، هلكة عن هلكة طبقا عن طبق‏ «وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً»! سنة مضت في الأولين من بعد نوح قرونا تترى، في ذنوب و تبعات لتخلفاتهم التي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و المعنى إذا: إذا أردنا ان نهلك قرية من صفتها و حالتها انا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها- فدمرناها تدميرا، و الجواب المدلول عليه هذه دون «فاء»: دمرناها تدميرا.

(2) حيث الأمر ظاهر في التشريعي و هكذا تكويني و ان كان في نفسه صحيحا و لكنه يعم عموم الأفعال خيرا و شرا دون خصوص الأشرار المترفين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 121

لا تتحملها الحياة الإنسانية فيجب القضاء عليها بقسطاس العدل يوم الدنيا قبل الاخرى، و لكي تصلح الحياة في تداومها، و تسمح للأحياء أن يمشوا سويا على صراط مستقيم.

و ترى لماذا «مِنْ بَعْدِ نُوحٍ»؟ و قد هلكت البشرية الخاطئة النكدة زمنه! أو تهلك قرى قبله لكي تختص الهلكات من بعده؟

«مِنْ بَعْدِ نُوحٍ» حيث تعني من بعد قرن نوح، توحي ان قرنه هو أول القرون هلاكا، كما هو أهمها و أعمها للهلاك ملاكا: «ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا ... فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41) ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ (42) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (43) ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (44) ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى‏ وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» (23: 45): آيات تترى في عرض قرون هالكة من قرن نوح الى موسى، تطوي هلكاتها بطياتها طيا، ثم لا نجد في القرآن آية تتحدث عن قرن هالك منذ آدم حتى نوح، و عله لأن البعثات الأصلية الرسالية آخذة منذ نوح، فلم تكن قوة في بعثة قبله حيث‏ «كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ ...» (2: 213) فكانت البشرية في الفترة السابقة، على سذاجة الفطرة المتأيدة بعقلية الوحي من غير اولى العزم من الرسل كآدم و من قبل نوح من المرسلين فلم تستحق إذا ما استحقته القرون منذ نوح، إذ لم تفعل- و لم تكن لتفعل- فعلتهم، و لم تكن حجتهم كحجتهم.

إن القرون الهالكة من بعد نوح مستعرضة في القرآن بتفاصيلها الأصلية كعاد و ثمود و تبع و أصحاب الأيكة و قوم فرعون و أصحاب الرس و قرون بين‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 122

ذلك كثير، و قد تستحق الهلاك قرون بعد الرسول محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذا عصوا هكذا و لم يستغفروا «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (8: 33).

مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً (18).

العاجلة هنا هي الحياة العاجلة الدنيا و زينتها بحيوناتها و شهواتها:

«مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها ...» (11: 18) و تقابلها الآجلة الاخرى، و «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ» هو المتداوم في هذه الإرادة البئيسة التعيسة حيث يحب العاجلة فيرفض كرها الآجلة: «إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا» (76: 27) «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» (75: 21).

1- فحب العاجلة حيث يتم في القلب فيطمه دون إبقاء لحب الآجلة، هذا الحب الحاصر يخلّف إرادة حاصرة للعاجلة، فلا محاولة إلا لها، و لا تفكير و لا سعي إلا إليها، كأن لا حياة إلا هيه، فله في الآجلة نار حامية: «جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً»! 2- و هناك مريدون للعاجلة كذريعة للآجلة، و هذه إرادة للآجلة لا العاجلة.

3- ثم و مريدون للآجلة تاركين للعاجلة حتى كذريعة، و الدنيا مزرعة الآخرة! و كلما توفرت الزراعة خلفت وفرا للنتيجة، فهذه- إذا- إرادة ناقصة جاهلة للآجلة.

4- و رابعة لا للعاجلة فقط و لا للآجلة، مذبذبين بين ذلك في مثلث: من- 4- عوان بينهما، او ترجيح لإحداهما على الاخرى (5- 6).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 123

فرق ست بين العاجلة و الآجلة لا سابع لها خلوا عن أية إرادة، حيث المريد لا يخلو عن أية إرادة، اللهم إلا ميتا لا حياة له! و مريد عمل الآخرة للدنيا ليس إلّا مريد الدنيا «1».

و آية العاجلة المهددة بصلي جهنم إنما تعني الأولين حيث يختصون هممهم بالحياة العاجلة، «يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ» (30: 7) «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى‏» (53: 32) «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ. أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» (11: 18) «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» (42: 20).

و ترى إن مريد العاجلة يؤتاها كما يريد و كيفما يريد، إن بعمل او دون عمل؟ إذا لفسدت الأرض حيث الارادة الخاطئة هذه لا حد لها، «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏»؟ كلا! و إنما «عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ» لا ما يشاء «لِمَنْ نُرِيدُ» لا لمن يريد ... و «نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها» لا «إرادتهم فيها» و «نُؤْتِهِ مِنْها» لا «نؤته إياها»!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فمن يريد عمل الآخرة للدنيا فهو لا يريد- في الحق- الآخرة و انما صورة الآخرة في سيرة الدنيا للدنيا، إذا فهو ممن كان يريد العاجلة و أضل سبيلا ممن لا يتظاهر بالآخرة.

و

في نور الثقلين 3: 145 ح 114 مجمع البيان و روى ابن عباس ان النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه اللّه عليه لا يريد وجه اللّه و الدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء اللّه من عرض الدنيا و ليس له ثواب في الآخرة و ذلك ان اللّه سبحانه يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية اللّه فيعاقبه اللّه عليه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 124

فما كل من يريد العاجلة يؤتاها، فقد يريدها و لا يؤتاها خسرانا للأولى و الأخرى‏ «خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ» (22:) 11).

و ما كل من يؤتى يؤتى ما يشاء و إنما «ما نشاء» حسب المساعي لها و المصالح النوعية فيما يؤتاها: «نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ».

و ترى إن بين آية البخس و آية العاجلة تهافتا فيمن لا يشاء اللّه أن يعجل له ما يريد؟ حيث الأولى توفي لمريد الدنيا أعمالهم فيها دون بخس و آية العاجلة لا تعجل ما يريده منها إلا من يشاء اللّه كما يشاء؟

أقول كلا! حيث التوفية في آية البخس للأعمال فقط لا كل ما يريده اهل الدنيا منها و إن دون عمل، و آية العاجلة تعجل ما يشاء اللّه لمن يريد: و لا يشاء هذا التعجيل إلا للساعي لها قدر سعيه، ثم لا يعجّل لكل ساع اللهم إلا من يريد، فمن الساعين من يحرمه اللّه بعض سعيه او كله لأن سعيه الى الفساد حيث لا يحتمله المجتمع، و عدم بخسهم أعمالهم فيها محدد شيئا ما بما إذا لم تكن في توفية عمل ما بخس على الآخرين، فآية البخس تحدّد التوفية بما يسعى، و آية العاجلة تعجل قدر السعي كما يقتضيه العدل، إذا فها متجاوبتان.

فطالب الدنيا يؤتاها بسعيه و قد ينقص او يزيد عدلا و حكمة، دون فرق بين ناكر اللّه و مصدقه: «فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ. وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ. أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ» (2: 199).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 125

فالطالب حسنة الدنيا طالب للآخرة، و طالب الدنيا و مريدها للدنيا ما له في الآخرة من خلاق، كما و ان طالب الدنيا بعمل الآخرة ماله من خلاق.

ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً.

هنا لك في النار من يصلاها خالدين فيها ابدا و هناك من يصطلي بها دون أبد، و سوف يفنى من يصلاها بفناء النار فلا تبقى إذا لا نار و لا أهل نار، و من يصطلي بها خلودا دون أبد يخرج عنها بعد ما ذاق و بال أمره جزاء وفاقا.

فصلي النار إنما هو إيقادها ممن هم حصب جهنم و وقود النار «1»، لا كل داخل فيها خلودا مؤبدا أم ماذا؟

و مصلي النار قد يكون ألدّه الكفار كما هنا، و قد يكون‏ «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» (66: 6) يصلون النار بحطبها و وقودها الكفار، فالأول يصلاها مذموما مدحورا، و الثاني يصلاها ممدوحا محبورا! لا نجد في سائر القرآن من يصلى النار إلا ألد الكفار: «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى. الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» (92: 15) «وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى‏» (88: 22) «سَيَصْلى‏ ناراً ذاتَ لَهَبٍ» (111: 3) اجل إنهم صلي الجحيم و حصبها: «إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ...» (21: 91) و حطبها: «وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» (72: 15) و وقودها: «وَ أُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ» (3: 10).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لسان العرب الصلاء و الصلى اسم للوقود تقول: صلى النار، و اصطلى بالنار استدفأ.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 126

هؤلاء هم أسس النار ثم سائر أهل النار يصطلون بصلاهم و بئس المصير كما أراد موسى أن يصطلي أهله بقبس مما ظنه نارا و نعم المصير:

«أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» (27: 7) «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» (28: 29).

وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى‏ لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19).

ترى ما هو الفارق بين‏ «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ»- «وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ» و لماذا تقيّد إرادة الآخرة ب‏ «سَعى‏ لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» دون ارادة العاجلة؟.

إن‏ «مَنْ كانَ يُرِيدُ» توحي باستمرار كينونة الإرادة، و هؤلاء هم صالوا النار مدحورين، و أما «من أراد العاجلة» فقد ينجو بما يتوب قبل الموت، او إذا لم يتب فإرادة العاجلة دونما استمرار تجمع إرادة الآجلة «وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ...» (9: 102).

و اما «مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ» فهي و إن كانت لا توحي باستمرار هنا، إلا ان‏ «وَ سَعى‏ لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» تصريحتان بهذا الاستمرار، و كما توحي له‏ «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» (42: 20).

و قد تعني‏ «مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ ...» شمولها لمن أرادها آخر حياته أن يريدها و يسعى لها سعيها و هو مؤمن، فهو ايضا مشكور سعيه قدر سعيه و إيمانه.

فالسعي المشكور في الأخرى تتبناه إرادة الآخرة في الاولى و أن يسعى‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 127

لها سعيها و هو مؤمن، فمن أرادها دون أن يسعى لها سعيها و إن كان مؤمنا، أو أرادها ساعيا هكذا دون إيمان، أم أيا كان دون هذه الدعائم الثلاث، لم يكن سعيه مشكورا إذا كان له سعي دون شروط، فكيف إذا لم يكن له سعي.

و قد يجمع هذه الثلاث‏

قول الصادق (عليه السلام) «لا قول إلا بعمل و لا قول و لا عمل إلا بالنية و لا قول و لا عمل و لا نية إلا باصابة السنة» «1».

ثم الشاكر لهذا السعي المشكور هو اللّه تعالى شأنه العزيز، و لا يعني شكره لساعي الآخرة جزاء عما قدم لصالح الربوبية: «وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ» (27: 40) و انما «نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ» (54: 35) «إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً» (76: 22) «وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً عَلِيماً» (4: 47) «لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» (35: 30) يعاملهم معاملة المستأجر الشكور و لا يرجع الشاكر بشكره الى صالحه.

فقد يريد مريد الآخرة دون ايمان صالح، أن يسعى لها سعيها في تقديره المتخلف عن تقدير الايمان، او هو مؤمن صالح في عقيدة الايمان و لكنه لا يسعى للآخرة سعيها الصالح لها حيث يتخلف عمل عن ايمان، أو أنه مؤمن يسعى لها سعيها كقالب يخطئ ارادة الآخرة حيث يريد الدنيا كلا او بعضا بسعي الايمان، ام إنه يخطئ او يتعمد ترك او تكميل قاعدة واحدة ام ماذا من هذه الثلاث، فأولئك لم يكن سعيهم مشكورا، و إن كانوا- أحيانا- لا يحرمون عن شكور على غرار ما سعوا و ما كان عطاء ربك محظورا.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). اصول الكافي باب العلم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 128

ف‏ «مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ» إرادة خالصة صادقة فعليه أن يسعى لها سعيها و هو مؤمن، حيث الإرادة دون سعي، أو سعي لا يناسبها، إنها ليست إرادة، فانما هو تمنّ دون أسباب صالحة تحققه، فالإرادة الصادقة تحمل من يحملها على أداء تكاليفها و النهوض بتبعاتها و إقامة سعيها كما تطلبها، دون ان تحرمه من لذائذ الدنيا اللهم إلا من هزاهزها، فانما تمده إرادته الصادقة للآخرة الى آفاق أعلى و أغوار من يم الكون تتم و تطم في استخلاصه عن هزاهز الدنيا و كما

عن الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «جزناها و هي خامدة»!.

«و من أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدنيا» «1».

كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (20).

«نمد» من الإمداد و أغلبه في المحبوب: «وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» (52: 22) و المدّ في المكروه: «وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» (3: 15) «وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ» (7: 102) فقد تكون «نمد» هنا جمعا بينهما بتغليب الأمداد، أو انه الإمداد فقط مع اختلاف المحبوب، فحب الدنيا ظرف للمد واقعيا و للإمداد كما يريدها أهلوها، و حب الآخرة ظرف للإمداد واقعيا و كما يريدها أهلوها.

«كلّا» ممن مريد العاجلة و الآجلة «نمد»: نعينه و نزيد له كما يريد و يعمل لعاجلة ام آجلة زيادة على ما يعمل و يأمل سواء «هؤلاء» المريدين للعاجلة ام «هؤلاء» المريدين المؤمنين الساعين للآجلة، و هذا الإمداد ليس استحقاقا مطلوبا لأهله، و إنما «مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ» فنعمة الدنيا هي عطيته كما نعمات الآخرة هي عطيته و اين عطية من عطية!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 146 ح 115.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 129

و لماذا يمد أهل العاجلة؟ لأنه‏ «لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏» و مريد العاجلة يؤتاها وافية كما يسعاها، و ليس اللّه بمانع يحظر اهل الشر تكوينيا عما يريدونه من الشر، كما لا يخطر- و باحرى- اهل الخير فهذه سنته الدائبة: «وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً»! عطاء هي محبورة غير محظورة أيا كان، و لكنها الجزاء هي في العصيان عدل جزاء الوفاق، إذا فالعذاب محدود بحدود العصيان، و هي في الطاعة لا مقطوعة و لا ممنوعة عطاء غير مجذوذ، إذا فالثواب غير محدود قدرا و زمنا «وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً».

ليس ان اللّه يمنع أهل الآخرة من عطاء الدنيا أن يخصها أهل الدنيا، و انما يعطي هؤلاء و هؤلاء و إن اختلفا في ابتغائها لعاجلة فالى نار، ام لآجلة فالى جنة، و لكنه لا يعطي أهل الآخرة في الأكثر كثيرا من نعم الدنيا كيلا ينغمسوا فيها غافلين.

انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21).

فضلّنا مريدي الآخرة على مريدي الدنيا، دون فوضى، و انما كلا حسب ما أراد و سعى، فطالب الفضيلة فضلناه على طالب الرذيلة، و مهما كانت للدنيا درجات الشهوات و الحيوانات ف‏ «لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا» بل ليست درجات الدنيا بجنب الاخرى إلا دركات تخلف في الاخرى دركات: «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى‏ قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى‏ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى‏» (20: 126)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 130

مشكلة الخلود: «1».

إن الخلود او الأبدي منه لمن يصلى النار الكبرى قد يفسر بالبقاء اللانهائي الحقيقي في النار، فترد عليه مشاكل عقلية و من حيث العدالة الإلهية، و انه يسبق رحمته غضبه أم ماذا.

فالمشكلة العقلية هي أن ماله بداية لا بد له من نهاية، و الخلود أيا كان هو امتداد تركيبي من أجزاء الزمان، و كما الأجزاء هذه محدودة فالخلود المركب من المحدود لا محالة محدود، ثم و إذا لم تكن لهذا الخلود نهاية فتلكن الزيادة او النقصان من بدايته لا تزيد و لا تنقص من الخلود لأنه لا محدود، و اللامحدود لا يقبل لا زيادة و لا نقصان، فلا خلود- إذا- لا نهائيا، لا في الجنة و لا في النار! و الجواب الحاسم لهذه المشكلة هو أن الذي لا يقبل زيادة و لا نقصان هو اللامحدود المطلق و ليس إلا اللّه تعالى شأنه، فلا أول له و لا آخر حتى يحد بأول او آخر، و لا يقبل كيانه لا زيادة الزمان و لا نقيصته لأنه خارج عن محور الزمان.

و اللامحدودية المطلقة هي لزام الأزلية التي لزامها الابدية حيث الأزلية ليست إلا ذاتية إذا فهي تلازم الأبدية الذاتية، و أما الأبدية فهي بين ذاتية هي استمرار ذاتي للأزلية و غيرية هي استمرار بإرادة الأزلي.

هنا محدودية مطلقة كالاعمار في الدنيا و البرزخ فان لها بداية و نهاية، و هنا لك لا محدودية مطلقة كما هو للّه تعالى شأنه لا سواه و بينهما لا محدودية نهائية في حد بدائي، أم بدائية في حد نهائي. في امتداد فعلي حاصل، او

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لقد فصلنا البحث عن الخلود في هذا التفسير ج 30 ص 41- 15 و في «عقائدنا» ص 306- 322.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 131

امتداد شاني تحصل أجزاءه تلو بعض.

و المستحيل من هذه الأربع ثلاث: هي اللامحدودية في الامتداد الفعلي الحاصل بداية او نهاية للمشكلة الماضية، و كذلك في الامتداد الشأني بداية، دون الشأني نهاية، و الخلود اللانهائي في الجنة او النار شأني يتدرج دون نهاية، فهو محدود بداية و لا محدود نهاية، فالبداية بفعل اللّه، و اللانهاية ايضا بفعل اللّه، و ليس هنا ما يمنع عقليا هذه اللانهاية لا فاعلا و لا قابلا، فاللّه تعالى هو المعطي عطاءه غير مجذوذ و لا راد لفضله، و لا نهاية لعطائه، و الأزمنة الآتية الى غير النهاية هي كالسالفة كلها بإرادة اللّه، و لا مانع في هذا البين من هذه العطاء غير المجذوذ لا فاعلا و لا قابلا.

إنه لا مشكلة عقليا في مثل هذه اللانهاية و لكنها مستحيلة في العذاب بميزان العدل و النقل القرآني و من ثم بمقتضى الرحمة الإلهية.

إن الجزاء الوفاق لا توافق اللانهاية في العذاب لعصيان محدود في زمن محدود من عاص محدود و في أثر محدود، و لبث الأحقاب حيث اعتبر الجزاء الوفاق للطاغين برهان لا مرد له على حد العذاب، و كما الآيات في أن الجزاء هي العمل‏ «1» او بالعمل‏ «2» تحدّد العذاب بقدر العمل، لا اكثر من العمل و إن كانت آيات الثواب تربي الجزاء على العمل تتخطاه الى نية الخير ايضا.

و قد تزعم دلالة الآيات التالية على اللانهاية الحقيقية في العذاب: 1 «ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى‏» (87: 13)؟ و لكنها لا تنفي موت الخالدين إلا في النار و هنا لك موت مع النار أو بعد النار لا ينفيان. و الآية تدل على‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). «إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (52: 16).

(2) «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» (4: 123).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 132

المساوات بين حياة النار و الآبدين في النار! فكما أنها تلائم الابدية اللانهاية كذلك تلائم المحدودة ان تفنى النار بمن في النار مع النار، لا سابقا عليها حتى تنافي‏ «لا يَمُوتُ فِيها».

2- و كذلك‏ «لا يُقْضى‏ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها « (35:

36) ف «لا يقضى» إنما تنفي الموت في النار الا يعذبوا بأن يموتوا مع بقاء النار! «و لا يخفف» تنفي تخفيف العذاب ما داموا و دامت النار، و لا تنفي موتهم مع خمود النار.

3- كذلك‏ «وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً» (4: 121) اي: محيدا و مفرا، و لا فرار عن النار إلا مع بقاءها، و أما ان يموت أهل النار مع خمود النار فليس محيصا عن النار، و إنما هو مع بقاءهم و بقاء النار و نجاتهم حينذاك عن النار.

4- كذلك‏ «كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ» (22: 22) و الخروج عن النار حيث يعني بقاءه خارج النار مع بقاء النار، انه غير الموت مع خمود النار.

5- كذلك‏ «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ. لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ‏ ... وَ نادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ» (43: 77) حيث الإبلاس هو الحزن المعترض من شدة البأس إذ لا يفتر عنهم العذاب و المكث هو المقام قدر الاستحقاق، و تفتر العذاب منفي ما دام العذاب دون دلالة على الاستمرارية اللانهائية للعذاب.

6- و كذلك: «وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ» (2: 167) إذ لا ينافيه موتهم في النار مع خمود النار، فلا هم خارجون إذا عن النار و لا أحياء بعد خمود النار.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 133

ثم هنالك احتمالان: 1- فناء من في النار مع النار فلا نار إذا و لا اهل نار. 2- فناء النار و بقاء من فيها دون رحمة و لا عذاب و ان في فترة قصيرة، و إذ تصرح آيات أنه لا يفتر عنهم العذاب فبأحرى لا ينفى عنهم سواء مع بقاء النار أم فناءها، فلا نحتمل إذا إلا فناء النار بمن فيها على سواء، يثبته لزوم انتهاء العذاب و عدم خروجهم عن النار ألّا عذابها عنهم.

7- و كذلك: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً» (4: 56) ف «كلما، لا تدل على استمرارية العذاب اللانهائية، و إنما التبديل هو ما دام النضج، و أما حتى متى يدوم النضج فلا دلالة فيها على أمده من أبدية حقيقية اما هيه.

8- و كذلك: «لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ» (74: 28) فإنها ما تبقى و يبقى فيها من يصلى- طبعا- لا تبقي من يصلاها حيا مرتاحا حيث تظلم عليه حياته و لا تذره، فلا يموت فيها و لا يحي.

9- و كذلك‏ «وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» (2: 80) حيث الأيام المعدودة المكذوبة هنا ليست هي مطلق المحدودة، و إنما القليلة التي يعدونها شهرا أو سنة ام ماذا، فليست ايام عذابهم معدودة كما يزعمون و إنما هم مع أحزابهم فيها خالدون: «بَلى‏ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» (2: 81) ثم و عدم مسيس النار إلا أياما معدودة يوحي ببقاء النار- في زعمهم- و هي لا تمسهم بعد أيام معدودة بأن يخرجوا عنها، أو لا يعذبوا بعد و ان ظلوا هم فيها.

10- و كذلك‏ «أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ...»

(11: 16) حيث الحصر ليس حقيقيا ينفي عنهم كل شي‏ء حتى الموت،

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 134

انه نسبي بين الجنة و النار فليس لهم في الآخرة الا النار، فلا ينافيه فناءهم بفناء النار.

11- و كذلك‏ «مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً» (17: 97) فإن خباء النار ليس خمودها و إنما هي سكون لهبها بغطاء الرماد و غشاءه، و أما أنها لا تخمد مع موت من فيها فلا إشارة لها.

12- و كذلك‏ «إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً» (25: 65) يعني لزاما و لا يعني غرام العذاب إلا عدم انفكاكه عن أهل النار، دون دلالة على الابدية اللانهائية. و انما عدم انفكاكه عنهم و هم أحياء فيها أم خارجون عنها.

هذه تمام الآيات التي قد يظن دلالتها على الابدية اللانهائية في النار و لا دلالة فيها و لا اشارة، ثم ادلة العقل و العدل و الآيات في تسوية العقاب و العصيان و آية الاحقاب ام ماذا؟ كل ذلك تحدد أمد العذاب و تفسر ابد العذاب، ثم و لا يصغى الى أحاديث مختلقة هنا تخالف هذه البراهين‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

البحار 8: 346 في الصادقي‏ انه بلغنا انه يأتي على جهنم حين يصطفق أبوابها فقال لا و اللّه انه الخلود، قلت: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ‏، فقال: هذه في الذين يخرجون من النار.

و

في العلل (177) عنه (عليه السلام) سئل عن الخلود في الجنة و النار فقال: انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا لو خلدوا فيها ان يعصوا اللّه ابدا ما بقوا فالنيات تخلد هؤلاء و هؤلاء ثم تلا قوله تعالى: قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته.

و

روى فضالة عن عمر بن ابان قال سمعت عبدا صالحا يقول‏ في الجهنميين انهم يدخلون النار بذنوبهم و يخرجون بعفو اللّه.

و

في التوحيد للصدوق عن الصادق (عليه السلام) عن آباءه عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال: جاء يهودي الى النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و سئل عنه يا محمد! ان كان ربك لا يظلم فكيف يخلد في النار ابد الآبدين من لم يعصه الا أياما معدودة؟ قال:

يخلده على نيته فمن علم ان نيته إنه لو بقي في الدنيا الى انقضاءها كان يعصي اللّه عز

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 135

و لو ان الخلود يعني البقاء دون زوال، فلان آيات الخلود انما تدل على الخلود في النار لا خلود النار، فلا دلالة فيها الا على الخلود فيها ما دامت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و جل خلده في ناره على نيته و نيته في ذلك شر من عمله الى ان قال: و اللّه عز و جل يقول:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى‏ سَبِيلًا () لتوحيد باب الأطفال ص 391).

أقول: ان النية التي تتبع العقيدة او العمل فالجزاء باعتبارهما لا النية و اما النية الخالية عن العمل ففي خيرها ثواب و ليس في شرها عقاب.

هنا نية و عقيدة و عمل، و العمل مرتبط بالعقيدة و النية، و اما النية بلا عمل فلا عقاب عليها و ان كان فيها ثواب و لا نجد في القرآن سببا للثواب او العقاب الا الايمان و العمل الصالح و الكفر و العمل غير الصالح، و مجال النية انما هو العمل لا غير.

و

في ج 2 علم اليقين للفيض الكاشاني ص 1082 عن البخاري تفسير سورة مريم ج 6 ص 118 و المسند ج 3 ص 9 عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انه قال: يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فينادى فيقال: يا اهل الجنة هل تعرفون الموت فينظرونه فيعرفونه فيقال لأهل النار: تعرفون الموت فينظرونه و يعرفونه فيذبح بين الجنة و النار ثم يقال: يا اهل الجنة خلود بلا موت و يا اهل النار خلود بلا موت فذلك قوله عز و جل: «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ، و عن الباقر (عليه السلام) ما يقرب منه (البحار ج 8 باب ذكر الموت).

قال الفيض: لا خلاف بين اهل العلم ان الكفار مخلدون في النار الى ما لا نهاية له كما هو ظاهر الكتاب و السنة.

و

فيه ما رواه العامة عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انه قال: سيأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير

و

في المحاسن (518) نظر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) الى الجرجير فقال: كأني انظر الى بيته في النار.

و

في التوحيد (406) عن الصادق (عليه السلام) من وعده اللّه على عمل ثوابا فهو منجز له و من أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار.

و

عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ان اللّه خلق يوم خلق السماوات و الأرض مائة رحمة فجعل في الأرض منها رحمة بها تعطف الوالدة على ولدها و البهائم بعضها على بعض و الطير و أخر تسعة و تسعين الى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة (ابن ماجة كتاب الزهد الباب 35 ج 2 ص 1435).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 136

موجودة فلا تنافي فنائهم بفناء النار!.

و قد يقال إن العصيان من حيث المعصي اللامحدود في العظمة و الكمال لا حد له فجزاءه الوفاق ايضا لا حد له! و لكنما العصيان له وجهات ثلاث: من حيث العاصي، ظرفا و محتدا عائقا و دافعا أم ماذا و من حيث نفسه أثرا سيئا، و من حيث المعصي، و المقياس في العقوبة إنما هو موقف العاصي بأثر عصيانه، فإنه قضية العدل أن يعدل العصيان بالعاصي المتناهي لا المعصي غير المتناهي، فان رعاية الضعيف فيما له مقاييس اولى من رعاية القوي، على ان درجة المعصي ليست باختيار العاصي و لا انه يلاحظ و يواجه هذه الدرجة لكي تزيد في عقابه. ثم لو كان المقياس هو المعصي لا صبحت جميع المعاصي كبيرة دون أية صغيرة، و لبطلت الحدود و الديات و التعزيرات المقررة لحدود الجنايات و مواقف الجنات، و لأصبح كافة العصاة مخلدين في النار أبدا على سواء.

ثم إذا شككنا في المقياس فلا لنا أن نأخذ بالأشد عقوبة و القرآن يحدد العقوبات على قدر السيآت: «جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» (42: 40) مماثلة بين نفس السيئة و جزاءها، لا بين المعصي فيها و جزاءها، و هذه المماثلة مستحيلة فان اللّه تعالى سرمدي و سرمدية العذاب مستحيلة و إن أمكنت أبديتها اللانهائية.

كلّا! و انما مماثلة بين السيئة و العقوبة: «وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى‏ إِلَّا مِثْلَها وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ» (6: 160) و ما أظلمه من يقيس عصيانه بنفسه و هو أعلى دون العاصي و هو أدنى! ثم الآيات في أن الجزاء هو العمل او بما يعمل يحدد موقف العقوبة أنها على حد العمل لا المعصي: «إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (66: 7) «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (27: 90) «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِما كُنْتُمْ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 137

تَكْسِبُونَ» (10: 52) «فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (36: 54) و مماثل المحدود عاملا و أثرا ليس إلا محدودا، و إلا فلا مماثلة إذا كان المعصي هو المقياس! بل و جزاء سيئة بعضها او نصفها! «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» (6:) 138) و الاستثناء بالمشية هنا ليس كما في آية البرزخ: «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ ... خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ» حتى يقال إن خلودها بذاته منقطع! و علّ هذه المشية هي مشية الرحمة الإلهية التي وسعت كل شي‏ء حيث تشمل المخلدين في النار تخفيفا عن عذابهم أجمع و الآيات النافية للتخفيف إنما تنفيه بعد هذا التخفيف!.

فناء النار بمن في النار:

و مما يؤيد فناء النار أنها من موجبات غضب اللّه و قد «سبقت رحمته غضبه» «و لذلك»: الرحمة «خلقهم» لا للعذاب، فالرحمة هي المقصودة في الأصل، و العذاب ليس إلّا تطبيقا للعدل، فلو لا أن ترك العذاب للعاصين ترك للعدل بين العباد لما كان العذاب صوابا، إذا فالرحمة لا محدودة و العذاب محدود.

ثم من الرحمة ما هي مكتوبة و ما هي راجحة غير مكتوبة: «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْ‏ءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» (7: 156) فلتشمل أهل النار فضلا منه حيث وسعت رحمته كل شي‏ء حتى و لو كانت اللانهاية في العذاب حقا عليهم عدلا، كيف لا و هي ظلم! و قد يكفي فرقا بين فريقي المسلمين و المجرمين قليل من العذاب ثم الإفناء، فهلّا يكفي أبد النار كما يستحقونها دون زيادة و لا نقصان:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 138

«أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (68: 35) «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ» (32: 18) «وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» (38: 28) فللعذاب موجبان: 1- عدم التسوية بين المحسن و المسي‏ء و لا سيما الانتقام من الظالم للمظلوم فان تركه الى تركه بدون ثواب و لا عقاب عذاب روحي للمظلوم و الأصل العقلي في لزوم المعاد هو الانتقام من الظالمين. 2- لو لم يكن عذاب لازداد العصيان حيث الاكثرية من تاركي العصيان انما يتركونه خوف العقاب و وعد العذاب دون واقعه كذب و إغراء! ثم اللّه ليس يعامل خلقه الا بفضله دون عدله، لذلك يقرر جزاء الحسنة عشر أمثالها، و يدخل المطيعين جنة بفضله، فليشمل فضله اهل النار ان يعذبهم دون استحقاقهم، ام و لا اقل بعدله ان يجازيهم جزاء وفاقا و اما اللانهاية في العذاب فهي نائية عن العدل الى أقبح الظلم‏ «وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»! و من ثم إذا يأمرنا بالعفو بدل الانتقام‏ «وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى‏» (2:) 237) فهل يعامل هو عبيده الضعفاء بأكثر من الانتقام الذي لا مثيل له بين الظالمين من عباده؟!. كل ذلك يفرض أخيرا فناء النار بمن في النار ممن يصلونها. فلا نار إذا و لا أهل نار! و خلاصة القول حول الخالدين في النار أن حد الخّلود هو قضية 1- عدل اللّه، 2- و رحمته التي وسعت كل شي‏ء و قد سبقت رحمته غضبه 3- و جزاء سيئة سيئة مثلها و لا مماثلة بين المحدود و اللامحدود. 4- و ان الجزاء انما هو

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 139

بالأعمال و هي محدودة فالجزاء محدود 5- و أنهم لابثين فيها أحقابا جزاء وفاقا، و أقل الحقب سنة و أكثره ثمانون. 6- و نفس الخلود تقيد في:

«النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» (6:) 138) ثم و لا دلالة و لا إشارة في القرآن أن أبد الخلود لا نهاية له إطلاقا.

و اما بالنسبة للجنة فأبدها لا نهاية له فانها قضية الرحمة الواسعة فلا تحد، و إنها عطاء غير مجدوز، و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين.

و قد يقال أو ما يكفي العصاة أن لا ثواب لهم و لا عذاب، و الجواب: إذا انقطع الإنذار، و في ترك جزاء الظالم ظلم على المظلومين فليكن عذاب.

و القول ان الآبدين في النار ذاتيتهم هي النار فهم إذا لزام النار دون فكاك، مردود أولا ان الذاتية النارية لا تحكم باللانهاية فيها و انما تحكم بأنها تحرق ما دامت موجودة، و لكن العدل الإلهي يحكم بلزوم إفناء الذاتيات النارية بعد ما ذاقت و بال أمرها، و لا تتصور اللانهاية في الذات المحدودة.

فخروج هذه الذات النارية عن النار او خروج النار عنها- صدقنا أنه تنافي هذه الذاتية، و اما فناء الذات فهي لا تنافي هذه الذاتية و انما تنافي الابدية الذاتية و هي السرمدية.

و القول إن الكتاب نص في الخلود وارد، و لكن الخلود ليس نصا فيما يعنونه من الخلود و هو العذاب اللانهائي، و ادعاء كون‏ «وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ» نصا في هكذا خلود نص في عدم التفكر في الآية، و أما ان سنة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 140

اهل البيت (عليهم السلام) مستفيضة فيه فلا نرى إلا حديثا او حديثين تخالف الكتاب.

و اما ان الهيآت التي رسخت في النفس حتى صارت صورا أو كالصور الجديدة تعطي للشي‏ء نوعية جديدة، هي مجردة في نفسها دائمية الوجود من غير زوال مثل المبتلى بالجنون فإنه مستمر له لا يزول؟ فلا مجرد في الكون إلّا اللّه، و الذاتية المجردة- على صحتها- لا تستدعي اللانهائية.

[سورة الإسراء (17): الآيات 22 الى 39]

لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) وَ قَضى‏ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً (23) وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً (24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (25) وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (26)

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (27) وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً (28) وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى‏ عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (30) وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً (31)

وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى‏ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلاً (32) وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (33) وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً (34) وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً (35) وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً (36)

وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً (37) كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً (38) ذلِكَ مِمَّا أَوْحى‏ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى‏ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً (39)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 143

لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولًا (22).

قاحل يخلف اللّوم و الحسر.

وَ قَضى‏ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً (23) وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً\* رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (25) آيات تجمع بين الوالدين في احكام أكثرها الإحسان بهما و كثير منها تجمع إليهما غيرهما، و هذه مما تخصهما بالاحترام بعد اللّه لا تحريما للاحترام فقط و انما الإحسان و أي احسان‏ «1» و لا تجد تفصيلا في غيرها كما فيها، و قد تختص بالقضاء دون غيرها حكما و محكوما له. محتوما مقضيا لا حول منه‏ «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» و قد نرى ردف الوالدين بالرب فيما يوصي او يقضي للوالدين الا قليلا يرد فان فيها باللّه تدليلا على ان حق الوالدية كحق الربوبية و بعدها لأنها استمرارية للتربية الالهية، فكما الرب اللّه لا يعبد إلا إياه و لا يساوى او يسامى به سواه، كذلك الرب الوالدان لا يساوى بهما سواهما في الإحسان، اللهم إلا رسل اللّه حيث يحملون من التربية الإلهية ما لا يحمله الوالدان اللهم إلا في الولادة الجسمية و تربيتها و قد يشمل «الوالدين» كلتا الولادتين الروحية و البدنية فهما على درجات: الوالد الروحي الأول و هو المجرى الأول للولادة الروحية: أهل بيت الرسالة المحمدية، ثم من يحذوا حذوهم في التربية الإلهية، ثم الأدنى الوالد الجسمي الذي لا يعني التربية الروحية، ثم بينهما أوساط، فكلما ارتفعت درجة الوالدية ارتفعت ميزانية الإحسان، ثم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ج 26 الفرقان ص 29- 309 تفسير الآية «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً ... و الذي قال لوالديه‏ أُفٍّ لَكُما ... تجد تفصيل البحث في حقوقهما هناك.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 144

الإحسان بالوالد الروحي يختلف عما للوالد الجسمي، و يجمعها المواجهة بالحسنى في عشرة روحية اماهيه و

في الحديث عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «أنا و علي أبوا هذه الأمة»

و

عن الإمام علي (عليه السّلام) «ولدني رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)».

هذه القضاء حكم تشريعي صارم و فصل قاطع حاكم تحمل سلبيات و ايجابيات، ترى أنهما تختصان ب «ربك» ام و «الوالدين»؟ أم تشمل كافة الايجابيات و السلبيات التالية الاثني عشر: أمرين و نواهي عشرة قد تحتملها الآية، أو ان الشمول أقرب فإن‏ «ذلِكَ مِمَّا أَوْحى‏ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ...» أو أن الأوجه هنا اختصاصها بالرب و الوالدين‏ «1» ثم الشمول، وجوه تحتملها الآية تلو بعض.

و الحكمة هي القضاء بما يربط بين المنفصلات.

فان القضاء هذه تبدأ ب‏ «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» و تنتهي بمثلها «وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» حيث تجمعهما «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» فسلبيات هذه القضاء بادئة من «لا اله» و إيجابياتها من «إلا الله» كما و أن‏ «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» تحتل المحور الاساسي و المركز الرئيسي في كافة الاقضية التكوينية و التشريعية سواء، فقصارى شرعة الإسلام و كل شرعة الهية هي‏ «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ»!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). قد توحي: أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» دون و أن بالوالدين ام ماذا- باختصاص هذه القضاء بتوحيد اللّه، ثم يتلوه‏ «بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» ثم سائر الأحكام، و قد تؤيده الآية السالفة لها «لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ ...» او ان القضاء لها مراحل ثلاث: للّه- للوالدين- و لسائر الأوامر و النواهي التالية، او يقال ان القضاء هنا قضى به لا فيه او عليه اوله او قضاه، فان قضى به حكم تشريعي، فلا تشمل إذا الا «أَلَّا تَعْبُدُوا ...» اي «بان لا تعبدوا ...» ثم‏ «بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» اي قضى بإحسان الوالدين» بان أحسنوا بالوالدين إحسنا ثم لا موقع لسائر الأوامر و النواهي و لا سيما أن الأمر تقدير للباء، فان «آت ...» لا تتحمل الباء، اللهم الا «بان آت ذا القربى حقه كما في «بان أحسنوا ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 145

«و قضى» «1» امر و حكم‏ «2» في صيغة القضاء تخلع على الأمر معنى التوكيد انه بثّ جزم لا ينسخ، تمام لا ينقطع. الى جانب الحصر المستفاد من الاستثناء «إلا إياه» فصيغة التعبير تصوغ توحيدا سائغا لكيان الربوبية الوحيدة، و هي أولى الاقضية و أولاهما كما و هي عقباها و أخراها.

و لماذا «قضى» هنا «ربك» لا: رب العالمين و لا: اللّه؟ لأنه يعني في هذه الأقضية الجوانب التربوية، لتكن منوطة مربوطة بجانب الربوبية، فربوبيته هي الحاكمة «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»- «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» ام ماذا؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و من الأقاويل هنا في قضى ما رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس انه قال في هذه الآية: كان الأصل «و وصى ربك» فالتصقت احدى الواوين بالصادق فقرئ‏ «وَ قَضى‏ رَبُّكَ» ثم قال: و لو كان على القضاء ما عصى اللّه احد قط لأن خلاف قضاء اللّه ممتنع! أخرجه في الدر المنثور 3: 170 عن ابن عباس بعدة طرق و عن ابن مسعود و الضحاك بن مزاحم و اخرج ضده عنه مجاهد و قد جاء القضاء بمعنى الحكم الشرعي الثابت في آيات اخرى: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (33: 36) «ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» (4: 65).

أقول: و هذه من الأقاويل الحمقاء التي تفتح باب التحريف في القرآن الحكيم، و لم يدر المختلق المسكين ان القضاء لا تختص بالتكوين فقد تكون تشريعيا كما هنا، و لو ان القاف تشتبه بالواو لكان مثله و ادنى منه كثيرا في القرآن فلا اعتماد إذا في كتب القرآن.

(2)

نور الثقلين 3: 148 عن التوحيد باسناده الى ابن عباس عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل و فيه‏ فقال الشيخ: يا امير المؤمنين! فما القضاء و القدر اللذان ساقانا و ما هبطنا واديا و لا علونا تلعة الا بهما؟ فقال (عليه السّلام): الأمر من اللّه و الحكم ثم تلا هذه الآية «وَ قَضى‏ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...»

أقول: يعني هنا خصوص الأمر التشريعي او ما يشمله ثم يمثل بهذه الآية التي تحمل هذا الأمر.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 146

و من ثم «ربك» توحي بهذه التربية العالية التي تفوق العالمين أجمعين، فعلى ضوء التربية المحمدية: «قَضى‏ رَبُّكَ» بهذه الأقضية و لكن تربوا ربوة عالية على كافة التربيات و لأنها قضاء في الأمة المرحومة في شرعة تجمع الشرائع و زيادة: «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» نهي كأول مورد للقضاء او تفسير لها «1».

و قضاء التوحيد هي القاعدة و الأساس، تتبناها سائر التكاليف العقلية و سواها، فردية و سواها، فلها في نفس الموحد ركيزة التوحيد، توحد البواعث و الاهداف في كافة الجنبات الحيوية ان يصبح ككل توحيدا في عبادة اللّه. و كذلك يتمثل ككل: «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» ان أحسنوا بالوالدين إحسنا «2» في حال و مال. في حل و تر حال، في كل حال على أية حال، لا فقط أن الإساءة إليهما محرمة، بل و ترك الإحسان بهما محرم، فالاحسان يشمل كل ظاهرة في العشرة حتى و في المشي و القعود و التسمية و على حد المروي عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «3».

يفرض هنا و هناك إحسان الأولاد بالوالدين و لا يفرض العكس، لأن البنوة و الناشئة المتغافلة الجديدة هي المحتاجة إلى استجاشة وجدان البر و الرحمة، حيث الوالدان مندفعان بالفطرة إلى الإحسان بالأولاد، لا ينسونهم او يتناسون حتى و إذا نسوا أنفسهم. و لكنما الناشئة فسرعان ما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فعلى الأول تقدر الباء «بان لا تعبدوا» و ان ناصبة و لا تعبدوا نفي بمعنى الأمر و على الثاني دون تقدير و ان مفسرة و لا تعبدوا نهي.

(2) و ان هنا مفسرة دون تقدير للباء إذ لا تدخل الناصبة على غير المضارع اللهم إلّا على تقدير ان تحنوا.

(3)

الدر المنثور 3: 171- اخرج ابن مردويه عن عائشة قالت‏ أتى رجل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و معه شيخ فقال من هذا معك؟ قال أبي قال: لا تمشين امامه و لا تقعد قبله و لا تدعه باسمه و لا تستسبّ له.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 147

ينسون او يتناسون عطف الوالدين، ملتهين بشؤونهم أنفسهم في تبني الحياة الجديدة، لا سيما إذا شاخ الوالدان و ساءت أخلاقهما و صعبت حياتهما و ثقلت عليهم حمل أعباءهما، لذلك فالجيل الناشئ هو المحتاج لقضاء اللّه و وصيته، استجاشة لدفائن وجدانهم ليذكروا واجبهم و جاه الجيل الذي أنفق رحيقه كله في انتشائهم حتى أدركه الجفاف.

و لكن هل الوالدان كلهم يعملون واجبات الوالدية التربوية و جاه الأولاد لكي لا يحتاجا الى استجاشة كما الأولاد؟

قد يقال ان المقام هنا لك مقام الإحسان لا واجب التربية، و إن كان الإحسان يشمل الجانب التربوي إذا كان الولد أقوى تربية و أرقى من الوالدين فالرعاية التربوية واجبة على كل راع و كلكم مسئول عن رعيته الوالدان او الأولاد ام من ذا، و الأقربون اولى ثم من دونهم و كما يستطيع في الشعاع التربوي و لا تعني تلك القضاء و تلكم الوصيات بحق الوالدين إلا الحنان و الإحسان في العشرة، مهما شملت أحيانا التربية.

و لكي يراعي الوالدان ايضا أولادهم فلا يضاروهم ف‏ «لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ...» (2: 233) إن في رضاعة ام ماذا، و من المضارة التقصير في المحبة و التربية، فالوالدان- إذا- يؤمران بترك المضارة بأولادهما، و لكنهما يفوقان الأولاد في واجب الإحسان حنانا و احتراما، فواجب الإحسان أمر، و واجب التربية أمر آخر قد يختلطان و قد يفترقان.

يقضي اللّه تعالى هنا بالإحسان إليهما، و من أفضل الإحسان و أوجبه هديهما الى الحق ان خالفاه فسقا ام ضلالا ام ماذا، فالدعوة الى الخير و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجبة عامة، ثم وقاية الأهلين خاصة.

ثم هي بالنسبة للوالدين أخص، إذا فهي واجبة بالنسبة لهما في أبعاد ثلاثة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 148

و من ثم يركز قضاء الإحسان بهما على أضيق حالاتهما، حيث يضاف سوء الخلق الى اعباء الكبر و نظراتهما الطائلة من الناشئة، أن من واجب الأولاد تحمّل مثلث الأعباء أم ماذا؟ دون تلفّت عنها او تفلّت منها و لا تعنت حتى في أدنى لفظه من قول «أف»:

... إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً (23) وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً (24).

... كما بلغت عندهما من الطفولة الى الحلم، و الى الكهولة ام ماذا! و لم تر منهما إلا الإحسان، إما يبلغن ... «1» ترى و ما هي الملائمة بين «إن» الشرطية و نون التأكيد القاطعة؟ علها التأكيد على تحصيل هذا الشرط ان يجدّ الأولاد لكي تستجد عيشتهما عندهم باستمرار ما هما حيان لا أن ينفصلوا عنهما أو يفصلوهما عنهم إذا كبر أحدهما أو كلاهما، بل و يستمروا في العيشة الراضية معهما، و يهتموا رقابة على صحتهما إن يكبرا عندهم، تقديما لكافة الإمكانيات في كافة الجهات للحفاظ على سلامتهما و على كونهما عندهم.

أنت كنت عندهما لحد الآن. فليكونا عندك من الآن، ف «عندك» توحي بحالة الالتجاء فالإلجاء، التجاء بالتجاء و إلجاء بإلجاء و هو بعد لن تكون جزاء وفاقا حيث الجأك في طفولتك و لا ملجأ لك إلا والداك، و أنت تلجئهما في شبابك و هما في كهولة او زاد

«فإنهما كانا يفعلان ذلك و هما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). اما هي ان الشرطية و ما المؤكدة حيث تسمح لدخول نون التأكيد. ف «ان» ضرورة لبيان ظرف الشك إذ لا يعلم انهما يكبران عندك ام لا، ثم «ما» المؤكدة و تقدم «عند» و نون التأكيد الثقيلة، هذه كلها تأكيدات تفرض على الأولاد ان يقدموا كل امكانياتهم لبقاء هما عندهم و ان يكبرا عندهم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 149

يحبان بقاءك و أنت تفعل ذلك و أنت تريد موتهما «1»

و طبيعة الحال في الوالدين لا سيما إذا كبرا، فلم يقدرا على تحصيل بلغة المعاش ماديا ام ماذا؟ و هما عندك بما عندك أهل و أولاد، و هما ينتظرانك ان تعطف لهما كل عطف، فهما لهذا و ذا قد يغيظان عليك و يسيئان أخلاقهما إليك، في هذه الحالة الصعبة الملتوية ماذا عليك؟

عليك التصبر و الاحترام، دون اي تضجر و اخترام، لا يسمح لك حتى في اقل لفظة تحمل ادنى تضجر: «أف»: «فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ» فضلا عن ان تنهرهما: «وَ لا تَنْهَرْهُما» حتى و ان نهراك او ضرباك! فلا فحسب عليك سلبية أف او نهر أم ماذا من إساءة، بل و عليك الإحسان إليهما و اي احسان؟ في قول: «وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً» و من ثم فعل‏ «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» و لكنك لحد الآن ما أديت حق الإحسان إليهما، فعليك الالتماس من ربك أن يكفّي هو هذا الإحسان‏ «وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً»!.

قول «افّ» لهما محرم، ثم نهرهما محرم، و ترك قول كريم لهما محرم، و ترك خفض الجناح لهما من الذل محرم، و ترك القول‏ «رَبِّ ارْحَمْهُما ...»

محرم و اين خماسية التحريم هذه؟ فيما إذا اجتمعت لهما عليك شروط تضجرك، ان بلغا عندك الكبر! فما هي الواجبات و المحرمات عليك و جاههم، إذا لم يبلغا الكبر و لم يكونا عندك و لم يضجراك؟.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الكسا ام للزمخشري 2: 514 روى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء و

قال رجل لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): ان ابويّ بلغا من الكبر إنّي ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتها؟ قال: لا فإنهما ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 150

قد تشمل‏ «بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» إحسانا في هذه الخمس و ما بعدها، ابتداء بترك أدنى إساءة «أف أو نهر» فسائرها أولى بالترك، ثم القول الكريم، ثم الفعل الكريم‏ «وَ اخْفِضْ لَهُما» و من ثم دعاء كريم‏ «رَبِّ ارْحَمْهُما ...» و هذه في تضيق أخلاقهما إن كبرا عندك، فما ذا بعدوهما في حالة الاستغناء عنك و الحنان عليك؟.

«فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ» ... و

هو ادنى العقوق‏ «1».

. و في «أف» وجوه لفظية عشرة «2» هذا أوجهها قضية كتبها في تواتر القرآن فلا يصغى الى صيغ اخرى، كما لها وجوه معنوية ست‏ «3» يجمعها اظهار التضجر و كما في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 3: 171 عن عائشة قالت قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): ...

و

في نور الثقلين 3: 149 عن اصول الكافي باسناده عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: ادنى العقوق أف و لو علم اللّه شيئا أهون منه لنهى عنه‏

و

في حديث آخر عنه (عليه السلام) و من العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر إليهما.

و

فيه عن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبد اللّه (عليه السلام) ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره- الى ان قال-: و إذا قال له أف فليس بينهما ولاية.

(2) تفسير الفخر الرازي ج 20 ص 188- قال الزجاج فيه سبع لغات: كسر الفاء و ضمها و فتحها، منونا و سواه، و السابعة «أفي» و ذكر ابن الانباري نقلا عن الزجاج ثلاثة وجوه اخرى (إفّي) بكسر الالف و فتح الفاء و (أفه) بضم الالف و إدخال الهاء و (أف) بضم الالف و تسكين الفاء.

قرء ابن كثير و ابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، و نافع و حفص بكسر الفاء و التنوين، و الباقون بكسر الفاء من غير تنوين، و كلها لغات و على هذا الخلاف في الأنبياء (أف لكم) و في الأحقاف (أف لكما).

أقول فهذه عشرة كاملة هي: «إف أف- أف- إف- أفي- أفة- أف» و قد ذكرها ابن منظور الافريقي في لسان العرب ج 1 ص 73.

(3) و هي: الوسخ الذي حول الظفر و التف الذي في الظفر- وسخ الاذن و التف وسخ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 151

الفارسية (أه) (أو) و الحق أنها لا تعني إلا ما تعنيه صيغة اللفظ و أصله نفخك للشي‏ء يسقط عليك من تراب او رماد، و للمكان تريد إماطة الأذى عنه.

ثم الاف منها لفظي و منها نظرة بغضاء أو حركة او كتابة ام ماذا؟ و كما

يروي عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «ما أباه من حد اليه الطرف» «1».

فالأفّ و هي أدنى العقوق تشير الى أدناه في لفظة او لمحة ام ماذا من مظاهر التضجر دون اختصاص.

و إذا يحرم ان تقول لهما «أف» فباحرى ان تنهرهما او تسبهما او تضربهما، و لأن الاف قد ينتهي الى النهر يثنيه ب:

«وَ لا تَنْهَرْهُما» زجرا بالصياح و رفع الصوت عليهما و الإغلاظ في القول حيث يشي بالإهانة و سوء ادب ... لا- و- لا! و انما:

«وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً»: قولا يحمل إكرامهما و ان ضرباك او أهاناك، و كرم القول هو التوسع في عطوفته و لينته، و من العطف بهما أن تأمرهما بمعروف تركاه و تنهاهما عن منكر اقترفاه، كأن يسيا إليك أم سواك ظلما، و تراعي في كل ذلك أن «لا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما» «وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الإطفاء- الافف: الضجر و القلة- كلمة تضجر- جعل يتأفف من ريح وجدها و معناه يقول: أف أف- ذكرها في لسان العرب و التفسير الكبير للفخر الرازي.

(1). الدر المنثور 3: 171- اخرج ابن مردويه و البيهقي في شعب الايمان عن عائشة قالت قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): ...

و

فيه 3: 172 عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال: ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب اللّه له بكل نظرة حجة مبرورة. قالوا: و ان نظر كل يوم مائة مرة؟

قال: نعم اللّه اكبر و أطيب.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 152

وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ: اخفض لهما ... كما خفضا لك و اين خفض من خفض؟ اخفض لهما جناح الذل، لا جناح العزو الكبرياء أن ترعاهما تحت جناحك امتنانا و امتهانا، حتى و لو كانت رعاية كاملة كافلة، فانه جناح فيه جناح، و انما جناح الذل الخافض من الرحمة مثلث من الرعاية يحمل ارحمها و أتمها.

فليكن كلك لهما جناحا، من فكرة او قولة او فعلة، من مال او حال او منال، و ليلمسا أنهما عندك في جناح أيا كان و أنّى و أيان، و من ثم ذل في كل جناح، و ليكن جناح الذل ثابتا من أصول الرحمة، جانحا طاقات العطوفة، فترك بسط الجناح لهما جناح، و جناح العز جناح، و جناح الذل من دون رحمة جناح، و انما جناح الذل من الرحمة «1» فرغم ان الجناح لا يعني لصاحبه إلا ان يطير به، فهو و جاه الوالدين فرش لهما يعيشان عليه، او يطير به الوالدين الى مآربهما، كما الطائر إذا يطير يرفع جناحه و إذا يرعى فرخه يخفضه من الرحمة، و خلاصة المعني من خفض الجناح الإخبات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

اصول الكافي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في آية الوالدين سئل ما هذا الإحسان؟ فقال: الإحسان ان تحسن صحبتهما و ان لا تكلفهما ان يسألاك مما يحتاجان إليك و ان كانا مستغنيين أ ليس اللّه يقول‏ «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» ثم قال (عليه السلام) و اما قول اللّه عز و جل‏ «إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ... ان أضجراك فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما ان ضرباك‏ «وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً» ان ضرباك فقل لهما غفر اللّه لكما فذلك قول كريم‏ «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ-» لا تمل عينيك في النظر إليهما الا برحمة و رقة و لا ترفع صوتك فوق أصواتهما و لا يدك فوق أيديهما و لا تقم قدامهما.

و

في الدر المنثور 3: 174- اخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس (رضي اللّه عليه) قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) من أصبح مطيعا للّه في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة و ان كان واحدا فواحد و من امسى عاصيا للّه في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار و ان كان واحدا فواحدة قال رجل: و ان ظلماه؟ قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): و ان ظلماه و ان ظلماه و ان ظلماه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 153

للوالدين و إلانة القول لهما و الرفق و اللطف بهما.

في كلّ ذلك يشترك الوالدان. مسلمين كانا او كافرين‏ «وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى‏ أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً» (31: 15) معروفهما و هو هكذا إحسان إليهما.

ثم يختص الوالدان المسلمان بمزيد الإحسان حيين كانا او ميتين ان تدعو لهما بخير و تستغفر «وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً».

ف «ارحمهما» من الرحم و الرحمة بالنسبة للدنيا و للآخرة، ام و للدنيا فقط كما للمشركين فان الاستغفار لهما ممنوع: «ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى‏ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ ..» (9: 113) «1» فإذا تبين أن الوالدين او أحدهما من اصحاب الجحيم لا يسمح لهما الاستغفار حياتا و مماتا، اللهم إلا طلبا للرحمة الالهية ان تشملهما حالة الحياة بأن يؤمنا او يخففا عن شركهما، و هذه الآية و ان كان بينها و بين آية الوالدين عموم من وجه تتوارد ان في الوالدين المشركين الا ان هذه نص في العموم بدليل الإشراك من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فلتقيد آية الوالدين دون ريب.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الذر المنثور 3: 171- اخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله تعالى: «وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما ...» ثم انزل اللّه بعد هذا: «ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى‏».

و فيه عن ابن عباس و قتادة قالا: نسختها الآية التي في براءة «ما كانَ لِلنَّبِيِّ ...» أقول: هذا تقييد لا طلاق آية الاسترحام و لان القرآن كان ينزل نجوما من عام و خاصه و من مطلق و مقيده، لذلك قد لا يعتبر مثل ذلك نسخا، او يقال: أريد الإطلاق أولا ثم نسخ الإطلاق، و لكن «ما كان» يضرب الى اعماق الماضي ان هذا الاستغفار كان محرما منذ البداية، و عله كان من الضروري عدم جواز الاستغفار للمشركين من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ...» ثم النسخ على خمسة اقسام: نسخ العموم او الإطلاق او الخصوص او التقيد او نسخ مباين جزئيا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 154

و قد تلمح‏ «كَما رَبَّيانِي صَغِيراً» أن الرحمة المطلوبة هنا هي الدنيوية، و لكنها ليست رحمة إذا لم تتبعه الرحمة الاخروية او منعتهما إياها، إذا فالرحمة المطلوبة هي الملائمة للحياة الآخرة، منذ الدنيا ام في الآخرة. الا ان رحمة الاستغفار للمشركين مقطوعة ممنوعة عنهما و ان كانوا اولي قربى:

و الدين ام من ذا؟ من بعد ما تبين أنهم أصحاب الجحيم، و اما قبل التبينّ فمسموح لهما الاستغفار و ان كانوا مشركين، لا إن ماتوا مشركين.

و ترى إذا كانت قوله «الاف» لهما محرما، فكيف يقول ابراهيم للمشركين و فيهم أبوه آزر، «أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» (21: 67) ثم و ما فوق الأف‏ «وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَراكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» (6: 74).

و الجواب عن أف ان آزر لم يكن والده و إنما عمه ثم هذا الاف موجه الى ضلال الشرك أيا كان و في اي كان، و كذلك‏ «ضَلالٍ مُبِينٍ» حيث الدعوة الرسالية و تفنيد الضالات واجبة إطلاقا، و قد تكون بالنسبة للوالدين أوجب رحمة بهما ان يهتديا الى صراط مستقيم.

ثم إن حرمة الوالدين ليست لتمنع عن حرمة اللّه فلم يجعلهما اللّه شريكين لنفسه او زاد و إنما فرض الإحسان إليهما و طاعتهما فيما لم يعارض طاعة اللّه و ما افترضه اللّه.

و إنها لذكرى حانية، الطفولة الهزيلة الضعيفة حيث يرعاها الوالدان.

فلأنك لا تسطع مقابلة لهما بالمثل تطلب من ربك ان يرعاهما كما ربياك صغيرا، حيث هما اليوم في مثل حالة الطفولة من الضعف و الحاجة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 155

الى الحنان و الرعاية، و هو القادر على جزائهما عما بذلا و قدما لك في الطفولة.

و هو الرحمان الرحيم يجازيهما في الاخرى، ام في الأولى، ام فيهما، لما تسترحم ربك لهما، اللهم إلا فيما لا يقبل الرحمة: ان يموتا مشركين، فرحمتهما إذا يخص الأولى.

و ترى هل من الإحسان إليهما و ترك الاساءة لهما ترك الواجب او فعل الحرام؟ قد تلمح‏ «وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى‏ أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما ...» ان ما دون الشرك من الحرام مسموح إحسانا بالوالدين، إلا أن‏ «وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً» تحصر طاعتهما في الأمور الدنيوية، غير المربوطة بالآخرة، ثم القضاء الأول‏ «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» تحصر الطاعة في اللّه، فلا طاعة لمخلوق في معصية اللّه، اللهم إلا الواجبات غير التعيينية التي لها مندوحة فضلا عن المستحبات، اللهم إلا إذا كان النهي عنها معارضة لشرعة اللّه، و على اية حال‏ «وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً» ما استطعت دون ان ترضيهما بسخط اللّه، فإذا تهجرهما هجرة الى اللّه فحاول في ان تضحكهما بعد البكاء «1» و لما تريد الجهاد

«ففيهما فجاهد» «2»

إذا لم يكن فرض عين.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 2: 173- اخرج الرزاق في المصحف و البخاري في الأدب و الحاكم و صححه و البيهقي عن عبد اللّه بن عمر قال: جاء رجل الى النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يبايعه علي الهجرة و ترك أبويه يبكيان قال: فارجع إليهما و اضحكهما كما ابكيتهما.

(2)

الدر المنثور 3: 172- اخرج عبد الرزاق و ابن أبي شيبة و البخاري و مسلّم عن عبد اللّه ابن عمر قال: جاء رجل الى النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يريد الجهاد، فقال: أ لك والدان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد.

أقول: لعل المسؤول عنه هو مطلق الجهاد، او الجهاد الذي لم يكن فرض عين.

و

فيه اخرج سعيد و ابن أبي شيبة و احمد و النسائي و ابن ماجه و الحاكم و صححه و البيهقي‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 156

ان فرض طاعة الأبوين و الإحسان إليهما هو بعد فرض اللّه تعالى فلا يتعارضان حتى يؤخذ بالأهم و لا أهم إلا فرض اللّه، و لا تعارض بين الفرض المخير فيه من اللّه و الفرض القاطع و جاه الأبوين، اللهم إلا في الكفائي إذا كان تركه ينقص الكفاية، و إذا كان نهيهما عن المستحب لصالح له أولهما يتنجز الترك، و اما النهي دون صالح فلا، مهما كان‏

«رضا الله في رضا الوالدين و سخطه في سخطهما» «1»

فانه فيما لم يناف رضى اللّه او يستوجب سخط اللّه!.

ففي الاستنفار العام للجهاد او الدفاع او اي واجب جماعي يجب النفر و لا يمنعه منع الوالدين، و فيما دونه من الواجبات الكفائية او التخييرية قد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

عن معاوية بن جابر عن أبيه قال: أتيت النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أستشيره في الجهاد فقال: أ لك والدة؟ قلت: نعم- قال: اذهب فألزمها فان الجنة عند رجليها و اخرج مثله عبد الرزاق عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)

و أضاف ثم الثانية ثم الثالثة لمثل ذلك» أقول: لعله يعني الرجعة اليه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) او الاستشارة اليه ثانية، و ثالثة فقال: كمثل ذلك.

و

فيه اخرج ابن مردويه و البيهقي عن انس‏ أتى رجل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقال: اني اشتهي الجهاد و لا اقدر عليه فقال: هل بقي احد من والديك؟

قال: امي قال: فاتق اللّه فيها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج معتمر و مجاهد، فإذا دعتك أمك فاتق اللّه و برها.

و

اخرج البيهقي عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لنومك على السرير بين والديك تضحكهما و يضحكانك أفضل من جهادك بالسيف في سبيل اللّه.

و

اخرج عنه قال‏ مر رجل له جسم يعني خلقا فقالوا: لو كان هذا في سبيل اللّه فقال النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لعله يكد على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل اللّه لعلّه يكد على صبية صغار فهو في سبيل اللّه لعله يكد على نفسه ليغنيها عن الناس فهو في سبيل اللّه‏

(1). تفسير الزمخشري ج 2 ص 513 و في هامشه يسنده الى النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بعدة طرق.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 157

يفرضه أمرهما كما يمنعه منعهما اللهم الا إذا كان عن عناد أم اللامبالات بالدين فلا حتى في ترك المستحبات و فعل المكروهات، و جملة القول في حدود الإحسان بالوالدين ألا يكون فيه إساءة الى اللّه ام الى سواه دونما استحقاق، و لا يكون معارضة للشرعة الإلهية، ففيما أنت بالخيار فعلا او تركا في المباحات و المستحبات و المكروهات و حتى الواجبات التخييرية او الكفائية غير المنجزة قد ينجز أمرهما او نهيهما فتصبح واحدة من هذه الخمس واجبا عليك معينة او محرمة إذا كان في هذا التنجيز مصلحة لك أولهما او حنانا عليك منهما، دون ان يكون عن جهلهما او تجاهلهما او اللامبالات منهما ام ماذا؟ مما هو إساءة بأحكام اللّه.

ثم إن حرمة لفظة الاف او لمحتها او تضجر ظاهر بالنسبة للأبوين لا تمنع حليتها او وجوبها في مقام إقامة البرهان لإثبات حق اللّه كما «قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ... إِنِّي أَراكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» حيث كان في مقام الاحتجاج لابطال الشرك و اثبات التوحيد و هو واجب الدعوة الرسالية الاولى و الاخيرة، اضافة الى ان آزر لم يكن والده و انما عمه أوجده لأمه، و حتى إذا كان والده كان قد ادى واجبه الرسالي.

و لقد اوصى الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و الأئمة من عترته بمختلف أشكال الإحسان بالوالدين لحد القول في الابن‏

«أنت و ما لك لأبيك» «1»!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الكشاف للزمخشري 2: 514 من رواية سعيد بن المسيب‏ شكا رجل الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أباه انه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال: انه كان ضعيفا و انا قوي و فقيرا و انا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي و اليوم انا ضعيف و هو قوي و انا فقير و هو غني و يبخل علي بماله فبكى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و قال: ما من حجر و لا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد: أنت و ما لك لأبيك أنت و ما لك لأبيك» و شكا اليه آخر سوء خلق امه فقال (صلّى اللّه عليه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 158

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ‏ «1» تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (25).

قد تعني الآية الإجابة عما ربما يتقول: أننا في نفوسنا صالحون فما ذا علينا في «أف» او «نهر» ام ماذا من جوارح الجوارح و جاه الوالدين؟ ما دامت نفوسنا صالحة لا تريد إلا الخير لهما؟.

و الجواب: «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ» فلأن صلاح النفوس تتمثل في صلاح الأعمال فالمسيئ الى الوالدين ليس من الصالحين، فهي ادعاء خاوية جوفاء أن صلاح النفس و النفس فقط هو المرغوب دون الجوارح في الأعمال!.

ثم و اجابة- كما يعني ذيلها- عمن قصر في حقهما و هو صالح دون تقصد، و انما تلفتّ دون تفلّت و عناد، و انما خطأ جاهل دون فساد ناشئ من فساد النفس، فالجواب‏ «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ» فمن الصالحين- حين يخطأ- أوّابون‏ «فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً» ثم لا صالح يخطأ و ليس من الأوابين، اللهم إلا صالحا يدعي الصلاح، و أنه أساء إليهما خطأ، فلأنه ليس صالحا حتى يكون من الأوابين، لم يكن اللّه ليغفر له هذه الإساءة.

و الأوابون هم الراجعون الى اللّه دوما معتذرين عما قصروا او قصّروا،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و آله و سلّم): لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر؟ قال: انها سيئة الخلق قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها و اظمأت نهارها؟

قال: لقد جازيتها قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): ما فعلت؟ قال: حججت بها على عاتقي قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): ما جزيتها و لو طلقة.

(1). ان هنا ليست شرطيه حتى تختص علم اللّه بما في النفوس بما إذا كانت صالحة و انما هي وصليه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 159

و قد وصف داود و سليمان و أيوب بالاواب، و بطبيعة الحال أو أب حفيظ «هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ» (50: 32) فهم اوابون فيما قصروا، دون تقصير ينافي العصمة، و المقصرون كمن لم يراع حق الوالدين ليسوا من الأواب الحفيظ اللهم إلا في صلاح نفوسهم، فهناك أواب صالح حفيظ نفسيّا و عمليا كأمثال داود و سليمان، و هنا لك أواب صالح حفيظ نفسيا يتوب الى اللّه إصلاحا عمليا، و من ثم أواب غير صالح و لا حفيظ، لم يعد اللّه له غفرانا اللهم إلا إذا آب و تاب صادقا و اين أواب من أواب و غفران من غفران، غفران يستر القصور، و آخر فرضه اللّه على نفسه و ثالث قد يكون من فضله، و قد يشمل الأوابين الطوائف الثلاث مهما تصدرت الآية بالوسطى، اللهم إلا الأوابين غير الصالحين الذين لا يتوبون إلا كالمستهزئين. إذ لا يرجعون في أوبتهم عما قصروا. ف‏

«الأوابون هم التوابون المتعبدون» «1»

و من سننهم‏

«الورع و الاجتهاد و أداء الأمانة و صدق الحديث و حسن الصحبة و طول السجود» «2»

و الأوابون قوم خصوص حتى في صلاتهم‏ «3».

و هذه الآية هي الوحيدة حيث تحمل الأوابين بصورة عامة، دون أواب حفيظ او أواب نبي، و انما «الأوابين» فقط حيث تشملهما و غيرهما إذا كان صادقا في أوبته و توبته.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 153 عن تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه (عليه السلام). يقول في الآية: هم ...

(2)

المصدر عنه (عليه السلام) قال: يا أبا محمد عليكم بالورع و ... و كان ذلك من سنن الأوابين.

(3)

المصدر هشام بن سالم عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: من صلّى اربع ركعات في كل ركعة خمسين مرة قل هو اللّه احد كانت صلاة فاطمة (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و هي صلاة الأوابين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 160

«1» وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (26). إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (27).

في الأمر بإحسان الوالدين أتى بالجمع، فلم يخص الرسول (صلّى اللّه عليه و آله السلام) بالأمر بل و لم يعمه فانه فقد والديه قبل الوحي بردح بعيد من الزمن، ثم هنا يخصه بالأمر و ان شمل كافة المكلفين على نحو القضية الحقيقية، حيث يناسبه من جهات عدة نأتي عليها، و الى‏ «لا تَجْعَلْ يَدَكَ‏ ... إِنَّ رَبَّكَ ...» ثم يعمم النهي عن قتل الأولاد خشية إملاق و قرب الزنا و قتل النفس و قرب مال اليتيم، كما و يعمم الأمر بوفاء العهد و الكيل و الوزن بالقسطاس المستقيم، دون أن يخصه او يعمه هذا او ذاك لنزاهة ساحته عن هذه و تلك، و يرجع أخيرا الى خطابه كما في‏ «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ» في‏ «وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» و «وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً» و «وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ ...»

فقد يشمله او يخصه امر او نهي يناسب امره و نهيه على وجه لا ينافي ساحة نبوته و عصمته، ام لا يخصه او يشمله فيما لا يناسبه على أي وجه، كالقتل و الزنا ام ماذا؟ و ظاهر الخطاب المفرد موجه إليه أولا ثم إلى سواه، إلا إذا لم يناسبه فعلى نحو القضية الحقيقية لكل مكلف دونه، و ظاهر الخطاب العام يشمله كذلك إلّا ...

هنا يؤمر هو أولا بأوامر ثلاث: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ...» ترى و من هو «ذا القربى»؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و أن المقدرة هنا قضيبة العطف على الا تعبدوا ليست الا مفسرة: ان آت، حيث الناصبة تختص المستقبل، و لعلها تصلح قرينة على السابقة لها ايضا مفسرة فلا تقدير- إذا- للباء إطلاقا، و كافة الموارد المذكورة مصاديق لتفسير القضاء الأول.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 161

انه صاحب القرابة الأدنى، و الأولى و الأولى بالرسول نسبيا و رساليا، ان يؤتي حقه روحيا و ماليا، كما آتى فدكا لأقرب ذوي قرباه فاطمة «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 3: 177- اخرج البزاز و ابو يعلي و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي سيعد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ ...، دعا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فاطمة فأعطاها فدك و فيه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت اقطع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فاطمة فدكا. و رواه مثله في جمع الفوائد عن أبي سيعد و ينابيع المودة للحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي ص 119 و في شواهد التنزيل حديث 467 و 468 و 469 و 470 و 471 و 472 و 473 مثله.

و

في نور الثقلين 3: 154 ح 156 عن عيون الاخبار في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة و الامة حديث طويل و فيه‏ في قول اللّه تعالى‏ «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ» خصوصية خصهم اللّه العزيز الجبار بها و اصطفاهم على الامة فلما نزلت هذه الآية على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال: ادعوا لي فاطمة فدعيت له فقال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): يا فاطمة قالت: لبيك يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقال: هذه فدك هي مما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب و هي لي خاصة دون المسلمين فقد جعلتها لك لما امرني اللّه به فخذ بها لك و لولدك.

و

فيه عن الكافي عن علي بن أسباط قال: لما ورد ابو الحسن موسى على المهدي رآه يرد المظالم فقال: يا امير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد؟ فقال له: و ما ذاك يا أبا الحسن؟

قال: ان اللّه تبارك و تعالى لمّا فتح على نبيه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فدك و ما والاها لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب فأنزل اللّه على نبيه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ» و لم يدر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) من هم فراجع في ذلك جبرئيل (عليه السلام) فدعاها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقال لها:

يا فاطمة ان اللّه امرني ان ادفع إليك فدك فقالت: قد قبلت يا رسول اللّه من اللّه و منك فلم يزل وكلاءها فيها حياة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فلما ولى ابو بكر اخرج عنها و كلاءها فأتته فسألته ان يردها فقال لها: ايتيني بأسود او احمر يشهد لك بذلك فجاءت بأمير المؤمنين (عليه السلام) و ام ايمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض ...».

أقول و روايات أصحابنا قريبة الى متواترة في قصة فدك فلا نطيل.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 162

و وصى فيها خيرا:

«فاطمة بضعة مني و أنا منها فمن آذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله»

مؤنة مالية لكي تستغني هي و زوجها و الأئمة من ولدها، معونة في بث الرسالة الإسلامية، و معونة روحية تعرفها بها الأمة المرحومة.

و انه علي عليه السلام حيث آتى حقه من التربية في حضنه و حضانته لحد

قال: ولدني رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)، و زوّجه بضعته فاطمة إذ لم يحق لها غيره و لم تحق له غيرها، ثم آتاه حق الوصاية و الخلافة «1»

كما و آتى عترته المعصومين حقوقهم أن جعلهم خلفائه من بعده تلو بعض‏ «2». إن ذوي القربى المأمور بايتائهم في القرآن كثير حيث يؤمر المكلفون بايتائهم و الإنفاق عليهم، و لكن ذي القربى المأمور بايتائه في أمر شخصي ليس إلا هنا و في الروم: «فَآتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (30: 38)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 153 في اصول الكافي بسند عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ثم قال جل ذكره: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ» و كان علي (عليه السلام) و كان حقه الوصية التي جعلت و الاسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوة.

و

فيه عن أبي الطفيل عن علي (عليه السلام) قال يوم الشورى: أ فيكم احد تم نوره من السماء حين قال: و آت ذا القربى حقه و المسكين؟ قالوا: لا.

(2)

الدر المنثور 3: 176- اخرج ابن جرير عن علي بن الحسين (عليه السلام) انه قال لرجل من اهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم- قال: أ فما قرأت في بني إسرائيل: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ» قال: و انكم للقرابة الذي امر اللّه ان يؤتى حقه؟

قال (عليه السلام): نعم‏ و رواه مثله الثعلبي عن السدي عن ابن الديلمي قال قال علي بن الحسين (عليه السلام) لرجل من اهل الشام (البرهان 2: 415- 3).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 163

و هي محتفة في ذيلها و ما قبلها و بعدها بعموم دون خصوص‏ «1».

و مكية الآية في السورتين لا تنافي القرابة الخاصة، حيث أخذ في الإيتاء منذ مكة لعلي و فاطمة تربويا، و حتى المدينة إيتاء لفدكها و خلافته، او تكون إحداهما مكية و الاخرى مدنية! و مكية السورة لا تنافي مدنية آية او آيات منها.

و لا نجد في آيات ذوي القربى- كما اليتامى و المساكين و ابن السبيل- حقا خاصا لذي القربى إلا هنا و في الروم، في خصوص قربى الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)، إذا فلهم حق خاص ليس لسائر ذوي القربى أمن ذا، يعبر عنه هنا ب «حقه» و في آيات المودة «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى‏» ما يختصهم بحق لا يشاركهم فيه أحد من العالمين، فليس إذا من الحقوق المالية- فقط- حيث يشاركهم غيرهم كما في آيات ذوي القربى ام من ذا؟، فانما هو حق من بيت الرسالة الإسلامية هو استمراريتها في خلافتها المجيدة، مهما شمل بطياته حقا ماليا للصديقة الطاهرة كفدك، هي بلغتها و بلغة زوجها و أولادها المعصومين، كمعونة لبيت الرسالة فان دنياهم آخرة.

ثم لا تشترط المسكنة في واجب الإيتاء الا في المسكين أحواليا و إلا في ابن السبيل حاليا، فيؤتي ذو القربى لقرابته و اليتيم ليتمه و ابن السبيل لضرورته، سواء أ كانوا فقراء أم من ذا، ثم و هؤلاء درجات كما و ذوا القربى درجات و على حدّ

قول الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فذيلها «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ» و قبلها «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» و بعدها «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 164

«ابدأ بمن تعول أمك و أباك و أختك و أخاك و أدناك فأدناك‏ «1».

ثم و لا يخص الإيتاء إيتاء المال بل و مطلق الإحسان كما تتطلبه الظروف و الحاجيات: «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى‏ وَ الْيَتامى‏ وَ الْمَساكِينِ وَ الْجارِ ذِي الْقُرْبى‏ وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ...» (4: 36)،

فإذا لا تستطع إيتاء ماليا لليتامى و المساكين فأحسن إليهما في مواجهة أو توجيه بإحسان‏ «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ. وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ».

و ترى الإيتاء الإحسان واجب مالي أو حالي كسائر الواجبات، نفقات ام ماذا؟ قد يقال: لا- اللهم إلا إحسانا بالوالدين، إذ لم يفت به الفقهاء! و لكنه كيف لا؟ و اللّه يأمرنا بها: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى‏ ....» (16: 90) و يأمر بإيتاء من سواهم و الإحسان إليهم مهما كان في حق معلوم كما في نفقات أم غير معلوم كما هنا و هناك.

ثم و إيتاء الحق ماليا له حدود واجبة و اخرى راجحة و من ثم محرمة ليس حقا و هو الإيتاء أم ماذا من صرف المال تبذيرا، فمهما كان إيتاء حق واجبا أم راجحا فالإيتاء تبذيرا محرم يجعل المبذر من إخوان الشياطين! «وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ».

و انها آية يتيمة منقطعة النظير في تحريم التبذير تحمل على وحدتها حملة قوية على المبذرين «انهم اخوان الشياطين» اخوة في شيطنة التبذير، ثم لا نجد في سائر القرآن اخوة للشياطين إلا: «وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ» (7: 202) «وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى‏ أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ» (6: 121)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 177- اخرج ابن أبي شيبة عن ثعلبة بن زهدم قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و هو يخطب: «يد المعطي العليا و يد السائل السفلى و ابدأ بمن تعول ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 165

«أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» (19: 83) «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى‏ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ. تَنَزَّلُ عَلى‏ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ» (26: 221) رغم أن الأخوة في الأولى للكافرين، ثم لا أخوة و أنما ولاية و تنزل و رسالة، و الأخوة تعني المعاونة المساعدة في اصول الشيطنة، و التبذير اخوة للشياطين!.

هنا لك إسراف محرم أن تصرف فوق ما تحتاجه، و لكنما التبذير هو أن تصرف فيما لا تحتاجه أنت و لا غيرك حيث لا ينفع ام و يضر فانه أنحس تبذير.

كلام حول التبذير:

فالإيتاء أيا كان قد يكون تجارة و مبادلة، أو إنفاقا في سبيل اللّه دون ابتغاء جزاء و لا شكور إلا وجه اللّه، فهو إذا بذر يغني بنفسه و يزداد، أو إسراف حيث تصرف المال في الخلال فوق الحاجة، أو تبذير حيث يكون إفناء للبذر دون مقابل في الأولى و لا الأخرى، فهو تضييع في بعد واحد إذا لم يضر إلا فناء البذر، او بعدين إذا أضر زيادة على الإفناء، كأن تشغل أرضا سبخة مالحة صالحة لغير الزرع تشغلها ببذر حيث تفني البذر فلا تشغلها لصالح غير الزرع.

ثم التبذير لا يخص المال فانه أدناه، حيث يعم كافة النعم مادية و معنوية، من رميك النوى‏ «1» حيث تفيد، و من تولية إمرة المسلمين لغير

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 157 في تفسير العياشي عن بشر بن مروان قال: دخلنا على أبي عبد اللّه (ع) فدعى برطب فاقبل بعضهم يرمي النوى، قال: فأمسك ابو عبد اللّه (ع) يده فقال: لا تفعل إن هذا من التبذير و ان اللّه لا يحب الفساد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 166

امير المؤمنين‏ «1»، فتولية الأمر أيا كان لمن يحق عدل، و لمن لا يحق تضييع تبذير، و ان كان فوق ما يحق فإسراف و ظلم، و إن كان لمن يحق فعدل، و إن كان دون ما يحق فتقصير و ظلم، و هذه كلها تجري في كافة النعم حيث تؤتى من مال أو منال أو منصب أم ماذا؟.

فتبذير المال هو أن تنفقه في غير حقه قليلا او كثيرا إذ ليس هو الكثرة في الإنفاق انما هو وضع الإنفاق و موضعه، و نية الإنفاق و موقعه ف‏

«من أنفق شيئا في غير طاعة الله فهو مبذر» «2»

«و ما أنفقت رياء و سمعة فذلك حظ الشيطان» «3»

و منه إنفاقك مالك كله‏ «فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً» «4» و هو أدنى الإسراف لحد قد لا تشمله الآية في اخوة الشياطين حيث الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بعيد كل البعد عن هكذا تبذير «5» اللهم إلا نهيا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر في محاسن البرقي بسنده عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في قول اللّه‏ «وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً قال: لا تبذر ولاية على.

(2)

نور الثقلين 3: 156 في تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال‏ سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن قوله: «وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً» قال: ... و من أنفق في سبيل اللّه فهو مقتصد.

(3)

الدر المنثور 4: 177- اخرج البيهقي في شعب الايمان عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: ما أنفقت على نفسك و اهل بيتك في غير سرف و لا تبذير و ما تصدقت فلك و ما أنفقت ...

(4)

تفسير البرهان 3: 416 عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام) في قوله‏ «لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً» قال: بذل الرجل ماله و يقعد ليس له مال قال: فيكون تبذير في حلال؟ قال: نعم.

(5) و من الدليل على الشمول، ما

في الدر المنثور 6: 177- اخرج احمد و الحاكم و صححه عن انس‏ ان رجلا قال: يا رسول اللّه اني ذو مال كثير و ذو اهل و ولد و حاضرة فاخبرني كيف أنفق و كيف اصنع؟ قال: تخرج الزكاة المفروضة فانها طهرة تطهرك و تصل أقاربك و تعرف حق السائل و الجار و المسكين فقال يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)! اقلل لي قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): فآت ذا القربى حقه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 167

تنزيهيا تعطفا عليه يشمله صدر الآية «وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً» ثم الذيل‏ «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ» لا يشمله (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ابدا. بل الصدر ايضا حيث التبذير هو ألا تنتفع و لا تنفع بما تدفع و قد تضر او تتضرر، و ليس منه إنفاق مالك كله في سبيل اللّه فتقعد ملوما محسورا و لا إنفاقك منا أو أذى، ام ماذا من موارد الإنفاق التي ليست هدرا كله و لا ضرا كله، و إن كان ممنوعا منهيا عنه.

و النهي عن التبذير مطلق لنفسه و لمكان «تبذيرا» يشمل تبذير النفس و النفيس، فتبذير النفس محرم أيا كان، أن يهدر الإنسان نفسه انتحارا ام تعريضا للقتل او الجرح او المرض او أية اصابة بدنية او روحية دون مقابل موازن او هو أرجح.

كذلك و تبذير المال أن تصرفه في غير حلال او تهدره دون صرف، ام في حلال برئاء او سمعة او من او أذى، ام في حلال باستئصال المال ان تبسط يدك كل البسط فتقعد ملوما محسورا، مهما اختلفت اخوّة الشياطين في هذه و تلك.

و باحرى منعا صرف المال فيما يضرك نفسيا ام ماذا، كالدخان و أخواتها من سائر المخدرات، التي تضرك ماليا و نفسيا، و كلما كان عدم الانتفاع في الإيتاء اكثر، و الضرر اكثر، و من حيث الشمول أوسع فحرمة التبذير اكثر و اخوة الشياطين أوفر.

و لأن‏ «ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» «وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (93:) 11) و التحديث بنعمة اللّه إظهارها و صرفها في مرضات اللّه، فتبديلها إذا يخلف شديد العقاب: «وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و المسكين و ابن السبيل و لا تبذير تبذيرا- قال: حسبي يا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 168

(2: 211) تبديلا الى غير نعمة او الى كفر و نقمة: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ» (14: 28).

و لأن «الشيطان كان لربه كفورا» فهؤلاء المبذرون‏ «كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ» في كفرانهم بنعم اللّه هدرا لها او صرفا في غير حلها.».

إذا فالتبذير في دولة او دولة، في نفس او نفيس، في علم ام ماذا من نعم اللّه تعالى كل ذلك كفران بنعمة الرب فإخوة للشياطين فتولية الأمر لمن لا يستحق تبذير، و توليته فوق ما يستحق إسراف، كما أنها دون استحقاقه ظلم، و كذلك كل امر له مثلث القصور و التقصير و التبذير.

ليس التبذير- بطبيعة الحال- إلا فيما يؤتيه المبذر، و كما الآية تفتتح بالإيتاء، و لا يخص كما سلف إيتاء المال كما الإيتاء في الآية لا يخصه، فقد يشمل التبذير نفس الإنسان و نفائسه من علم او منصب ام ماذا، فتعليمك علوم الدين زائدا على استحقاق المتعلم إسراف و إذا هو يصرفه في الضلال او لا ينتفع به و لا ينفع فتبذير.

فمن يحضر خط النار في جهاد الكفار ليس له تبذير نفسه او نفره او سلاحه ام اية طاقة من الطاقات الحربية، ان يعرضها للهدر دونما مقابل، او مقابل أقل منها و أدنى، فهذا إسراف و ذلك تبذير، ان تستأصل منك طاقة هدرا في الحرب دون استئصال من عدوك.

فجهادك دون استعداد و جاه العدو، أم في تهاون فيك و ذويك أمام العدو، ام تعرضك لجرح ام قتل دون الزام أم ماذا من حرب غير مكافحة، إنه لا يخلو عن إسراف أو تبذير.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 169

و لماذا التبذير فقط بين المعاصي أخوة للشياطين، لأنه يجمع كل إتلاف و تهدير يبوء بالضرر إلى الجماعة المسلمة في كل صغير و كبير.

و اخوة الشياطين هذه في التبذير إنما هي في أنه كفران بنعم اللّه، و تبديلها نقما: «وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» (2: 211) «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ» (14: 28) «أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ» (16: 72).

عباد الرحمن يحدثون بنعمته‏ «وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (93: 111) و اخوان الشيطان يكفرون بنعمته!.

وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً (28).

الإعراض «عن» هو ان تولي مبديا عرضك خلاف الإقبال، فقد يكون غضبا ابتغاء نعمة من ربك‏ «أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ» (4: 63) «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ» (32:) 30) او يكون تركا للإيتاء الإنفاق إذ لم تجد ما تودي به متطلبات ذوي القربى و المساكين و ابن السبيل، و تستحي أن تواجههم فتميل عنهم‏ «ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها» لكي تؤتيهم إياها، فكما أنك ترجوا رحمة ربك‏ «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً» و لكي يرجوك كما ترجو اللّه.

فمن القول معسور كأن تنهر فلست إذا وجاه المحتاج بمعذور، و من القول لا معسور و لا ميسور «ما عندي ما أحملكم عليه» «1» فأنت هنا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 177- اخرج سعيد بن منصور و ابن المنذر عن عطاء الخراساني قال: جاءنا ناس من مزينة يستحملون رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقال: لا أجد ما أحملكم عليه تولوا و أعينهم تفيض من الدمع حزنا ظنوا ذلك من غضب رسول‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 170

معذور، و لكن الأفضل أن تقول لهم القول الميسور: كعدة جميلة:

سآتيكم ان شاء اللّه، و بصيغة اخرى ان تحسن بهم إحسانا، ان تؤتيهم خيرا إن كان عندك مع قول ميسور، دون من او أذى او قول معسور.

فالسكوت عن المحاويج، إلا إذا كان حياء «1». او القول: ما عندي، إنهما لا يليقان بكرم الأخلاق و انما قول ميسور فإنه عوض و أمل و تجمل و ان لم يتيسر له الوفاء به.

و قد تعني نون التأكيد في «تعرضن» تأكد الإعراض عند الإعواز ايحاء بانه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لا يكذب- ان يعد و ليس عنده- في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فانزل اللّه تعالى‏ «وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ‏ الآية قال: الرحمة الفي‏ء.

و

في نور الثقلين 3: 157 في كتاب المناقب لابن شهر آشوب بعد ذكر فاطمة (عليها السلام) و ما تلقى من الطحن- عن كتاب الشيرازي- إنها لما ذكرت حالها و سألت جارية بكى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقال: يا فاطمة و الذي بعثني بالحق ان في المسجد اربعمائة رجل ما لهم من طعام و لا ثياب و لو لا خشيتي خصلة لأعطينك ما سألت، يا فاطمة اني لا أريد ان ينفك عنك أجرك الى الجارية و اني أخاف ان يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي اللّه عز و جل إذا طلب حقه منك ثم علمها صلاة التسبيح فقال امير المؤمنين (عليه السلام) مضيت تريدين من رسول اللّه الدنيا فأعطانا اللّه ثواب الآخرة قال ابو هريرة فلما خرج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) من عند فاطمة انزل اللّه على رسوله‏ «وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها» يعني عن قرابتك و ابنتك فاطمة ... فقل لهم قولا ميسورا يعني: قولا حسنا فلما نزلت هذه الآية انفذ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) إليها جارية للخدمة و سماها فضة.

(1).

اخرج ابن حبان و الحاكم عن انس قال‏ كان النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) إذا سئل شيئا و ليس عنده أعرض عن السائل و سكت حياء

و

في الطبراني الأوسط عن علي (عليه السلام) كان النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) إذا سئل شيئا فأراد ان يفعله قال: نعم، و إذا أراد الا يفعل سكت و لم يقل قط لشي‏ء: لا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 171

مجاملات، فوجّه هذه الحتمية الصادقة الى وجهة اخرى لينة لا تنافيها، أن يقول لهم كما يرجو رحمة ربه: إن شاء اللّه: ابتغاء رحمة اللّه، و أما أنا فما عندي، و ما عند اللّه خير و أبقى.

وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى‏ عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (30).

هذه كناية عن التقتير و من ثم التبذير حيث هما مذمومان، نهيا عن التفريط في الإنفاق و آخر عن الإفراط فيه، أن يتخذ بين ذلك قواما:

«الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً» (25: 67):

و قوام المال ما يقوم بالحياة دون إسراف و لا تبذير و لا تكنيز حين يحتاج صاحبه، فالقوام في الإنفاق‏

«حسنة بين سيئتين» «1»

«وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (2: 195) «وَ يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ» (2: 219).

نصوص اربعة تحمل بطيّاتها حملة على البلاء و المبذرين المسرفين، آمرة بالتوازن الإسلامي السليم في صرف المال سلبيا و ايجابيا: ان يد المسلّم هي يد الإعطاء مما زاد عن حاجياته، لا مغلولة الى عنقه ممسكا لا يعطي، و لا باسطة كل البسط يعطي و لا يبقي، و إنما قوام بين ذلك و عوان و توازن هو القاعدة الكبرى في منهج الإقتصاد الاسلامي، فالبخل غل و التبذير بسط و ذل، هما يقعد انك ملوما تلوم نفسك و يلومك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 159 عن تفسير العياشي عن الحلبي عن بعض أصحابه عنه قال: قال ابو جعفر لابي عبد اللّه (ع) يا بني عليك بالحسنة بين السيئتين تمحوهما، قال: و كيف ذلك يا ابه؟ قال: مثل قوله: «وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى‏ عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 172

الناس‏ «1»، محسورا: عاريا «2»، حيث الإفراط و التفريط يحسرانك تعريا عن راحة الحياة، و تحسرا عليها، و انه كذلك تهلكة و تضيق في الحياة لا يدعك ان تتحرك فيها.

فآية الغل البسط ترسم البخل يدا مغلولة الى العنق لا تعطي شيئا و الإسراف و التبذير يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا، و ترسمهما معا قعودا كقعدة الملوم المحسور، كما أية التهلكة يجعلهما فيها جميعا.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 1780- اخرج سعيد بن منصور و ابن المنذر عن يسار بن الحكم قال‏ أتى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بزّ من العراق و كان معطاء كريما فقسمه بين الناس فبلغ ذلك قوما من العرب فقالوا نأتي النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فنسأله فوجدوه قد فرغ منه فأنزل اللّه هذه الآية.

و

في تفسير البرهان 2: 417 الكافي عن علي بن ابراهيم القمي عن هارون بن مسلّم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال قال: علّم اللّه عز و جل اسمه نبيه كيف ينفق و ذلك انه كانت عنده أوقية من الذهب فكره ان تبيت عنده فتصدق بها فأصبح و ليس عنده شي‏ء و جاء من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل و اغتم هو حيثما لم يكن عنده شي‏ء و كان رحيما رقيقا فأدب اللّه عز و جل نبيّه بامره فقال: و لا تجعل ... يقول: ان الناس قد يسألونك و لا يعذرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال قد كنت حسرت من المال.

(2)

الدر المنثور 4: 178- اخرج ابن أبي حاتم عن المنهال بن عمرو قال‏ بعثت امرأة الى النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بابنها فقالت له اكسني ثوبا فقال ما عندي شي‏ء فقالت: ارجع اليه فقل له اكسني قميصك فرجع اليه فنزع قميصه فأعطاه إياه فنزلت الآية

و

فيه اخرج ابن جرير عن ابن مسعود و ذكر مثله و في آخره‏ فخلع قميصه فدفعه اليه فجلس في البيت حاسرا فأنزل اللّه هذه الآية و رواه مثله في الكافي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) (نور الثقلين 3: 158)

و

في تفسير علي ابن ابراهيم عن الصادق.

(عليه السلام) قال: المحسور العريان، و في تفسير البرهان 2: 417 يروي مثله عن ابن شهر آشوب باضافة هي‏ «و بقي في داره عريانا على حصيرة إذ أتاه بلال و قال: يا رسول اللّه الصلاة فنزلت الآية و أتاه بحلة فردوسية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 173

فليست التهلكة و اللوم و الحسرة في بسط اليد فقط، فانها في غلها اكثر و أبسط، و خير الأمور هو الوسط.

فالبخل عن الإنفاق لوم و حسر و تهلكة في الدنيا و الآخرة، و الإنفاق في بسط كل البسط إذا كان في طاعة اللّه قد لا يحمل حسرا و حسرة و لوما و تهلكة في الآخرة، و انما قعدة الحياة الدنيا هكذا و قد تتخطى الى الآخرة إذا أضرت بها، كمن ينفق بلغته في غير الواجب، فلا ينفق على واجبي النفقة إذ لم يبق عنده ما ينفق فيقعد ملوما محسورا.

و الحسير هو الدابة التي تعجز عن المسير فتقف ضعفا و عجزا، كذلك البخيل يحسره بخله فيقف، يوقفه المحاويج عن كل حراك كما نراه منهم و جاه الأغنياء البخلاء، و هذه تهلكتهم من الشيوعية التي هي وليدة البخل و الإجحاف بحق المحاويج.

كذلك و يحسر المسرف في إنفاقه لحد لا يبقى لحاجته الضرورية شي‏ء فيصبح فقيرا «1» قتيرا «2».

و اما ان تنفق في واجبات معينة ام في مستحبات لحد تبقى لنفسك و ذويك بلغة، فإنفاقك إذا وسط و عفو، أن تنفق الزائد عن الضرورة و قد يجب في الحالات الاستثنائية.

لا تفتكر أنك إذا لم تنفق كل ما عندك فما ذا يصنع من قتر عليه رزقه و قدر، ف‏ «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ» ثم يأمر من بسط في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 157 ح 175- الكافي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: الإحسار الفاقة.

(2)

المصدر ح 181 عن محمد بن يزيد عن أبي عبد اللّه قال: الإحسار الإقتار.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 174

رزقه أن ينفق على من قدر عليه و لكنه بقدر، دون ان تجعل نفسك في تهلكة لكي تنفق على غيرك.

انه يبسط و يقدر، و إنه يأمر بالإنفاق‏ «إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً» يبسط و يقدر بخبرة و بصيرة، و يأمر بالإنفاق الوسط خبرة و بصيرة، و ينهى عن الإسراف و التبذير و التقتير عن خبرة و بصيرة، فليس على العباد إلا الائتمار بأمره و الانتهاء بنهيه، لا أن يسبقوه ببسط لم يفعله هو و لم يأمر، و لا أن يعصوه في تقتير لم يفعله و نهى عنه، فان اللّه تعالى:

«قدر الأرزاق فكثرها و قللها و قسمها على الضيق و السعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها و معسورها و ليختبر بذلك الشكر و الصبر من غنيها و فقيرها» «1».

هنا لك واجبات مالية كضرائب مستقيمة، و أخرى غير مستقيمة كالانفاق للمحاويج الذين لا يجدون بلغتهم، و من ثم حرام أن تكنز أموالا و سبيل اللّه بحاجة إليها، ثم لا واجب عليك أن تسوي بينك و بين الفقراء، فالممنوع عدم الإنفاق أو انفاق كل ما تملك، و اما ان تنفق الزائد عن حاجياتك الضرورية فلا يجب إلا في حالات ضرورية.

و العفو في آية العفو هو راجح الإنفاق، واجبا كان أم راجحا، انفاق الزائد عن الحاجة الضرورية و هو وسط الإنفاق، فانفاق الزائد كله وسط أعلى، و انفاق الزائد بعضه وسط أوسط، إذ يشمل الضرائب المستقيمة و غير المستقيمة، و عدم انفاق الزائد جعل لليد مغلولة على العنق، و انفاق الكل حتى الحاجة الضرورية هو بسطها كل البسط، فتقعد في غلها و بسطها ملوما محسورا، و الإنفاق الوسط أيا كان يجعلك محمودا محبورا.

لا تجد النبي و لا أحدا من المعصومين يجبرون او يأمرون الأثرياء من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 175

حلّ ان يسووا بينهم و بين الفقراء بعد أداء واجباتهم المالية، اللهم إلا تحريضا على نافلة الإنفاق.

إنما المجبر على الإنفاق هو المقصر في أداء واجباته المالية، او في تحصيل أمواله سرقة او غصبا او بخسا او احتكارا او اجحافا على العمال ام ماذا من أموال هي للشعب او لاشخاص خصوص، و أما الأموال التي حصلها من حلها وادي واجباتها، غير الواقفة و المكنوزة، فلا تحل مصادرتها، و لا يجب إنفاق ما زاد عن ضرورة الحياة اللهم إلا لضرورة إسلامية هي أحرى شخصية أو جماعية.

و إنفاق الكنز في سبيل اللّه أعم من إنفاق الأصل او الفرع الحاصل بالعمل فيه حسب مختلف الحاجيات، و إذا لم يوجد مورد لأي إنفاق فلا محظور في كنزل المال و لكنه موجود على أية حال حيث الحاجيات و المحاويج متوفرة على طول الخط.

ثم قد تشمل آية الغل و البسط تحصيل المال و مصرفه لصاحبه و إنفاقه، فغل اليد عن كل سعي و حراك في تحصيل الرزق و كذلك بسطها ان يصبح بكل طاقاته سعيا في طلب الرزق ممنوع، كما و ان غلها عن مصرف المال و بسطها ممنوع، نهيا عن التفريط و الإفراط في هذا المثلث، و امرا بالوسط القوام بين ذلك، و كان بين ذلك قواما.

هذه الأوامر و النواهي قد تختص او تشمل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) كما يناسب ساحته القدسية و كما

يروي عن باقر العلوم (عليه السلام) انها «ادب و عظة و تعليم و نهي خفيف و لم يعد عليه و لم يتواعد على اجتراح شي‏ء مما نهى عنه. و أنزل نهيا عن أشياء حذر عليها و لم يغلظ فيها

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 176

و لم يتواعد عليها» «1»

اللهم الا التبذير، فانه أخوة للشياطين فلا يشمله إلا بسطا كل البسط، و ليس منها! ام التقتير و لم يكن منه طول حياته المشرفة.

وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً (31).

الإملاق هو الإنفاق او كثرته لحد الافتقار و «الإفلاس» «2» تستعمل لازما و متعديا، و خشية إملاق كما تعني إفلاس الآباء بالإنفاق. كذلك تعني إفلاس الأولاد، فأية خشية لإملاق الآباء أو الأبناء ام كليهما لا تقتضي قتل الأولاد كما لا يقتضي إملاق الإنسان دون ولد أن يقتل نفسه حيث الكافل للارزاق إنما هو اللّه.

و ترى لماذا هنا خشية إملاق نحن نرزقهم و إياكم ... و في الانعام‏ «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ» (6: 151)؟

إملاق الأنعام هو واقعه دون ما هنا فانه خشيته، فواقع الإملاق هو للآباء فلكي لا يزداد إملاق على إملاق كانوا يقتلون أولادهم تخفيفا لوطئة الإملاق، و الحل هو «نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ» ابتداء بكم حيث الولد يأتي برزق والديه، ثم إياهم، كما يأتي برزقه، إذا يزول إملاقكم بأولادكم ثم لا يكونوا أمثالكم في إملاقكم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 160 في اصول الكافي بسند متصل عنه (عليه السلام) في حديث طويل يفسر آيات القضاء تفسيرا اجماليا شموليا.

(2)

نور الثقلين 3: 160 عن تفسير العياشي عن إسحاق بن عمار عنابي عبد اللّه (عليه السلام) قال: الحاج لا يملق ابدا قال قلت: و ما الاملاق قال: الإفلاس ثم قال: «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ» و رواه مثله عن أبي ابراهيم (عليه السلام) ايضا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 177

و الإملاق هنا هو خشيته ان يملقكم‏ «1» أولادكم بكثرة الإنفاق فتفلسوا، و الحل‏ «نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ» فلا يحتاجون إلى إنفاقكم فإملاقكم، ثم «و إياكم» يزيدكم مالا على مال و لكي لا يكن الولد وبالا.

إذا «إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً» خطأ في أصله حيث القتل دون ذنب خطأ، ثم خطأ على خطأ هو الإملاق او خشيته إساءة الظن باللّه، فان اللّه هو الرزاق لا أنتم.

فكما انكم من مجاري و أسباب ولادة الأولاد فلستم لهم بخالقين، كذلك أنتم من اسباب و مجاري رزقهم فلستم لهم برازقين.

و ترى إن قتل الأولاد من إملاق او خشيته هو هو و أد البنات كما قد يخيّل الى بعض؟ كأنه لا، فهنا الأولاد و هناك الأنثى، و هنا السبب إملاق او خشية إملاق و هناك الهون: «أَ يُمْسِكُهُ عَلى‏ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ» (16: 59) و إذا اجتمع السببان في الأنثى فلا يجتمعان في الذكر.

وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى‏ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا (32).

هنا الزنا لا يقرب لأنه كان فاحشة و ساء سبيلا، و في الفرقان يردف بالشرك و قتل النفس و يوعد للثلاثة مضاعف العذاب و خلود النار:

«وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً. يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً» (25: 69) و في الممتحنة يردف بالشرك و السرقة «إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى‏ أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ ...» (60: 12) مما يجعل الزنا كالشرك باللّه و القتل و السرقة. كما انه فاحشة و ساء سبيلا.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فإملاق الانعام لازم و هنا متعدّ.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 178

فكما الإشراك في ناموس الألوهية ظلم عظيم، كذلك الإشراك في ناموس الإنسانية ظلم عظيم حيث تمجّه الفطرة و غريزة كل حيوان إلا الخنزير!.

و كما أن سرقة المال ظلم فسرقة الناموس كذلك بل هي اظلم و أنكى!.

و كما القتل ظلم كذلك الزنا قتل من جهات شتى، و لذلك تراه ردفا عطفا متصلا في الممتحنة، و هنا تتوسط آية التنديد به آيتي النهي عن قتل الأولاد خشية إملاق، و قتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق، و ليس هذا التوسط و ذلك الردف الا لصلة قريبة بينه و بين القتل، بل و في الزنا قتلات و قتلات من نواحي شتى.

فانه قتل في البداية لشرف النفس الإنسانية و فطرتها في هكذا تبذل لممارسة الجنس كسفاد الحيوان و أضل سبيلا، و قتل ثان حيث يراق ماء الحياة في غير موضعها، و ثالث لبذر النسل حيث يهدر إذا لم ينسل، و رابع قتل الجنين قبل تخلّقه او بعده، قبل الولادة او بعدها، و لكي لا يحمل عامل الزنا عيبه و عبأه، و خامس حين يترك الجنين لحياة شريرة شرسة، مهينة بئيسة تعيسة، ضايعة في المجتمع متحللة، و سادس قتلا للجماعة التي يفشوا فيها فتضيع الأنساب و المواريث و المودّات و صلات القرابات، و سابع أن سهولة قضاء الشهوة و تنوعها بالدعارة قطع لتداوم الانسال و الاسرة التي هي محض لصالح الحياة الإنسانية، مما تجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة إليها، على عبئها و حملها و نفقتها و سائر أثقالها ... أبواب جهنمية سبع يفتحها الزنا على عامليه و المجتمع الذي يحويه او يحميه‏ «إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا»!.

و

قد صدق الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حيث يقول: «ما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 179

من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له» «1»

لأنه قتل في جهات قتلات و قتلات.

آيتنا هذه تنهى عن قرب الزنا، لا فحسب الزنا نفسها، ترى و ما هو اقتراب الزنا قبل اقترافها. ام هما واحد؟

إن قرب الزنا كقرب مال اليتيم و الصلاة و أنتم سكارى المنهي عنها، هو اقتراب معداتها و مقدماتها الموصلة بطبيعة الحال إليها، و المعاصي حمى اللّه فمن حام حول الحمى أو شك أن يدخل فيها، و هكذا الفواحش كلها: «وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ‏ ... وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (6: 152- 153) «لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى‏» (4: 43) فمن قرب الصلاة دخول المساجد فإنه محرم على السكران و الجنب، و من قرب مال اليتيم استدانة ماله دون عائدة اليه، إلا بعائدة هي احسن، و من قرب الزنا نظرة الى غير ذات محرم فغمزة فلمسة فقبلة و من ثم العياذ باللّه، فالمقدمات القريبة الى الزنا حيث تحسب قربها محرمة، كما البعيدة مكروهة كالجلوس في مجلس متأثر بحرارة غير ذات محرم، ثم لا نجد نهيا عن أي محرم إلا اقترافه دون اقترابه، اللهم إلا مقدمات موصلة إليه قطعيا، و اما هذه الثلاث فاقترابها محرم مطلقا حتى ظني الوصول منها لحد يعتبر النظر المتعمّد الى غير ذات محرم من الزنا و ان لم يوصل اليه، مبالغة في التحرز، لأن الزنا تدفع إليها شهوة عنيفة فالتحرز عن المقارفة أضمن لمنع المقاربة. و لماذا هذه الحمية الشديدة؟!.

«إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا» ف «إن» تؤكد و «كان» تضرب تأكيد الحرمة الى أبعد اغوار الزمن الغابر منذ بزوغ الرسالات الإلهية.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 180- اخرج احمد و ابن أبي الدنيا عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي (ص) ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 180

«كانَ فاحِشَةً» و الفاحشة هي المعصية و المظلمة و الفعلة المتجاوزة الى غير فاعلها «وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ» (3:) 135) و المتجاوزة قبحا عن حد المعاصي و حتى كبيرتها: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ» (53: 32) ففي مثنى المعاصي و مثلثها، الفواحش هي‏

«اكبر الكبائر» «1»

و أفحشها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 161 ح 188 في تفسير علي بن ابراهيم و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله: و لا تقربوا الزنا إن كان فاحشة يقول معصية و تفتأ فإن اللّه يمقته و يبغضه قال و ساء سبيلا و هو أشد الناس عذابا و الزنا من أكبر الكبائر.

و

في الدر المنثور 4: 179- اخرج ابو يعلي و أبي مردويه عن أبي بن كعب‏ انه قرأ: و لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة و مقتا و ساء سبيلا إلا من تاب فن اللّه كان غفورا رحيما فذكر لعمر فسأله فقال أخذتها من رسول اللّه (ص) و ليس لك عمل الا الصفق بالبقيع‏

، أقول:

«إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا» مذكورة في آية النساء: و لا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء الا ما قد سلف ... و ليست في الزنا! و

فيه اخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: و لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة قال قتادة عن الحسن ان رسول اللّه (ص) كان يقول: لا يزني العبد حين يزني و هو مؤمن و لا ينتهب حين ينتهب و هو مؤمن و لا يسرق حين يسرق و هو مؤمن و لا يشرب الخمر حين يشرب و هو مؤمن و لا يغل! حين يغل و هو مؤمن قيل يا رسول اللّه (ص) و اللّه ان كنا لنرى أنه يأتي في ذلك و هو مؤمن؟ فقال (ص) إذا فعل شيئا من ذلك فقد نزع الإيمان من قلبه فإن تاب تاب اللّه عليه.

و

في عيون الأخبار في باب ذكر ما كتب به الرضا (ع) الى محمد بن سنان في جراب مسائله في العلل: و حرم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس و ذهاب الأنساب و ترك التربية للأطفال و فساد المواريث و ما أشبه ذلك من وجوه الفساد.

في كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص) انه قال في وصية له: يا علي في الزنا ست خصال ثلاث منها في الدنيا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 181

فالفاحشة هي عصيان متجاوز حده، و ظلم متجاوز فاعله الى مفعول به او الى الجماعة و الى الناشئة، و هي تعم القولة الفاحشة و الفعلة و العقيدة الفاحشة، و قد ذكرت في سبعة عشر موضعا من القرآن، في مثلث من أبعادها، مما تختص بالزنا، ام تشملها و غيرها من لواط و سواه، و مالا تشملها كالتي في نساء النبي و قوم لوط.

و عل «كان» الماضية إشارة إلى أن فاحشة الزنا لا تخص هذه الشرعة، بل هي فاحشة في عمق التاريخ و حتى بين غير المليين كما تشهد بذلك شرعتهم‏ «1».

... إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا حيث الزنا تقطع و تتهدم سبيل الإنسانية جماعة و فرادى، من سبيل الفطرة الإنسانية المجبولة في جوهر الذات على الإختصاص في الأهل كالمال بل هو أحرى و أسمى، حيث يرى الذب عن الأهل و صيانتها من اي انتهاك فريضة كما يصون نفسه بل هو أقوى، و هذه الغريزة ليست حسدا و شحا بل هي غيرة نجدها حتى في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و ثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء و يعجل الفناء و يقطع الرزق و اما التي في الآخرة فسوء الحساب و سخط الرحمن و الخلود في النار.

فيه عن علي (ع) قال: أربعة لا يدخل منهن واحدة بيت إلا خرب و لم يعمر:

الخيانة و السرقة و شرب الخمر و الزنا.

(1). في شرعة التورات كان عذاب الزاني القتل و عذاب الزانية الرجم و في القوانين القديمة بين الهنود، الزاني يحرق و الزانية تلقى بين الكلاب لتفترسها و في قانون (ليكركوس) عقوبة الزاني كالذي قتل أباه و في قانون الروم يعدم الزانيان و كانت الزانية في انكلترا يساق بها في البلدان فتضرب حتى تموت و في آشور كان جزاء الزنا الغرق و في بعض القوانين الصلب و في القانون القديم المصري القتل و كان المفتن الشهير الاسبارتي (ليكورك) يستقبح عملية الزنا لحد يرى أنه لا يطرح اسمها في القانون.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 182

الزانين حيث يغارون على الزانية بعضهم على بعض فكيف بأهليهم الخصوص؟

«وَ ساءَ سَبِيلًا» في تداوم الانسال كما و إتيان الرجال قطع لهذه السبيل‏ «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» (27:) 29) سبيل التناسل و سبيل الزواج، حيث النكاح سبيل لتشكيل العائلة و الناشئة، فإتيان الرجال قطع لهذه السبيل، و كذلك الزنا أو هو من أضل سبيل، فانقطاع النسل أقل خطرا من نسل الزنا، حيث الاختلاط في الانسال قطع لسبيل المودات بين الأبوين و الأولاد لمكان التشكيك، و قطع لسبيل التوارث، و قطع لسبيل النكاح و تبني العائلة حيث الرخاصة في قضاء الشهوة بالزنا و التنوع فيها تقطع سبيل تشكيل العائلة على عب‏ء النفقة و تربية الأولاد و مقاسات المشقات في حراسة الأهل و الأولاد، رغم أن الزواج يزيد في الرزق كما

«الزنا يورث الفقر» «1».

و قد قيل لبعض هؤلاء لم لا تتزوج؟ فقال: و ماذا اصنع بالزواج و جماعات من النساء نسائي‏ «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 180- اخرج الطبراني و الحاكم و أبي عدي و البيهقي عن ابن عمر أن رسول اللّه (ص) قال: الزنا يورث الفقر.

(2) و إليكم طرفا من اشاعة فاحشة الزنا بين الغربيين و المتغربين و ما خلفته من عار و دمار:

ففي فرنسا أصبحت امراض المقاربة خلال عشر سنين بين الناشئة الأقل من عشرين سنة 380 في المائة (1) و في امريكا و انكلترا يعلن وزارة الصحة ان امراض المقاربة أخذت تسرع في الناشئة اكثر من الزانيات الرسميات (2) و تكتب جريدة (سان لندن) حسب إعلان قسم الجراحة في لندن، في كل أسبوع خمسون بنتا في أقل من 14 سنة تسقط جنينها (3) و في (زن (1) زن روز العدد 403.

(2) مجلة الاطلاعات العدد 14385- 3 و 2 و 1353.

(3) مجلة جوانان 30 بهمن ص 33.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 183

ففي التناسل بالزنا سبيل التقاطع و التشاجر، و في تركه بسقط الجنين سبيل للقتل و قطع النسل، و في منع الولادة سبيل للضغط على الفاعلين، و في هذه الشركة النحسة في النواميس قطع لسبيل المودة و فتح لسبيل العناد و لسبيل تفشي الأمراض الخلقية و الجسمية و كل فساد.

إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا.

لهذه و تلك كما تمنع الآيات عن اقترافه كذلك المنع عن اقترابه‏ «وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى‏» و عن مشجعاته كالتناكح بين المؤمنين و الزانيات و الزانين و المؤمنات كما في آية النور: «الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (24: 3).

حيث تقرن الزاني بالمشرك و الزانية بالمشركة، ثم تحرم التناكح بين المؤمن و الزانية كما المشركة، و بين المؤمنة و الزاني كما المشرك مما يجعل فاحشة الزنا كفاحشة الإشراك باللّه.

و من ثم آية المائدة تحلل المحصنات من الذين أوتوا الكتاب على المسلمين كما تحلل المحصنات من المؤمنات، دون الزانيات و ان كن من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

روز العدد 1109) مع توفر الأدوية المخترعة الجديدة و العلاجات الدقيقة و وجود اكثر من 650 مستشفى الخاصة بامراض المقاربة نجد 4000 ماتوا بسبب هذه الأمراض و في (جريدة اطلاعات 6- 11- 55) من كل سنة، تحبل مليون بنتا تدرس في امريكا 3006000 منهن دون ال (15) من العمر و الباقية بين 16- 19 سنة، و من السنة 1961 لحد الآن (15) سنة أصبحت المواليد غير المشروعة من البنات بين 16- 17 سنة تزيد على 75%، و ثلث الأجنبية المسقطة يختص بالناشئات (4) و نجد في لندن في كل سنة 50000 سقطا جنائيا (5).

و في امريكا سنويا حوالي مليون عملية إسقاط جنين من الروابط غير المشروعة (6).

(4) جريدة اطلاعات 6/ 11/ 55.

(5) جريدة كيهان العدد 5356.

(6) مجلة سبيد و سياه العدد 370.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 184

المسلمات: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ ...» (5: 5) و هي آخر ما نزلت، ناسخة غير منسوخة.

ثم آية النساء في تحريم المحارم نسبيات ام سببيات و رضاعيات تحلل ما وراء ذلك على شرط الإحصان: «وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ ...» (4: 24) و هذا التحليل اضافة الى كونه نسبيا لا اطلاق فيه مستقرا ظاهرا، إنه محدد بالإحصان: إحصان المنكوحة و الناكح، و تقييده باحصان الناكح مخالف لتصريحة آية النور و المائدة، فنكاح الزانيات قبل التوبة محرم على المؤمنين كإنكاح الزانين بالمؤمنات، اللهم إلا إذا تابت او تتوب ام تاب او يتوب فحل، و قد يجب نكاح الزانية إذا كان نهيا عمليا عن الزنا، او يكره إذا كانت متهمة دون اثبات، و اما الشهير و الشهيرة دون توبة او انتهاء عن الزنا فإنكاحه بمؤمنة و نكاحها المؤمن محرم يعتبر ردفا بالزنا، فانه تشجيع للزنا، و مسايرة و مما شاة فيها، و لا اقل يكون هذا التمانع نهيا عمليا عن الزنا، لكي يرى مقترف الزنا نفسه في زاوية منعزلة عن الحياة الشريفة الإسلامية، في جو الدعارة او الشرك، و لكي ينتهي عن الزنا إن كان مسلما له بقية او بغية من الإيمان.

وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (33).

النفس هنا هي الإنسانية دون سائر الحيوان حيث النفس لا تأتي في سائر القرآن إلا للإنسان، اللهم إلا في يتيمة تعني ذات اللّه: «تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ» و هي غير معرضة لقتل و أمثاله! فمن النفوس الإنسانية ما حرمّها اللّه تعالى لحدّ لا يحق قتلها بأي سبب كالصالحين الذين لا يأتون بسبب لقتلهم بالحق، فلا يقتلون إلا مظلومين:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 185

يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» (3: 21).

و منها ما حرمها مبدئيا فلا تستحق قتلا إلا بالحق، و هذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدّد لا غموض فيه، و ليس متروكا للآراء و تأثرات الأهواء، و هذه هي المعنيّة ب‏ «الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ».

و منها غير المحرمة مبدئيا كمن يعيش صدا عن سبيل اللّه، تكذيبا بآيات اللّه، حربا لدين اللّه، فهذه لا حرمة لها عند اللّه، و هي المعنيّة بالنفس التي لم يحرمها اللّه.

و لا نرى النهي عن قتل النفس في سائر القرآن إلا موصوفة ب‏ «الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ» كما هنا و في الانعام (151) بصيغة واحدة: «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» و في الفرقان: «وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» (68) و لكن في النساء: «وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» (29) حيث المخاطبون هم المسلمون المحرمة أنفسهم عند اللّه.

و تتميز آية الأسرى بذيلها «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً ...».

فإذا تبين حقّ على النفس التي حرم اللّه- يحكم بقتلها- فقتلا، و إذا لم يتبين فلا تقتلوها حيث الحق غير ثابت، و إذا تبين في ميزان اللّه أنه لم يحرّمها فقتلا، و إذا ترددنا في حرمتها او حلها في أصلها، هل هي صادة عن سبيل اللّه، مكذبة بآيات اللّه أم ماذا؟ فلا يحل قتلها، و ان كان النهي في آياته لا يشملها، حيث القتل كسائر التجاوز ماليا ام عرضيا ام ماذا بحاجة الى تجويز، فالأصل في النفوس و الأموال و الأعراض حرمتها و عدم حل التجاوز عليها إلا بدليل قاطع قاصع لا مردّ له و لا حول عنه.

إنه حسب التكوين و دليل العقل حقّ لكل نفس أن تحيى مبدئيا حيث أحياها اللّه، فلا يحق القضاء عليها إلا بقضاء اللّه، و فيما نشك فما علينا و ما لنا أن نميت ما أحياه اللّه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 186

صحيح أن الأصل في كل شي‏ء حلّه حتى يتبين غير حلّه، و لكنما الأصل في خصوص التجاوزات عدم الحل كما العقل و الشرع يتجاوبان.

و النفس المشكوك حلها و حرمتها و ان كان محرما قتلها ظاهريا، و لكنها ليست بالتي قتلت ظلما لمكان الشك، فلا يشملها «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً ...» فبدليل تحرم ظاهريا و بدليل تحل واقعيا، و فيما لا دليل على حل او حرمة تبقى على أصالة الحرمة، و إن كانت آيات النهي لا تشمل الأخير، و لكن الآية: «وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...» و معها دليل العقل و دليل الأصل، تنهى و ان كان ظاهريا.

فالضابطة القرآنية في قتل النفس أنه لا يجوز إلا بحق ثابت كردّة عن فطرة او قتل عمد ام لواط ام زنا محصن ام ماذا من مجوزات او موجبات القتل المحدّدة شرعا.

«وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» نفس محرمة محترمة لا حق ثابتا عليها، كمؤمن متهم بحق غير ثابت، ام لا حقّ عليها و إنما لها كالشمس في رايعة النهار، مثل النفوس المقدسة الطاهرة المعصومة، المقتلة المحطمة المظلومة، علي و الحسن و الحسين (ع) و سائر العترة صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين‏ «1».

«فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً» فلولي الدم سلطة شرعية محدّدة في ميزان اللّه، لا تفريط عليه: ألا يحق له قصاص ام دية، و لا إفراط له: ان يسرف في القتل، قتلا لغير القاتل قل او كثر، او قتلا للقاتل زائدا عما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 162 ح 195 في من لا يحضره الفقيه عن أبي عبد اللّه (ع) قال: الكبائر سبع فينا أنزلت و من استحلت- الى قوله-: و اما قتل النفس التي حرم اللّه- فقد قتلوا الحسين بن علي و أصحابه‏

و

العياشي في تفسيره عنه (ع) بسند آخر في الآية: فقد قتلوا الحسين في أهل بيته.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 187

قتل، و انما قتلا بقتل في كمه و كيفه دون إفراط و لا تفريط، بل هو عوان عادل‏ «فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً»:

ليس لولي الدم إسراف في القتل و لماذا يسرف؟ أحميّة على المقتول؟

فليست لتدفعه الى إسراف في القتل في ميزان العدل، ام للأخذ بثأره و يكفيه بسلطانه الشرعي قصاصه، ام يسرف لكي يحصل على حقه العدل و هو منصور من اللّه بذلك السلطان، كما المقتول منصور منذ قتل حتى يقتص من قاتله في الدنيا ام في الآخرة «1».

فليس هذا السلطان لولي الدم مستغلا يستغل في الانتقام الإسراف، تجاوزا الى غير القاتل إن لم يجد إليه سبيلا، ام قتله مع القاتل كما كان في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء و الأبناء أم من ذا من أقارب و أخصاء القاتل، من غير ذنب إلا انهم من أسرته، ام- و أخيرا- قتل القاتل صبرا بمثله ام ماذا «2» و قد نهى الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) عن المثلة و لو بالكلب العقور «3». و

قال (ص) «إن اللّه كتب الإحسان على كلّ شي‏ء

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 162 ح 200 تفسير العياشي جابر عن أبي جعفر (ع) قال: نزلت هذه الآية في الحسين (ع) «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً ... فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ»: قاتل الحسين (ع) «إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً»: قال: الحسين (ع).

و

فيه ح 201 عن سلام بن المستنير عنه (ع) في الآية قال: هو الحسين بن علي (ع) قتل مظلوما و نحن أولياءه و القائم من إذا قام طلب بثأر الحسين (ع).

(2)

في نور الثقلين 3: 162 عن الكافي باسناده عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن (ع) ان اللّه عز و جل يقول في كتابه: «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً» فما هذا الإسراف الذي نهى اللّه عنه؟ قال: نهى ان يقتل غير قاتله، او يمثل بالقاتل، قلت: فما معنى قوله: إنه كان منصورا؟ قال: و أي نصرة أعظم من ان يدفع القاتل الى اولياء المقتول فيقتله و لا تبعة تلزمه من قتله في دين و لا دنيا.

(3)

الدر المنثور 4: 181- اخرج ابن أبي شيبة عن يعلى بن مرة قال سمعت رسول اللّه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 188

فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة و أذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة «1».

إن الفطرة الإنسانية و معها العقل و معهما الشرع، و مع الكل الجماهير الإنسانية- بما جعل اللّه- تجعل لوليه سلطانا عادلا في الثأر، و أجهزة القضاء العدل الإسلامي مكلفة بتحقيق سلطانه، فليكن عدلا في سلطانه دون ان تأخذه حمية الجاهلية.

و ترى إن هذا السلطان سواء فيه أ كان القاتل و المقتول سيان، ام أحدهما رجل و الآخر امرأة؟ ام المختلفان مختلفان حيث‏ «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى‏ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثى‏ بِالْأُنْثى‏ ...» (2:) 138)؟ إذا فلا سلطان في الثأر إلا إذا كان المقتول رجلا و القاتل أيا كان؟.

الجواب: أن السلطان لولي المقتول كائن فيما هما متساويان ام مختلفان، و لأن الرجل لا يقتل بالمرئة، فليدفع الولي نصف الدية حتى يقتل الرجل بالمرئة و هذا هو السلطان العدل في الثأر، حفاظا على حق المقتول و وليه، و حفاظا على قيمة الرجل الضعف قياسا على المرأة.

و قتل النفس ليس بذلك السهل إلا بالحق، قتل النفس غير المحرمة مبدئيا، و قتلها محرمة قصاصا عدلا، ام ماذا من الحق في ميزان اللّه إذ يزيل حق الحياة عن هذه النفس، و اما القتل في غير حق، ام ما لم يثبت حقه فغير مسموح في شرعة اللّه.

و ترى «إذا اجتمع العدة على قتل رجل واحد» فكيف إذا سلطان‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(ص) قال قال اللّه: لا تمثلوا لعبادي‏

و

فيه عنه (ص) نهى (ص) عن المثلة

(1). الدر المنثور- اخرج ابن أبي شيبة و مسلم و أبوا داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه عن شداد بن أوس قال قال رسول اللّه (ص).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 189

القصاص، أ يقتل الجميع؟ و هو إسراف! ام واحد؟ و هو ترجيح بلا مرجح فإجحاف! قد يقال: ان لولي المقتول قتل الكل برد ما فضل عن ديته الى أولياء المقتولين، او قتل البعض فيرد الباقون حسب جنايتهم الى أولياء المقتص منهم، فان كان واحدا يؤخذ من الباقين حسب نصيبهم من الجناية و يرد على أولياء المقتص منه، و إن كان اكثر فليردّ ولي المقتول دية الزائد عن الواحد إلى أوليائهم، كما يرد سائر الشركاء نصيبهم، قصاصا عدلا على كل حال، و لكنه كما في صحيحة إسراف فى القتل و تخلف عن‏ «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا (34).

«لا تَقْرَبُوا- الى- أَشُدَّهُ» ثني في الانعام (153) بعد النهي عن قتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق- كما هنا، و قرب مال اليتيم لا يعني- فقط- ان تتصرف فيه غصبا، ف‏ «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» تحرم كافة المحاولات في مال اليتيم إلا التي هي احسن لصالحه، فليس لوليه أم سواه أن يستدينه دون عائدة و قرضا حسنا و لا ان يبقيه عنده دون اي تصرف و بامكانه دون عسر و لا حرج ان يستثمره له، فالمفروض على ولي اليتيم أحسن المحاولات في ماله‏ «حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» فيدفع اليه حيث زال يتمه فلا يبقى ظرف لقربه سيئا او حسنا او أحسن، كما آية النساء تأمرهم: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ ...» فلا يجوز إذا إبقاؤه عنده و قد بلغ النكاح و رشده و بلغ أشده، حتى إذا استثمره له كأحسن ما أمكن، ففي حالة يتمه يقرب ما له بالتي هي أحسن دون ان تكون له حيلة، و إذا بلغ أشده يدفع إليه و لا يقرب اي قرب إلا بإذنه.

ثم الأشد جمع الشد و أقله ثلاثة، يجري عليه قلم التكليف في شد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 190

العمر ببلوغ السن، او شد الجسم ببلوغ النكاح الاحتلام‏ «1» و من ثم شد العقل الرشد في تصرفات مالية صالحة، و الشد الأخير هو الحد الأخير في‏ «وَ لا تَقْرَبُوا ...» فلا يجوز دفع اموال اليتيم اليه حتى‏ «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ» لا في الشد الأول ببلوغ السن ام بلوغ النكاح، و انما بلوغ الرشد و الحكمة في تصرفات صالحة.

فبالغ العمر او النكاح مشدود بقلم التكليف، فأحدهما كاف في جري القلم و هو بعد يتيم؟! و بالغ الرشد الحكمة يزول يتمه تماما يدفع إليه ما له‏ «2» فلا يجوز دفع ماله قبل تمام الأشد و ان بلغ شدا او شدين، و إنما «أشده»: عمرا و جسما و عقلا.

و ترى ان الشدين الأولين هما لزام الحكم و ان بلغ شده الأخير قبلهما،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

تفسير البرهان 2: 419- العياشي عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه (ع) أن نجدة الحروري كتب الى ابن عباس يسأله عن اليتيم متى ينقطع يتمه فكتب اليه ابن عباس اما اليتيم فانقطاع يتمه إذا بلغ أشده و هو الاحتلام.

و في رواية اخرى عن عبد اللّه بن سنان قال سئل أبي و انا ما حامز عن اليتيم متى يجوز أمره؟

فقال: حين يبلغ أشده قلت: و ما أشده؟ قال: الاحتلام، قلت: قد يكون الغلام ابن ثماني عشرة سنة لا يحتلم أو أقل أو اكثر، قال: إذا بلغ ثلاث عشر سنة كتب له الحسن و كتب عليه الشي‏ء و جاز امره الا ان يكون شقيا أو ضعيفا.

و

في نور الثقلين 3: 163 ح 203 في من لا يحضره الفقيه روى منصور بن حازم عن هشام عن أبي عبد اللّه (ع) قال: انقطاع اليتيم الاحتلام و هو أشده‏

و 304

روى الحسن بن علي الوشا عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه (ع) قال: إذا بلغ الغلام أشده ثلاث عشرة سنة و دخل في الأربع عشرة وجب عليه ما وجب في المحتلمين احتلم او لم يحتلم و كتب له.

الحسنات و جاز له كل شي‏ء إلا أن يكون ضعيفا أو سفيها.

أقول: ليس الأشد فقط الاحتلام أو بلوغ العمر، و انما بلوغ الرشد حيث يجوز امره في ماله كما في آية النساء «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» و الأشد جمع الشد كما في المتن.

(2) راجع ص 35 ج 26 تفسير الآية «حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 191

علّه نعم حيث النص‏ «حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» أو عله لا فإنهما قبل الأخير في الأكثر دون تدخل لهما في كمال البلوغ، و الرشد العقلي هو الأصيل‏ «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ ...» فبلوغ الأشد- إذا- وارد مورد الأغلب، و الأحوط الجمع بين الحفاظ على ماله، و أن يتصرف وليه حسب مشورته، و ان كان الأقوى جواز دفعه إليه، و وجوبه عند المطالبة كما للبالغ أشده.

إذا فتصرفات اليتيم في ماله قبل أن يبلغ أشده محرمة، و على وليه الرقابة التامة عليه ابتلاء له حتى يبلغ النكاح و يبلغ رشده و فيه تكملة أشده حيث يستوي: «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى‏ ...» (28: 14) حينذاك يتصرف في ماله: «فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما» (18: 82).

فالمجنون محجور حتى يعقل، و السفيه محجور حتى يعقل، و الصغير محجور حتى يبلغ، و اليتيم محجور حتى يبلغ أشده‏ «1» رقابة علية اكثر من الصغير غير اليتيم ليتمه، و لأن الولي لغير اليتيم يراقبه بطبيعة الحال.

... وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا.

العهد هنا جنسه دون اختصاص بنوع خاص، تشمل عهود اللّه على عباده، و عهودهم له عليهم، و عهود بعضهم لبعض على أنفسهم، و تعاهدتهم فيما بينهم، فالوفاء في كل ذلك فرض حسب المستطاع لا حول عنه.

نرى الوفاء بالعهد: اي عهد- من أهم الواجبات المؤكدة المشددة، لأنه مناط الثقة و الاستقامة و النظافة في ضمير الفرد و حيوية الجماعة، و لقد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). حيث ان بلوغ التكليف دائر موار احد الأمرين: الاحتلام و هو بلوغ النكاح شدا للجسم، و بلوغ السن و بمرشد العمر- و إيناس الرشد هو شد للعقل.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 192

بلغ الإسلام في واقعه التاريخي و عرج قمة رفيعة في الوفاء بالعهود حتى مع الكفار، لم تبلغه البشرية إلا في ظلاله.

هناك عهود من اللّه على العباد: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» (36: 61) و يتكرر ذكر هذا العهد بصيغ شتى تختصر في كلمة التوحيد «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» ... وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا» (33: 15).

ثم هنالك عهود منهم للّه على أنفسهم: «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ» (16: 91) «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (33: 23).

و من ثم عهد من اللّه ان يستجيب دعوتهم: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (40: 60) شرط وفاءهم بعهده: «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ» (2: 40).

ثم عهود إلى العباد حتى الكفار يجب الوفاء بها إلا إذا هم نقضوا عهودهم فكيف بعهود المؤمنين: «وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا» (2:) 177) «إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى‏ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4) ... كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) .. وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (9: 12).

و إذا كان الوفاء بعهد المشركين فرضا على المؤمنين، فبأحرى فرض الوفاء بينهم أنفسهم، ثم عهدهم الى اللّه، ثم عهد اللّه إليهم‏ «إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا» كل حسب المسؤولية وثاقا في العهد و كيانا للمعهود له و عليه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 193

ثم العهد منا لزام علينا إذا لم يكن في محرم او حل لا يستطاع، كما النذر و اليمين، و العهد الصالح الواجب الوفاء يعم كافة العهود، الملتزمة على المعاهد، سواء أ كان بين أشخاص أم جماعات أو شخص و جماعة ام دولة او مع شعبها ام ماذا، و لا نقض في العهد أيا كان إلا جزاء النقض وفاقا، أو كان خطأ يرجع بالضرر الى المعاهد جماعة و فرادى، و لا سيما الضرر على الإسلام فانه عهد محرم او لا يستطاع ف‏

(لم يجعل اللّه رخصة في الوفاء بالعهد للبر و الفاجر) «1».

وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35).

هنا أمر بايفاء المكيل إذا كيل و وزن الموزون إذا وزن بالقسطاس المستقيم. ثم لا ذكر عما يعامل فيه عدّا حيث لا يكال و لا يوزن، لأنهما الاكثرية الساحقة في المعاملات دونه، لذلك لا نجد ما يصرح بالعدّ إلا يتيمة تشمله‏ «فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» (7:) 85) حيث الأشياء تشمل المعدودات، و أخرى تنهى عن مطلق الإخسار:

«أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ» (26: 181).

و قد يشمله الوزن حيث يعم وزن الثقل و العدد فتشمله آيات الوزن.

بالقسطاس المستقيم و الميزان بالقسط.

و إن إيفاء الكيل و إقامة الوزن هما من مصاديق الوفاء بالعهد، حيث المعاملة تعاهد و أمانة في التعامل فلتكن موفية مستقيمة يستقيم بها التعامل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 164 ح 205 في كتاب الخصال عن عنبسة بن مصعب قال: سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول: ثلاثة لم يجعل اللّه لأحد من الناس فيهن رخصة، الى قوله):

و الوفاء بالعهد للبر و الفاجر.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 194

في الجماهير، و الثقة في النفوس و البركة في الحياة و «ذلك» الوفاء و القسط «خير جماعة و فرادى‏ «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» في الأولى و الاخرى، من تأويل المأخذ: الفطرة و العقل و الشرع. و تأويل النتيجة في الحياة الدنيا و الآخرة.

فالبخس في التعامل قذارة نفسية و خيانة على الأنفس تتزعزع به الثقة و يتبعها الفساد و الكساد و تقل به البركة.

فساد و كساد في نفس الباخس النحس، و في أنفس الجماعة هما شر و أنحس تأويلا.

و ليس الأحسن هنا مقابل الحسن فان البخس ليس حسنا اللهم إلا ادعاء جوفاء، فانه حسن بزعم الباخس أنه يربح اكثر من حقه، و إذا كان حسنا حاضرا في هذا القياس فالإيفاء أحسن تأويلا في مثلث الزمان حيث يؤول و يرجع الى الحسنى في ميزان اللّه و إلى الحياة الاقتصادية ايضا، حقيقة يدركها بعيدوا النظر و ذووا البصر في التجارة، و إن لم يكن هناك دافع خلقي او حافز ديني، فمجرد إدراكها في الواقع التجاري بالتجربة العملية كاف، و إذا التزمها عقيديا فنور على نور، حيث تصبح لزاما لحياته دون تخلف، نبعه تنبع من القلب فترش و تنزف على القالب اضافة الى نظافة القلب و التطلع في نشاطه العملي الى آفاق أعلى و اجواء أسمى.

وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا (36).

آية وحيدة في صيغتها الخاصة: «وَ لا تَقْفُ ...» و أدلتها الخاصة:

«إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ ...» تختص اقتفاء المسلم و اتباعه بما له علم دون ما دونه من ظن او شك او احتمال، و تحمّل مسئولية افتناء غير العلم‏ «السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 195

و في سائر القرآن آيات عدة تنهى عن اتباع الظن‏ «1» و تامر باتباع العلم او اثارة من علم‏ «2».

«لا تقف» من القفو: الإتباع المختار «3» لفظيا او فكريا او عقيديا او عمليا، فنقل غير المعلوم دون نقد قفو، و اعتقاده قفو و العمل وفقه قفو و أنت في كل ذلك مسئول، دون فرق بين الأصول و الفروع في صيغة النهي‏ «4» و لا صبغة الفطرة السليمة، تجاوبا بين كتابي التكوين و التشريع في لزوم اتجاه الإنسان الى صلب الواقع ما وجد إليه سبيلا.

و هنا «علم» و ليس «العلم» لكي تشمل درجات العلم مما تطمئن النفس، ظنا متآخما الى العلم، ثم علما: من علم اليقين او عين اليقين او حق اليقين، سواء أ كان علما لك ميسورا بما تبرهن من براهين، او علما لمن تعلمه عالما ثقة فتتبعه فيما لا تجد لنفسك سبيلا، فهذا علم بعلم، و ذالك علم، فيشملهما «علم» كما شمل سائر ما يطمئن الإنسان.

و ترى ان الآيات هي مظنونة الدلالة و منها هذه، فكيف يستدل بها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ص 432 ج 27 من الفرقان تحت عنوان: كلام في العلم و الظن.

(2) راجع ص 10 ... تحت عنوان: كتاب او اثارة من علم.

(3) حيث الإتباع أعم من المخير و المسير، المكروه و المختار، و لكنهما القفو هو المختار فقط و لذلك اختير على الإتباع.

(4) لا سيما ان هذا النهي واقع بين احكام فرعية من واجبات و محرمات، و ليس فيها من اصول الذين الا «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» أولا و أخيرا و ليربط كافة الفروع الى اصل الأصول:

التوحيد، و أيضا لا يصلح هذا النهي للتقيد فإنه من القضايا التي قياساتها معها، فما ليس للإنسان به علم و له طريق الى العلم لا يقفي و يصطفى غير المعلوم على المعلوم، ثم و ليس هناك ادلة من كتاب أو سنة تسمح باتباع غير العلم حتى تأتي مقيدة للآية، فإن موارد الأصول العملية هي الشك الذي لا طريق فيه الى العلم و المكلف بين نفي و اثبات، و هذه الموارد خارجة عن نطاق الآية فانها تختص بما يوجد فيه طريق الى العلم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 196

على المنع من اتباع غير العلم؟ ...

هذه طنطنة أصولية هراء: «ان القرآن قطعي السند ظني الدلالة و الحديث ظني السند قطعي الدلالة» فمن الحديث ظني الدلالة و هو الكثرة الساحقة، و هذه الكثرة لا توجد في الدلالة القرآنية حيث الاعجاز القمة في بلاغته و فصاحته الدلالية يقضي على الدلالة الظنية و يجتثها من جذورها، و لا سيما في آيات الأحكام و المعارف الأصلية فانها صريحة مهما كانت بحاجة الى تأملات و تدبرات، و ليس في آية القفو ما يريب في دلالتها فلا نطمئن بمدلولها!.

او ان «علم» هنا يشمل الظن و كما في آيات اخرى منها «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ» (3: 45).

و لكنه «علم» و العلم فقط، و لم يعن العلم فيما يعنيه ظنا و لا الظن علما: فكل يعني معناه لا سواه، و الظن في الآية ظن القلب و هو من أوسط العلم في العقل، و لو ان الظن يستعمل في العلم بقرينة- و لا يستعمل- فلا يعني ذلك استعماله فيه دون قرينة، او ان العلم يعني الظن دونها!.

و اتباع أصول كأصل البراءة و الاستصحاب و الظاهر ام ماذا من أصول في مواردها ليس اتباعا للظن، حيث لا يشترط فيها حصول الظن بل هي اصول تتبع بدلالة العقل و الشرع فيما لا دليل على مواردها، فاتباعها إذا اتباع للعلم و ان لم يحصل به علم و لا ظن، أو لان الأصول لا ترد الا في موارد الشك حيث لا سبيل الى علم، فهل يبقى المكلف دون نفي او اثبات؟

و التكليف باق في نفي او اثبات! ام يقفوا خلاف هذه الأصول و هو قفو للمرجوع عقليا و عاديا، و نقض لليقين المتعود بالشك كما في موارد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 197

الاستصحاب و البراءة و الظاهر؟ ... ثم إنها لا تقرر حكما و إنما تبين موضوعات لأحكامها إذ لا نجد سبيلا علميا إليها، و مورد النهي عن إتباع غير علم مخصوص بما نجد لعلم إليه سبيلا. أم لا نجد و لا تكليف ثابتا بنفي او اثبات‏ «1».

و الضابطة الإسلامية السارية هي اتباع علم ما أمكن، و إلا فلا اتباع و لا متابعة إلا بدليل قاطع من كتاب او سنة ثابتة او حس او عقل ام ماذا، كما الأصول العملية ثابتة بالكتاب و السنة و دليل العقل و هي خارجة عن محور الآية.

فالقياسات و الإجماعات و الشهوات و الروايات التي لا توافق الكتاب و السنة او تخالفهما، انها لا تقفى إذ لا تفيد علما و لا اطمئنانا، أم نطمئن بخطاها كالتي تضاد الكتاب او السنة الثابتة، حيث الادلة القاطعة تطاردها.

إذا فلا نقفوا ما ليس لنا به علم. و لم تخصص الآية كثير تخصيص حتى تسقط عن الدلالة العلمية، و لا قليله حيث الأصول غير العلمية التي نقفوها إنما نقفوها بعلم من كتاب او سنة او اثارة من علم و لا سبيل في مواردها إلا احكامها.

هناك علمي و هنا علم، و العلمي ما يستند الى العلم كحجية الأصول العملية و الشهادات ام ماذا من حجج شرعية، دون خروج عن ضابطة الآية. و كما العلم علمان: اجتهادي و تقليدي.

فالتثبت عن كل خبر و كل ظاهرة و حركة قبل نقلها و الإعتقاد بها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فإذا تشك أو تظن ان فلانا زنى تجد سبيلا الى علم او لا تجد ليس عليك شي‏ء، و لكنك إذا كنت مديونا ثم تشك انك أديته أم لا هنا عليك تكليف ان وجدت سبيلا الى علم و تكليف آخر ان لم تجد هو اشتغال الذمة استصحابا ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 198

و الحكم عليها، و العمل وفقها، إنه دعوة قرآنية صارمة سارية، و متى استقام السمع و البصر و الفؤاد على هذا المنهج لم يبق بعد مجال للأوهام و الخرافات في المعتقدات، و لا مجال للظنون و الشبهات في الأحكام و الاقضية و التعاملات، و لا مجال في العلوم للافتراضات و الحدسيات، حيث يتبنى الإنسان حياته في كل الجهات حياتا علمية دون تحكم للظنيات، اللهم إلا المسنودة الى علم، او المستفادة من علم، فيما لا سبيل الى العلم، و الضرورة قائمة بنفي او إثبات، كما في موارد الأصول العملية و الشهادات، تداوما في سير عجلة الحياة.

هناك طريقة آفاقية لعلم او ظن ام ماذا، هي السمع و البصر، و اخرى أنفسية هي الفؤاد، ففيما تسمع حق و باطل، و فيما تبصر حق و باطل، و فيما تعتقد فطريا او فكريا و عقليا و في الفؤاد حق و باطل، و بين الحق و الباطل أربع أصابع، فما تسمعه أكثره الباطل و ما تبصره اقله الباطل. و ما تتفأده فيه حق و باطل ف‏ «لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا».

ان السمع و البصر في تلقيهما ما يتلقيان، ثم ما يلقى منهما بلسان او قلم او اعتقاد او عمل ام ماذا، إنهما مسئولان! ف‏

«أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة و هو منها بري‏ء كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال» «1»

«و من قفا مؤمنا بشي‏ء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» «2»

و

«من بهت مؤمنة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 182- اخرج الحاكم و صححه ن أبي ذر قال قال رسول الله (ص) ...

(2)

المصدر اخرج ابو داود و ابن أبي الدنيا في الصمت عن معاذ بن انس عن النبي (ص) من حمي مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم و من قفا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 199

أقيم في طينة خبال او يخرج مما قال» «1».

ثم الفؤاد و هو القلب المتفئد المشتعل المشتغل بما اعتقده او عقده، اشتعال النور بالحق او النار بالباطل، و معه معداته بما يتفأد، إنه مسئول، حيث يفعل او يقول ما اعتقده دون علم!.

إنها امانة كبرى للجوارح كلها و أهمها السمع و البصر، و للجوانح كلها و أهمها الفؤاد ما يأخذه الإنسان و ما يؤتيه، اللهم إلا قفوا العلم.

امانة ترتعش اركان كيان الإنسان لجسامتها و ضخامتها في دقتها: «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا»: مسئولية تضرب إلى اعماق الزمن منذ جرى عليه قلم التكليف.

ف‏

«ليس لك ان تتكلم بما شئت» «2»

حيث الإنسان مسئول عن كل ما يفعل او يعتقد او يقول ف‏

«السمع و ما وعى و البصر و ما رأى و الفؤاد و ما عقد عليه» «3»

كل أولئك مسئول.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين: 164 ح 206 في تفسير علي بن ابراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في الآية قال: «لا ترم أحدا بما ليس لك به علم و قال رسول اللّه (ص):

من بهت ...

(2)

نور الثقلين 3: 165 ح 209 في كتاب علل الشرائع باسناده عن عبد العظيم بن عبد اللّه الحسني قال حدثني علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه قال قال علي بن الحسين (ع): ليس لك ان تتكلم بما شئت لأن اللّه عز و جل يقول‏ «وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» و لأن رسول اللّه (ص) قال: رحم اللّه عبدا قال خيرا فغنم او صمت فسلم، و ليس لك أن تسمع ما شئت لأن اللّه عز و جل يقول: «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا».

(3)

المصدر ح 313 عن الحسن قال: كنت أطيل الجلوس في المخرج لأسمع غناء بعض الجيران. قال: فدخلت على أبي عبد اللّه (ع) فقال لي يا حسن، «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا» السمع ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 200

ترى و لماذا «أولئك» و الثلاثة من أعضاء الإنسان؟ ... لأن الفؤاد هو المتن في عقلية الإنسان، و السمع و البصر هما الإدراكان على عقل، فهي إذا «أولئك» حيث تجمع مدارك الروح من الإنسان!.

ثم المسؤول هل هو الإنسان يسأل سؤال تأنيب عما يفعله بهذه الأعضاء؟ فيرجع ضمير الغائب «كان» الى الإنسان!: «كان الإنسان عن (أولئك) مسئولا» لماذا استعملها في غير علم؟ ...

ام هو كل من السمع و البصر و الفؤاد، ان كلا منها مسئول عنه فيما فعل، فالضمير لكل منها على البدل؟ «كان كل عن نفسه مسئولا» ام الضميران راجعان الى الإنسان فالإنسان هو المسؤول عنه في هذه الاخطاء.

«كان» هذه تتحملهما أدبيا و معنويا، فقد يسأل الإنسان عنها ما فعله بها «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» و تسأل الأعضاء فتحدّث أخبارها بما تحمّلت و سجّلت الأقوال و الأعمال‏ «وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ...»

(17: 13) و كذلك الفؤاد حيث يخبر بما ارتسم فيه من عقائد، حيث يوقف موقف الاستنطاق فلا حول له عما سجل: «حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» (41: 20) كما الإنسان مسئول عنه في اخطاءه بهذه الثلاث أم ماذا؟.

فالإنسان مسئول عن هذه الأعضاء و مسئول عن نفسه بما فعل بها، و الأعضاء مسئول عنها، مسئولية كبرى تشمل الإنسان كل الإنسان.

وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا (37).

ان المشي في الأرض مرحا اختيال و افتخار فإسراف و استكبار، فهو

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 201

ممنوع مذموم كما أن تصعير الخد للناس و تصغير كيانك عند الناس مذموم، فذلك إفراط و هذا تفريط و عليك بعوان بين ذلك: «وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ. وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» (31:) 19) «1» إذا كان التصعير الإمالة تذللا و تكبرا فإنهما كلاهما تصعير، و كلاهما هنا معنيان.

و المرح هو شدة الفرح و التوسّع فيه، فليمش الإنسان دون مرح و فرح تصعير و إنما هونا: «وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» (45:) 63).

لو انك تعرف نفسك الضئيل الفقير امام ربك العلي القدير. و انك دوما في قبضته و أمامه و بحضرته، فطامن من كبريائك و خفف من وطئة خيلائك، و امش على الأرض هونا، لا مرحا في كبريائك.

من أنت أيتها الحشرة الصغيرة الفقيرة، الهزيلة الرذيلة حتى تمشي في ارض اللّه مرحا؟ أ لأنك تسامى اللّه في قدرته و جبروته؟ و بيده ملكوت كل شي‏ء! ام تترفع على خلق اللّه بثراء او سلطان. ام قوة ام ماذا؟ فيا لها من زخرفات هراء «وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ»! أم تمشي في الأرض‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

البرهان 3: 422- الكافي بسند عن أبي عبد اللّه (ع) قال: فرض اللّه على الرجلين الا يمشي بهما الى شي‏ء من معاصي اللّه و فرض عليهما المشي الى ما يرضي اللّه فقال: وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا» و قال: و اقصد في مشيك و اغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 202

مرحا منة عليها أنك تمشي فيها، فالأرض التي تحتك هي فوقك إذ لن تخرقها، و جبالها التي أمامك هي فوقك حيث لن تبلغها طولا، فطولك قاصر عن جبال الأرض، و طولك في حولك قاصر عن خرق الأرض، إذا فلما ذا المرح؟! هذا! و ترى ان الإنسان عاجز عن خرق الأرض؟ و هو يخرقها بالوسائل التي اصطنعها فيستخرج منها معادنها! او لن يبلغ الجبال طولا؟ و هو يحلّق بطائرات و صواريخ و سفن فضائية على الجبال و ما فوقها من كرات!.

و لكنما الإنسان أيا كان لن يخرق الأرض بمشيئته المرحة، و لن يبلغ الجبال في طوله، و ان كان يخرق و يبلغ بطوله و حوله، فلا طول إلا باللّه، و لا حول و لا قوة إلا باللّه.

ليس لك ان تمن على الأرض انك تمشي فيها، بل اللّه يمن عليك أنه يمشيك فيها، و لا أن تمن- فيما من اللّه عليك من طاقات تخرف بها الأرض و تحلق- على اللّه بل اللّه يمن عليك، و لا ان تمن على خلق اللّه بما ابتلاك اللّه به من نعم استخلفك فيها، فارجع الى اوّلك تجدك نطفة قذرة و الى آخرك تجدك جيفة نتنه و الى وسطك حيث أنت حامل العذرة، فيا أيتها النطفة القذرة و الجيفة العذرة كيف تمشي على الأرض مرحا، و عليك ان تمشي عليها هونا متواضعا للّه غير مستكبر على خلق اللّه! كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً (38).

سيئه: تركا لمفروضاته و اقترابا او اقترافا لمحرماته، حرمة سلبية ام ايجابيه، محرمات ثابتة عبر الرسالات الإلهية، حيث تضرب «كان» الى‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 203

اعماق الزمن الرسالي، فإلى الأبد، و كما نرى أنها كلها من المحرمات التي لا تتحول.

و «مكروها» هنا تتهدم صرح الاصطلاحة الفقهية انه مقابل المحرم ما يرجح تركه، فما من مكروه في سائر القرآن إلا محرما، و من ثم الحديث حذو النعل بالنعل، إلا بقرينة قاطعة تصرفها إلى غير معناها.

لا نجد مكروها في القرآن إلّا محرما او من أشده: «وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ» (49: 7) «وَ لكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ. لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كارِهُونَ» (9: 48).

«أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ» (49: 12) «1».

ذلِكَ مِمَّا أَوْحى‏ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى‏ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً (39).

تأتي «الحكمة» في القرآن كله عشرين مرة و هي هيئة خاصة من الحكم يحكم و يربط بها علم الإنسان أو خلقه او عقيدته او عقليته او عمليته عن التفسخ و الانحلال و الانفصال عن الحق المرام و حق المرام، فمن العملية ذلك الذي ذكر في الآيات المسبقة امرا و نهيا يربطان الإنسان برباط التقوى و ينيطانه بنياط التوحيد حكمة عقلية في البداية:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالكراهة بصيغها في أحاديث تحمل على الحرمة و اذكر

حديثا يقول فيه الامام الصادق (ع) كان أبي يكره ... و كان أبي لا يكره لحلال.

و كما الكراهة لا تدل على ما اصطلحوا عليه كذلك الاستحباب او هو أعم من الوجوب و سائر الرجحان دون ظهور في رجحان غير ملزم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 204

«أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» و في النهاية: «وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» حكمة عملية مربوطة بحكمة عقيدية كما الحكمة كلها تربط هكذا: ختام يشبه البداية في هذه الحكمة العملية، محبوكة الطرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى في أضلاع الإسلام «التوحيد» حيث القرآن يقيم عليها الحياة كل الحياة. توحيدا عمليا ينبع من العلمي و العقائدي: الا تعبدوا الا إياه، لا عقليا و لا عقيديا لا يعدوا الضمير الى الحياة العملية، و في الحكم المسبقة في هذه الآيات مجموعة من الحكم: عقلية عقيدية: (23 و 29) و اجتماعية: (23 و 25) و سياسية و اقتصادية: (26- 30 و 35) و انفسية: (31 و 33) و خلقية: (32 و 34 و 37) و علمية: (36) تجمعها الحكمة العقلية و العملية!.

و قد تتوحد خيرا كثيرا: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً» (2: 269) و في الدعوة: «ادْعُ إِلى‏ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» (16: 125) و لحدّ كأنها القرآن كله: «حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ» (54: 5) من علمية و خلقية و تربوية عقيدية و عملية، من فردية و جماعية، من سياسة و اقتصادية ام ماذا فكله حكمة إن الحكمة هي القاعدة الكبرى في مربع الدعوة: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ» (2: 129) و في مثلث السلطة العادلة: «وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ» (2: 52) «وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ» (38: 20) و في مثنى النعمة:

«وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَةِ» (2:) 231) و الرسالة «لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ» (3: 81) و الحكمة كلها فيه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 205

لا تعني الحكمة فيما تعنيه الحكمة الإلهية الدخيلة، حيث تنتج تحلّلا و تحيرا بديل الحكمة، و إنما الحكمة الإلهية الخالصة من وحي القرآن و السنة: و اين حكمة من حكمة؟!.

إن الحكمة البشرية متفسخة غير حكيمة، ترى الحكماء فيها متعارضين، و المتعلمين إياها محتارين، لأنهم لا يصدرون عن مصدر الوحي و قد يخالفونه و كما نراه في تعريفهم بها «:: سواء وافق الشرع ام خالفه»!:

إن الحكمة البشرية تربط العقول على حدّها، فلتربط برباط الحكمة الإلهية و لكي تستنير و تستزيد حكمة الخلق من حكمة الخالق.

ثم الحكمة الإلهية في تقسيم شامل تكوينية و تدوينية، فالتدوينية هي كتابات الوحي كما عرّفت بأنها حكمة و لا سيما القرآن: «حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ» (54: 5) و التكوينية منها معصومة كالعقل و العصمة في المعصومين، و منها دون ذلك من فطرة و عقل حيث الإدراك فيهما ليس مطلقا دون خطاء، فالفطرة على بلوغها في احكامها العامة قد تحجب و هذا تقصير من أصحابها، ثم و هي قاصرة في ادراك الجزئيات و التفاصيل، و العقل فيه قصور و فيه تقصير فيما له إدراكه من كليات، حيث يقصر عن درك الحقائق ككل إلّا شطرا لا بد منه تدليلا على الحكمة التكوينية المعصومة: النبيين- ثم و قد يقصّر في إدراكه حيث «إنارة العقل مكسوف بطوع الهوى».

و الآيات حول الحكمة الإلهية تعني الحكمة المعصومة تكوينا او تدوينا ام هما معا، دون سائر الحكمة من فطرة و عقل ام ماذا؟

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 206

[سورة الإسراء (17): الآيات 40 الى 55]

أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً (40) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً (41) قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلى‏ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (42) سُبْحانَهُ وَ تَعالى‏ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (43) تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (44)

وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً (45) وَ جَعَلْنا عَلى‏ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى‏ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (46) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوى‏ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (47) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (48) وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (49)

قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (50) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتى‏ هُوَ قُلْ عَسى‏ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً (51) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً (52) وَ قُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً (53) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَ ما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (54)

وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى‏ بَعْضٍ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (55)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 208

أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيماً (40).

قولة مستنكرة في الأساس‏ «وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً» في بعدين بعيدين عن ساحة الألوهية: أن له ولدا و أنه أنثى، فهنا استفهام استنكار و تهكّم على سبيل مجاراتهم أن له ولدا: «أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ» «أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وَ أَصْفاكُمْ بِالْبَنِينَ، وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ: أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَ هُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ» (43: 19).

من المشركين من اتخذ للرحمن بنين كالجن او المسيح و عزيز، او بنات كالملائكة: «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ» (6: 100) و الذين اتخذوا له الملائكة بنات هم أضل سبيلا ممن جمعوا له بنات و بنين او اتخذوا له بنين: «أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ: ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (37: 154).

فلأن الأناث انقص من الذكور، و انهم كانوا يترذلون البنات كأنهن حيوان أو ادنى، و ان الملائكة هم من أفضل خلق اللّه، و أن اللّه لم يلد و لم يتخذ ولدا، فنسبة البنات الى اللّه دون البنين فرية وقحة في خماسية اللعنة، فلو أمكن للّه أن يلد او يتخذ ولدا فلما ذا اختصه ببنات و أصفاكم بالبنين.

و الإصفاء هو الإخلاص و الإيثار، فترى اللّه يؤثر خلقه على نفسه لو اتخذ ولدا فيتخذ الإناث حين يخلق لهم ذكورا و إناثا، أ عجزا عن ان يتخذ لنفسه ذكرانا فاضطر الى الإناث، و ليس الإيثار حين يمكن إلّا لمن لا يقدر على إعطاء الغير ما لنفسه إلّا بحرمان نفسه، و الا فحماقة و غباوة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 209

«إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيماً» عظيما في فريته على اللّه: ان له ولدا، و هو بنت، و هي ملائكة اللّه، عظيما في شناعته و بشاعته، عظيما في استحالته و وقاحته، ان تقولوا عليه: جسم مبعض فمحتاج، حيث يلد، ثم هو جاهل غبي حيث يفضل خلقه على نفسه فيما يلد! وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً (41).

الصرف هو رد الشي‏ء من حالة الى اخرى أو إبداله بآخر، و التصريف تكثير للصرف كمّا او كيفا او هما معا، و لقد ردد اللّه في هذا القرآن حقائق جمة بصيغ عدة و صور شتى و حتى صيغة التصريف، تصريفا للوعيد:

«وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً» (20: 113) و من كل مثل: «وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى‏ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً» (17: 89) لعلهم يرجعون:

«وَ صَرَّفْنَا الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (46: 27) «انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ» (6: 65).

هنا لك تصريفات لكل مثل في كتابي التكوين و التدوين تأتينا في الآفاق و في أنفسنا في العقل و الفطرة، و الرسل، و سائر الكون، و في القرآن، تردادا و تكريرا لها بأحسن الصور و ابلغ المواعظ و اظهر البراهين‏ «لِيَذَّكَّرُوا وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً».

فكما كتب اللّه في كتاب التكوين آيات متشابهة تصريفا لها ليذكروا فأينما تولي وجهك ترى أمثالا من هذه الآيات تتكرر بصيغ، و كما تختلف في صيغ و الأصل واحد «لِيَذَّكَّرُوا» ... كذلك كتابه التدوين القرآن العظيم موازيا لكتاب التكوين، يكرر قصصا تحمل ذكريات و حقائق جمة: «كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى‏ ذِكْرِ اللَّهِ» (29: 23) كتابا متشابها في تحقيق المرام و الحق المرام.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 210

متشابها في قمة التعبير، متشابها في كيفية التدليل، كما هو محكم كلّه في جهات عدة: «كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» (11: 2).

و من تصريفه برهانا و بيانا لعقيدة التوحيد، المجاراة في أن له ولدا فكيف إذا يكون له بنات ملائكة؟ و منه المجاراة في حكاية الآلهة المدعاة.

قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى‏ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42).

«لو» حرف امتناع تحيل مدخولها، فالآلهة معه المستحيلة، تستحيل في بعد ثان: «إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى‏ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» فالقضية برمتها مستحيلة و أية سبيل لها إليه منفية.

سبيلا ليتغلبوا عليه إذ هم عدة و هو واحد، فتنازعا و اختلافا، فتخلفا في النظم و اختلالا، و ليس فليس إلّا واحدا!.

2- او سبيلا ليتقربوا إليه فيثبتهم على ما يراد لهم، و قد كذبهم بألسنة رسله فليس إلّا واحدا!.

3- او سبيلا اليه ليعرفهم ذو العرش: الإله الأصل، أنهم شركائه فلا ينكرهم؟ و قد انكرهم!. «قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ» (10: 18) أ فأنتم تعلمون له شركاء و هو لا يعلم؟! 4- او سبيلا الى ذي العرش ليشاركوه في عرش الربوبية «إذا لفسدتا»! ذو العرش و الآلهة معه، السماوات و الأرض: «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» (21: 22) «وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» (23: 94).

5- او سبيلا اليه ليتقربوا لديه ثم ليجعلهم شفعاءه فيقرّبوا عبيدهم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 211

بعبادتهم أنفسهم اليه زلفى: «هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» (10: 18) «ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى‏» (39: 3) فكيف يكونون شفعاء عند اللّه و هم عنه بعاد.

إن ابتغاء سبيل الى ذي العرش: الإله الأصل، للآلهة الفروع لو يتخذهم آلهة، إن ذلك لزام شركتهم في ألوهيته، فإذا لم يبتغوا إليه سبيلا فضلا عن سلوك السبيل فليسوا هم آلهة معه، و إنما خلق من خلقه يدبرهم كسواهم حيث يشاء فهم تحت عرشه بيده نواصيهم كما بيده ملكوت كل شي‏ء.

هذا البرهان يقنع من يعتقدون في الإله‏ «ذِي الْعَرْشِ» ثم اتخذ آلهة اخرى: ان خلقهم آلهة يساندونه، او جعلهم آلهة، و اما من يقولون بآلهة عدة متساوين متشاكسين فلا يقنعهم هذا البرهان، و انما المذكور في رابع السبل‏ «لَوْ كانَ فِيهِما .... وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ ...».

فأدلة التوحيد القرآني تحلّق على كافة المشركين أيا كانوا و أيان، دون خصوص السابقين العائشين زمن نزول القرآن، فانه دعوة خالدة تعم العالمين أجمعين.

سُبْحانَهُ وَ تَعالى‏ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (43).

إنه متنزه متعال عما يقولون: إن له شركاء أم بنات أو أبناء أم ماذا مما يمس من ساحة الربوبية الوحيدة، و تعالى علوا كبيرا كما هو الكبير المتعال.

تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (44).

إن الكون كله محراب فسيح فصيح يفصح عنه و يسبح له و ينزهه عن شركاء فيوحده و يسجد له و يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 212

السماوات هنا هي الأجواء السبعة بما فيها و من فيها، و الأرض هي الأرضون السبع: «وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...» (65: 12) حيث الآية تستعرض الكون كله أيا كان‏ «وَ مَنْ فِيهِنَّ» تعم عامة العقلاء في السماوات و الأرضين من ملك أو إنس و جان أيا كانوا و إيان‏ «وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ» تستغرق كل شي‏ء دون إبقاء لشي‏ء، انها تسبح بحمده‏ «وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...».

و «هم» في «تسبيحهم» راجع إلى كل شي‏ء لمكان الاستغراق لكل شي‏ء في التسبيح بالحمد و «لكِنْ لا تَفْقَهُونَ» حيث يتطلب شعورا و إدراكا نحن لا نفقهه في كل شي‏ء فالأشياء تعرف ربها فتسبحه بحمده، لا فحسب العقلاء من ملك و انسان و جان، بل و الحيوان: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ» (24: 41) «وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ» (38: 18) ف‏

«صوت الديك صلاته و ضربه بجناحيه سجوده و ركوعه::» «1»

ف‏

«لا تضربوا وجوه الدواب فان كل شي‏ء يسبح بحمده» «2»

و

«لا تتخذوها- الدواب- كراسي لأحاديثكم في الطرق و الأسواق فرب مركوبة خير من راكبها و اكثر ذكرا لله منه» «3».

فكل صنف من صنوف الدواب و الطير امة تسبح حتى النمل‏ «4» و صوت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 183- اخرج ابن مردويه ابو نعيم في فضائل الذكر عن عائشة ان رسول اللّه (ص) قال: صوت ... و ركوعه ثم تلا هذه الآية: وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ ...».

(2) المصدر اخرج ابو الشيخ في العظمة و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول اللّه (ص) ...

(3)

المصدر اخرج احمد عن معاذ بن انس عن رسول اللّه (ص) انه مر على قوم و هم وقوف على دواب لهم و رواحل فقال: اركبوها سالمة و دعوها سالمة و لا تتخذوها كراسي.

(4)

المصدر اخرج ابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول اللّه (ص) قال: ان النمل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 213

الضفدع تسبيح‏ «1»:

لا فحسب الدواب كلها تسبح بل و الأشجار و الجمادات: «وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فاعِلِينَ» (21: 79)، «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ‏: «وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ» (38:) 18): «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَ هُمْ يُجادِلُونَ فِي اللَّهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ» (13:) 13) «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْ‏ءٍ ثُمَّ إِلى‏ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» (6: 38).

فقد يردف الإنسان بكل دابة، و الطير و الملائكة بالرعد، و الطير بالجبال، بتقديم الرعد و الجبال في التسبيح بالحمد، مما يبرهن انهما تسبحان كما الطير و كما الملائكة و الإنسان.

و انه لمشهد كوني رهيب عجيب فريد حين ينبئنا ربنا أن كل شي‏ء يسبح بحمده، من كل ذرة، و كل زاحفة و حشرة، و كل طير و دابة، و كل ما في الأرض و السماء، و كل سابحة في الماء و الهواء، الكل تسبح‏ «وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»:

جمله ذرات عالم در نهان\* با تو مى‏گويند روزان و شبان ما سميعيم و بصير و باهشيم\* با شما نا محرمان ما خامشيم‏ «2»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

يسجن‏

و

اخرج البخاري و مسلم و ابو داود و النسائي و ابن أبي حاتم و ابو الشيخ و ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (ص): قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمر فأحرقت فأوحى اللّه اليه: من اجل نملة واحدة أحرقت امة من النمل تسيح.

(1).

المصدر اخرج النسائي و ابو الشيخ و ابن مردويه عن ابن عمر قال: نهى النبي (ص) عن قتل الضفدع و قال: نعيقها تسبيح.

(2)

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جون شما سوى جمادي مي رويد |  | محرم جان جمادان كي شويد |

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 214

ان ذرات الكون أيا كان تنتفض روحا حية حيث تنبض بالحياة في تسبيح اللّه، فالكون كله حركة و حياة، و كله تسبحة للّه، محراب واسع تسجد فيه الكائنات لربها، وجدان الإنسان يرتعش و هو يستشعر كونه غارقا في السبحات، و هو غارق في الشهوات، غافل عن اللّه‏ «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا» فالأمانة العامة التي نعرفها في الكون كله هي تسبيحه بالحمد، فقد أداها الكون كله و حملها و خانها الإنسان بظلمه و جهله، ف‏

«ما تستقل الشمس فيبقى شي‏ء من خلق الله تعالى إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشيطان و أغنياء بني آدم» «1».

ترى ما هذا التسبيح الشامل لكل شي‏ء، هل هو قول عن اعتقاد بعمل: مثلث التسبيح الكامل؟ و لا نسمع إلّا الإنسان المسبّح! ام هو التسبيح التكويني لا عن شعور و ادراك إلا لذوي الشعور؟ و التسبيح فعل لمن يسبح و هو بحاجة الى شعور مّا و اختيار! و الاستدلال بإتقان الصنع من العقلاء ظرف لتسبيح العقلاء و الكون موضع لهذا الظرف، لا أنه المسبّح لو لا شعوره بنفسه! و من ثم‏ «وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» تعريف بكيان هذا التسبيح أنه لا يفقه للإنسان الفقيه دقائق من العلوم الخفية، فهل الاستدلال بالكون على المكون و كيانه لا ينال للإنسان و إن فكر ما فكر و دبر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| از جمادي در جهان جان رويد |  | غلغل اجزاى عالم بشنويد |
| فاش تسبيح جمادات آيدت‏ |  | وسوسة تأويلها بربايدت‏ |
| چون ندارد جان تو قنديلها |  | بهر بينش كرده إي تأويلها |
| كه غرض تسبيح ظاهر كي بود |  | دعوى ديدن خيال و غي بود |
| يس چه از تسبيح يادت مى‏دهد |  | آن دلالت همچو كفتن مى‏شود |
| اين بود تأويل أهل اعتزال‏ |  | و واى آن كس كو ندارد نور حال‏ |

(1). الدر المنثور 4: اخرج ابن مردويه عن عمرو بن عبسة عن رسول اللّه (ص) قال ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 215

ما دبر، و الكون كله آيات للّه لمن فكر و دبر: «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ» (41: 53).

و الآيات الآفاقية هي كل شي‏ء يستدل بها على اللّه بما يرينا اللّه برسل الفطرة و العقل و الحس الذاتية و سائر الرسل الخارجية، فهل بعد «وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» لو كانت الدلالة التكوينية هي المعنية؟! فالفقه هو التوصل بعلم حاضر الى علم غائب، و غائب التسبيح بالحمد في كل شي‏ء و اصل لحد لا يتوصل إليه بأي علم حاضر، و التسبيح التكويني لكلّ شي‏ء حاضر لكل ذي حجي فكيف‏ «لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»؟

نحن لا نفقه تسبيحهم: قولتهم هذه و فعلتهم و عقيدتهم، إلّا ان يفقّهنا اللّه كما فقّه سليمان: «قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها ...»

(27: 19) و داود «وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فاعِلِينَ» (21: 79).

و هنا يتحقق أن لكل شي‏ء لسانا أيا كان و ان كنا لا نفقه لغاتها، ثم من وراء اللسان جنان و عمل بالأركان، تسبّح بحمد ربها و تسجد لربها «وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» (13: 15) «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى‏ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ‏ءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ‏: «وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَ الْمَلائِكَةُ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» (16: 5) «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ» (55: 6).

تسبيحات بالحمد و سجودات مخيرين لحدّ لا مسيرين، و في ضياع لهم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 216

فيما يتوجب عليهم من تسبيح ضياع لأعمارهم في الاولى‏ «1» كما في تخلف الدواب عن سنة العدل عقاب لهم في الاخرى‏ «.. ثُمَّ إِلى‏ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» و علّ في كل حركة و كل صوت لكل شي‏ء عباده و تسبيحة «2»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 184- اخرج ابن راهويه في مسنده من طريق الزهري قال‏ أتى ابو بكر الصديق بغراب وافر الجناحين فقال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: ما صيد من صيد و لا عضدت عضاة و لا قطعت وشيجة الا بقلة التسبيح» و عن أبي هريرة عنه (ص) مثله «الا بتضييعه التسبيح»

و

اخرج ابو نعيم في الحلية و ابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول اللّه (ص): ما صيد من طير في السماء و لا سمك في الماء حتى يدع ما افترض اللّه عليه من التسبيح‏

و

اخرج العقيلي في الضعفاء و ابو الشيخ و الديلمي عن انس قال قال رسول اللّه (ص): آجال البهائم كلها و خشاش الأرض و النمل و البراغيث و الجراد و الخيل و البغال و الدواب كلها و غير ذلك آجالها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض اللّه أرواحها و ليس الى ملك الموت منها شي‏ء.

(2)

الدر المنثور 4: 185- أخرج ابو الشيخ عن انس قال: أتي رسول اللّه (ص) بطعام ثريد فقال: ان هذا الطعام يسبح، قالوا: يا رسول اللّه (ص)! و تفقه تسبيحه! قال:

نعم ثم قال الرجل: اذن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها منه فقال: نعم يا رسول اللّه هذا الطعام يسبح فقال: ادنها من آخر و أدناها منه فقال: هذا الطعام يسبح ثم قال: ردها، فقال رجل يا رسول اللّه (ص) لو أمرت على القوم جميعا، فقال: لا لو انها سكتت عند رجل لقالوا من ذنب، ردها فردها

و

فيه اخرج الخطيب في تاريخه عن عائشة قالت‏ دخل علي رسول اللّه (ص) فقال لي، يا عائشة اغسلي هذين البردين فقلت يا رسول اللّه (ص) بالأمس غسلتهما، فقال لي: اما علمت ان الثوب يسبح فإذا اتسخ انقطع تسبيحه؟».

أقول: و من طرق أصحابنا أحاديث عدة تجاوب ما أوردناه عن إخواننا السنة

ففي نور الثقلين 3: 168 ح 222 في الكافي عن أبي عبد اللّه (ع): قال‏ سألته عن قول اللّه عز و جل: و إن من شي‏ء الا يسبح بحمده. قال: تنقض الجدار تسبيحها و في تفسير العياشي عنه (ع) مثله و عن زرارة عن أبي جعفر (ع) مثله‏

و

عن الباقر (ع) نهى رسول اللّه (ص) عن ان توسم البهائم في وجوهها و ان تضرب وجوهها لأنها تسبح بحمد ربها

و

عنه (ع) ايضا انه دخل عليه رجل فقال: فداك أبي و امي اني أجد اللّه يقول في كتابه‏ «وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ ...» فقال له: هو كما قال: فقال: أ تسبح الشجر اليابسة؟

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 217

«وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» ... و من تسبيحهم «سبحان الله و بحمده» «1».

و ترى إن كون الأشياء مسبحة عن علم على ان جماداتها أموات غير احياء هلّا يمنع من الاستدلال على حياته تعالى بعلمه؟ .. كلّا حيث الحياة لزام العلم و لكل شي‏ء حياة حسبه، و اللّه محيي الأشياء الأحياء، حي بغير حياتهم «باين عن خلقه و خلقه باين عنه».

هذا هو الكون كله يسبح اللّه بحمده و لكن الإنسان خان هذه الامانة الكبرى، طاعته و عبادته‏ «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا».

«إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» (33: 72).

هذا العرض تكويني تبيانا لكيان الكون اجمع من حيث الطاعة و العصيان و عصيان الإنسان دون الكون اجمع.

و الامانة واجبها الأداء الى أهلها ما دامت امانة لدى غير أهلها، فإذا حملت تحققت الخيانة، سواء نوى ألا يؤديها منذ أخذها، ام لم يؤدها عمليا، فمن الأمانة الفطرة و العقل حيث يحملان التكليف أمام اللّه، و لكنما الإنسان يخون الفطرة و العقل رسولي الباطن، و يخون سائر الرسل حيث يعصى ربه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فقال: نعم، اما سمعت خشب البيت كيف ينقض؟ و ذلك تسبيحه فسبحان اللّه على كل حال.

(1).

الدر المنثور 4: 183- اخرج احمد و ابن مردويه عن ابن عمران النبي (ص) قال: ان نوحا لما حضرته الوفاة قال لابنيه: آمركما بسبحان اللّه و بحمده فانها صلاة كل شي‏ء و بها يرزق كل شي‏ء.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 218

و «إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً» محطّه تغافل الإنسان عن تسبيحه بحمده بين سائر الكون ما لم يصل إلى الشرك و النفاق: و كما في آية الأمانة: و يتوب اللّه على المؤمنين و المؤمنات و كان اللّه غفورا رحيما.

و كذلك‏ «لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» فعدم فقهه علميا قصور معذور، و لكن تركه عمليا و عدم مجاراة الكون في التسبيح بالحمد تقصيرا محظور، و في سواه معذور.

وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً (45) وَ جَعَلْنا عَلى‏ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى‏ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (46).

«وَ إِذا قَرَأْتَ» تعني الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و من ثمّ من معه، الذين يقرءون القرآن قرائته (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)، فليس كل قارئ للقرآن يجعل اللّه بينه و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، فرب تال للقرآن و القرآن يلعنه، و ليس‏ «الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» هم كل الكفرة، و انما هم الذين‏ «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» (2: 6) فهم يستهزئون او يهاجمون على قارئ القرآن فالقرآن حفاظ على قارئيه إن كانوا يقرءون كما كان الرسول يقرء او قريبا منه، كل قدره.

هنا بين قارئ القرآن و بين الكفار حجاب مثلث: على أعينهم فلا يرونه، و على آذانهم فلا يسمعونه و على قلوبهم فلا يفقهونه، لأنهم‏ «لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ»: «كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ» (41:) 5).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 219

كنّ القلوب و وقر الآذان لزامان على الذين لا يؤمنون. و هما خسار الظالمين‏ «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً» (17: 82) و ليس هناك على الحقيقة كنان على قلب و لا وقر في سمع، و انما هم لاستثقالهم سماع القرآن حيث يتلى عليهم و يفرغ في آذانهم، هم كالذين على قلوبهم أكنة دون علمه، و في آذانهم وقر دون سمعه، و إن كانوا أتوا من قبل نفوسهم، و أخذوا بسوء اختيارهم، و لذلك ذموا على إطراحه، و لم يعذروا بالاضراب عن استماعه.

ثم الحجاب المستور عن أعينهم عليها ليس إلّا على الذين يريدون به شرا و ضرا حين يقرء القرآن كما هنا «وَ إِذا قَرَأْتَ ..» حفاظا على كرامة الوحي و حامله، و كما في يس حفاظا على نفسه المقدسة: «وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» (36: 9) أم على حرمته حين يهتك كما قصدته حمالة الحطب فما رأته و رأت أبا بكر فرجعت بعد ما خسئت‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 186- اخرج ابن مردويه و البيهقي في الدلائل عن اسماء بنت أبي بكر ان ام جميل دخلت على أبي بكر و عنده رسول اللّه (ص) فقالت يا ابن أبي قحافة ما شأن صاحبك ينشد في الشعر فقال: و اللّه ما صاحبي بشاعر و ما يدري ما الشعر فقالت:

أ ليس قد قال: في جيدها حبل من مسد، فما يدريه ما في جيدي فقال النبي (ص) قل لها: هل ترين عندي أحدا فانها لن تراني جعل بيني و بينها حجاب فقال لها ابو بكر فقالت: أ تهزأ بي و اللّه ما ارى عندك أحدا

و

اخرج ابن مردويه عن أبي بكر قال: كنت جالسا عند المقام و رسول اللّه (ص) في ظل الكعبة بين يدي إذ جاءت ام جميل بنت حرب بن امية زوجة أبي لهب و معها فهران فقالت: اين الذي هجاني و هجا زوجي و اللّه لئن رأيته لأرضن أنثييه بهذين الفهرين و ذلك عند نزول تبت يدا أبي لهب قال ابو بكر:

فقلت لها: يا ام جميل ما هجاك و لا هجا زوجك قالت: و اللّه ما أنت بكذاب و ان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول اللّه (ص) انها لم ترك فقال النبي (ص) حال بيني و بينها جبرائيل. أقول و اخرج مثله عديد من رواد الحديث و الجامعين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 220

إن‏ «حِجاباً مَسْتُوراً» هو المستور عن الأنظار الكافرة، ثم لا حجاب لمن سواها، فهو ساتر مستور كالحجر المحجور بين بحري العذب و المالح:

«وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً» (25: 53).

ان القرآن يكشف عن حجب المؤمنين و هو حجاب على الكافرين، كما يجعل بينه و بينه حجابا مستورا، و هو حرز يحترز به من يعتمده و يقرأه مؤمنا او يكتبه و كما في سلسلة الذهب الجعفري عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) «1»:

و ترى ما هو ذكر الرب وحده في القرآن إذ كانوا يولون على أدبارهم نفورا؟ إنه كلمة التوحيد؟ و انه البسملة حيث كان الرسول (صلّى اللّه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 186- اخرج ابن عساكر و ولده القائم في كتاب آيات الحرز عن العباس بن محمد المنقري عنه قال‏، قدم حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه المدينة حاجا فاحتجنا الى ان نوجه رسولا و كان في الخوف فأبى الرسول أن يخرج و خاف على نفسه من الطريق فقال الحسين (رض) انا اكتب لك رقعة فيها حرز لن يضرك شي‏ء ان شاء اللّه تعالى فكتب له رقعة و جعلها الرسول في صورته فذهب الرسول فلم يلبث ان جاء سالما فقال مررت بالأعراب يمينا و شمالا فما هيجني منهم احد و الحرز عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن حده عن علي بن أبي طالب و ان هذا الحرز كان الأنبياء يتحرزون به من الفراعنة «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. قال اخسئوا فيها و لا تكلمون اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا، أخذت بسمع الله و بصره و قوته على أسماعكم و ابصاركم و قوتكم، يا معشر الجن و الانس و الشياطين و الاعراب و السباع و الهوام و اللصوص مما يخاف و يحذر فلان بن فلان سترت بينه و بينكم بستر النبوة التي استتروا بها من سطوات الفراعنة جبرائيل عن ايمانكم و ميكائيل عن شمالكم و محمد صلى الله عليه و آله و سلم إمامكم و الله سبحانه و تعالى من فوقكم يمنعكم من فلان بن فلان في نفسه و ولده و اهله و شعره و بشره و ماله و ما عليه و ما معه و ما تحته و ما فوقه‏ وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً وَ جَعَلْنا عَلى‏ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ‏ الآية الى‏ نُفُوراً. و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 221

عليه و آله و سلّم) يجهر بها كما عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و الأئمة من عترته (عليهم السّلام) «1».

فذكر الرب وحده دون سواه يعم كلمة التوحيد حيث تنفي من سواه و سائر ذكره في بسملة و سواها حيث لا يقرن به سواه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 187- اخرج البخاري في تاريخه عن أبي جعفر محمد بن علي انه قال: لم كتمتم بسم اللّه الرحمن الرحيم فنعم الاسم و اللّه كتموا فإن رسول اللّه (ص) كان إذا دخل منزله اجتمعت عليه قريش فيجهر بسم اللّه الرحمن الرحيم و يرفع صوته بها فتولى قريش فرارا فأنزل اللّه‏ «وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى‏ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً أقول و رواه مثله في روضة الكافي بسنده عن أبي عبد اللّه (ع)

و

في المجمع قال رسول اللّه (ص) ان اللّه من عليّ بفاتحة الكتاب فيها من كنز الجنة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏ الآية التي يقول اللّه تعالى‏ «وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ ..» و رواه مثله القمي عن أبي عبد اللّه (ع).

و

العياشي عن زيد بن علي قال: دخلت على علي بن جعفر فذكر بسم اللّه الرحمن الرحيم» فقال: تدري ما نزل في‏ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏؟ فقلت: لا- فقال: ان رسول اللّه (ص) كان احسن الناس صوتا و كان يصلي بفناء الكعبة فرفع صوته و كان عتبة بن ربيعة و شبية بن ربيعة و ابو جهل بن هشام و جماعة منهم يستمعون قرائته قال: و كان يكثر ترداد بسم اللّه الرحمن الرحيم فيرفع بها صوته قال: فيقولون ان محمد ليردد اسم ربه تردادا انه ليحبه فيأمرون من يقوم فيتسمع عليه و يقولون: إذا جاءت‏ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏ فأعلمنا حتى نقوم فنسمع قرائته فأنزل اللّه‏ «وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ ..» بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» وَلَّوْا عَلى‏ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً.

و

فيه عن منصور بن حازم عن أبي عبد اللّه (ع) قال: كان رسول اللّه (ص) إذا صلّى بالناس جهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم فتخلف من خلفه من المنافقين عن الصفوف فإذا جازها في السورة عادوا الى مواضعهم و قال بعضهم لبعض: انه ليردد اسم ربه تردادا انه ليحب ربه فأنزل اليه الآية.

و

فيه عن أبي حمزة الثمالي قال قال لي أبو جعفر (ع) يا ثمالي ان الشيطان ليأتي قرين الامام فيسأله هل ذكر ربه؟ فان قال: نعم اكتسع فذهب و ان قال: لا- ركب كتفه و كان امام القوم حتى ينصرفوا- قال قلت: جعلت فداك و ما معنى قوله: ذكر ربه؟ قال:

الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 222

إن ذكر من سوى الرب دونه إلحاد، و ذكره مع سواه إشراك، و ذكره وحده توحيد، و ان كان لا يعني الذاكر ما تعنيه اللفظة فيما سوى التوحيد. حيث التوحيد ليس قصدا دون إعلان، فليكن الإعلان بدلالته توحيدا كما يعتقده من يعلن بكلام او كتب او إشارة أم ماذا.

نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوى‏ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً (47) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48).

نجوى شيطانية تتهدم صرح الرسالة الإلهية على حد تصميمهم، فهم يستمعون الى الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ليعلموا ما يقول، و لكي يكيدوا له كيدا، ثم يستمعون بكيد عليه فيما بينهم كشورى ابليسية ليتسقّط فيها عن كيان الوحي، ثم يتناجون في حصالة الشورى الظالمة:

«إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في الدر المنثور 4: 187- اخرج ابن إسحاق و البيهقي في الدلائل عن الزهري قال: حدثت ان أبا جهل و أبا سفيان و الأخنس بن شريف خرجوا ليلة يستمعون من رسول اللّه (ص) و هو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه و كل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا فقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهاءكم لا وقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال اخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد قال و اللّه سمعت أشياء اعرفها و اعرف ما يراد بها و سمعت أشياء ما عرفت معناها و لا ما يراد بها قال الأخنس و انا و الذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت تنازعنا نحن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 223

هذه من الهرطقات الهراء حيث يهرفون عليه بما يخرفون: انه ساحر او مسحور، كاهن او مجنون او شاعر نتربص به ريب المنون ام ماذا؟.

و من أخطر ما يفترى به عليه أنه مسحور ام به جنّة، مسحور مسلوب الاختيار في بعض ما يفعل او يقول حيث يسيطر الشيطان على عقليته ام إحساسه، فليس ما يفعل او يقول- على خرافته- منه، و إنما من شيطان او جن، خرافة مزدوجة بعيدة عن الحق في بعدين! ام إذا لم تكن خرافة فليست هي لا منه و لا من ربه و انما من ساحر يسحره حيث يتسخره! و النجوى مصدر كالتقوى، و قد وصفوا بالمصدر لما في هذه الصفة من المبالغة في ذكر ما هم عليه من كثرة تناجيهم و إسرار المكائد بينهم، و الصفة بالمصادر تدل على قوة الشي‏ء الموصوف بذلك، فهم لكثرة تناجيهم بالإثم و العدوان و معصية الرسول و الفرية عليه أصبحوا كأنهم هم نجوى في مقالتهم الظالمة: «وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً. انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» (25: 9) «1».

لقد كانت فطرة الفحص و التفتيش تدفعهم الى استماع الرسول فيما يقول، ثم النخوة و الكبرياء تزجّهم الى سجن ما يستمعون به تلاوما فيما بينهم، ثم الى جحيم القولة الفاتكة الهاتكة، إذ هم نجوى: «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً».

لقد ضربوا له الأمثال البعيدة عن الحق حيث اخذتهم جنّتهم فاتخذوا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و بنو عبد مناف في الشرف أطعموا فأطعمنا و حملوا فحملنا و اعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب و كنا كفرس رهان قالوا من نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه و اللّه لا نؤمن به أبدا و لا نصدقه فقام عنه الأخنس و تركه.

(1). راجع ج 30 من الفرقان ص 539- 540.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 224

قولتهم جنتهم، فقد تأثروا بالقرآن حين تسمّعوا إليه، فلا سبيل لهم أن يقولوا إنه «قول بشر» لأنهم يلمسون منه وحيا ليس من بشر، حيث لا يشبه قول بشر: و لا تدعهم نخوتهم أن يقولوا إنه كلام اللّه جرى على لسان بشر، فقالوا: إن هذا إلّا سحر يؤثر، فظنوا تسمية القرآن سحرا أبطل وحيه‏ «فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا»!.

لو كانت هذه الرسالة السامية مختلقة لاستطاعوا سبيلا إليها قضاء عليها، فإذا لم يستطيعوا إليها سبيلا و لن، فهي إلهية مهما ضربوا لها الأمثال المضلة، فإنهم تائهون ضالون في هذه البغية الباغية، لا يتعبون إلّا أنفسهم.

إنما تضرب الأمثال لإقامة حق مبيّن تقريبا لبيانه، او لإماطة باطل مبين تقريبا لبطلانه، و اما ان تضرب الأمثال دون اي برهان، ام تضرب لابطال حق واضح البرهان فهو ضلال مبين.

و هؤلاء المناكيد الأوغاد بدل أن يبرهنوا دعواهم ابطالا للرسالة المحمدية و لن، أخذوا يضربون الأمثال يمنة و يسرة بكل تكلف و عسرة دون أن يستطيعوا سبيلا الى ابطال هذه الرسالة السامية.

وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (49) قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (50) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتى‏ هُوَ قُلْ عَسى‏ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً (51). يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52).

انه لا برهان لناكري المعاد الحساب إلّا استبعادات واهية، لا تملك من حجية إلّا هيه: «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً»؟

فإذا بليت أجسادنا ف‏ «كُنَّا عِظاماً» و رمدت عظامنا فكنا «رفاتا» فلم يبق‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 225

منا شي‏ء إلّا تبدلت إلى تراب «أ إنا» و نحن تراب‏ «لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً»؟

هم يستبعدون أن يتحول التراب المرتخي عظاما و لحوما، و اللّه يحوّلهم و يبدّلهم خلقا جديدا و لو كانوا حجارة او حديدا «قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» فالحجارة أصعب تحولا الى الخلق الجديد من التراب و الحديد أصعب من الحجارة، و خلق يكبر في صدورهم أصلب من الحجارة، و الحديد أصعب منهما، فليكونوا اي صلب و صعب مما سبقت له الحياة ام لم تسبق، فتبديلها الى خلق جديد ليس من المستحيل لا ذاتيا و لا في الحكمة و لا أمام القدرة الإلهية.

ثم استبعاد ثان على فرض الإمكان‏ «فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا» الى ما كنا، من يردنا الى الحياة بعد ما كنا عظاما و رفاتا ام حجارة او حديدا ام ماذا؟ مما هو أشد ايغالا في الموت و الخمود، «قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» لا تذهبوا بعيدا نظرة الجواب، فالذي فطركم اوّل مرة هو الذي يعيدكم مرة اخرى‏ «وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ».

هؤلاء المناكيد الأوغاد يعجبون من عودهم و هم عارفون بدأهم:

«وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذا كُنَّا تُراباً أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ..»

(13: 5) «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْ‏ءٌ عَجِيبٌ. أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ» (50: 4).

«كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً» ليست إلّا تحديا عليهم، لا أمرا ان يكونوا حجارة او حديدا، إذ هم لا يستطيعون لأنفسهم تكونا هكذا، و لا ان اللّه يريد تكوينهم هكذا، فلا يعني من «كونوا ..» إلا أولوية في هذه الكينونة و تلك استبعادا على حدّ زعمهم ان يبعثوا خلقا جديدا: إلّا أن الكينونات‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 226

كيفما كانت ليست لتتمنع من امر اللّه ان تبعث خلقا جديدا، فلا فرق بين عظام الإنسان و رفاته، و بين حجارته و حديده و فولاذه و أصلب منه في بعثه خلقا جديدا، حيث الكلّ من خلق اللّه، يخلقها و يبعثها كما يشاء، ف‏ «إِنَّ اللَّهَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ» فالحجارة و الحديد على كونهما أبعد عن الحياة من العظام و الرفات هي قريبة الى الحياة في قدرة خالق الحياة.

هؤلاء الأوغاد بعد ما يسمعون جوابا تلو جواب عما يستبعدون من خلقهم الجديد يتعنتون في سؤال «متى هو»؟ كأن لتعيين متاه و مداه دخلا في أصله، فلو لم يعلم الرسول متاه، أو بعدّ مداه فلا يبعثون إذا خلقا جديدا، فجاء الجواب حاسما «قُلْ عَسى‏ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً» و ترجى القرب لصاحب الوحي هو قربه: قربا في متاه كما هو قريب في العقل و العلم و في العدل.

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52).

و ذلك اليوم القيامة بعد لبث البرزخ، «و تظنون» نكران للبث قليل كما كانوا يظنون‏ «.. لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ» (46: 35): او «.. لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» (18: 19) او «.. إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً» (20: 103) «1».

وَ قُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً (53).

إن الشيطان من جن و إنسان ينزغ بين الإخوة المتحابّين فضلا عن سائر الناس ام الذين بينهم عداء، فلا يهدف في محاولاته بين الناس الّا عداء و زيادة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع ج 30 من الفرقان ص 103.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 227

و النزغ دخول في أمر لإفساده كما دخل الشيطان بين يوسف و إخوته:

«وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَ جاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» (12: 100).

فقد يدخل الشيطان في أمر جماعة متحابيّن فيفسد بينهم من جانب دون ان يسطع لإفساد من جانب آخر، كما بين يوسف و اخوته، فهم الذين حاسدوه و فعلوا به ما افتعلوه، و هو لم يفعل بهم إلّا حسنا، أو يفسد من الجانبين إن كانا على سواء، أو يدخل في أمر شخص فيفسد بينه و بين نفسه، و هذه فعلة دائبة منه على غير المخلصين، أم لا يسطع مهما حاول كما في المخلصين، و إن كان عليهم أن يستعيذوا باللّه من الشيطان الرجيم: «وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (41: 36) «.. إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ» (7: 203).

و لكي نستأصل نزغات الشيطان و نزعاته، علينا استئصال الوسائل التي ينزغ بها الشيطان بيننا، من قولة سوء تلدغ، او إجابة سوء و جاه سوء، فإنهما مربض الشيطان و منزغه، و انما القول الأحسن، لكيلا يبقى مجال لنزغ الشيطان، و كذلك الفعل الأحسن أم اي مظهر من المظاهر الحسنى‏ «1».

«وَ قُلْ لِعِبادِي» هنا يؤمر أول العابدين أن يقول لسائر العباد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 188- اخرج البخاري و مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا يشيرن أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من نار.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 228

«يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» فالكلمة الحسنى هي لزام العبودية و سياج على الشيطان دون نزغه: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» (41: 34) فالكلمة الحسنة تدفع العداوة، و الكلمة الخشنة تدفع الى العداوة، حيث الحسنة تأسوا جراح القلوب و تندي جفافها، ف‏ «قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً» (2: 83) بداية و إجابة، و لتكن الإجابة أحسن‏ «وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها» (4: 86).

فمن قال لك حسنا فلتجب حسنا أو أحسن، و من قال لك سوء فلتجب حسنا او احسن، و لكي يترك السوء او يميل الى الحسنى و أما إذا قابلت السوء بالحسن فاستمر هو في الإساءة، و تجرء عليك و على سواك فإما السكوت بعد أو «جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» دون زيادة، و لكنما الضابطة العامة أن‏ «يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» صدا لنزغ الشيطان، و أما إذا كان الحسن او الأحسن مجالا لنزغ الشيطان فلا، فان قول التي هي أحسن ليس إلا صدا لنزغ الشيطان، و توددا الى عباد الرحمن فإذا سبّب لنزغ أكثر فلا: «إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً».

من القول السوء أن تجابه السوء بمثله من السوء، و هو و إن كان حسنا ف «جزاء سيئة مثلها» و لكنما الأحسن أن تعفو مصلحا «فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» الا ان يتجرأ على سوءه أو يزداد.

و من السوء المجابهة بالأسوإ و ليس حسنا على أية حال فانه اعتداء بزيادة «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ».

و منه الإخبار عن حاله الحاضرة او المستقبلة انه في سوء ام الى سوء دونما ظاهرة تدل، و علّه في خير أم إلى خير ف‏ «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ».

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَ ما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (54): وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 229

بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى‏ بَعْضٍ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (55):

«رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ» منكم و ممن سواكم، يعلم حاضركم و مستقبلكم و غابركم ف‏ «إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ» إن أنتم من أهلها و «إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ» إن أنتم من اهله (و لا تظلمون نقيرا) «وَ ما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا» أن تجعلهم من أهل الرحمة أو ترحمهم، فما عليك إلّا البلاغ.

فلا توكل على من سوى اللّه إلّا على اللّه لا سواه، و لا وكيل على عباد اللّه إلّا اللّه لا سواه، فهو الذي يعلم السر و أخفى، يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور، يعلم مصاير عباده و كل أمورهم بداية و حتى النهاية، لا فحسب بل: «وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و بعلمه يفضل بعضا على بعض‏ «وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى‏ بَعْضٍ» في درجاتهم و آياتهم المعجزات و في كتاباتهم‏ «وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً» فهو أفضل الكتب السماوية بعد الخمسة لأولي العزم.

يأتي ذكر الزبور هنا و في النساء (163) و الأنبياء (105) «1» و لا يأتي ذكر من سائر الكتب الفروع للأنبياء، و لا من الأصول إلا الاربعة «2» نصا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). «إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى‏ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى‏ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى‏ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً» (4: 163) «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ» (21: 105).

(2)

نور الثقلين 3: 175 في كتاب علل الشرائع باسناده الى عبد اللّه بن صالح عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب (ع) قال قال رسول اللّه (ص): ما خلق اللّه خلقا أفضل مني و لا أكرم مني، قال علي (ع): فقلت يا رسول اللّه (ص) أ فأنت أفضل ام جبرائيل؟

فقال: ان اللّه تبارك و تعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين و فضلني على جميع النبيين و المرسلين و الفضل بعدي لك يا علي و للأئمة من ولدك فإن الملائكة لخدامنا و خدام محبينا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 230

و كتاب نوح تلويحا، و قد يذكر الزبور نصا مع التلويح الى سائر الوحي بما فيه الوحي الى نوح و ابراهيم و عيسى (عليهم السلام) كما في النساء، و يبشرنا البشارة العظمى بوراثة الأرض نقلا عن الزبور بعد الذكر في الأنبياء، و من ثم نرى هنا في مقام تفضيل بعض النبيين على بعض يأتي بنموذج من تلك النماذج السامية:

وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً! أ فلا يدل هذا المثلث البارع من ذكرى الزبور على أهمية كبرى له بين الزبر؟ ترى انه مفضّل على سائر الزبر الفروع، فلما ذا يفضّل أحيانا على بعض الأصول؟ أقول: علّه لأنه الحفيظ على ما حرّف من الكتب الأصول، و لحد الآن لا نجد فيه تحريفا و لا تجديفا إلا القليل القليل، بين الكثير الكثير من التحريف و التجديف الذي حصل في سائر الكتب المقدسة من العهد العتيق و الجديد، مع ما يحوي من المعارف الجمة الإلهية بألطف تعبير و أعطفه ما يأخذ بازمة القلوب.

فالزبور إذا مهيمن على ما حرّف من الكتب الأصول، و سياج صارم ضد كل تحريف و تجديف على الكتب الأصول، يشمل على جملة المعارف التي تشمله الكتب المقدسة، متحللا عن كل دسّ و تحريف او مسّ و تهريف.

لا نجد بين الكتب المقدسة ما يقل فيه التحريف ام ليس فيه كما نجد في الزبور من كتب العهد العتيق و في إنجيل القديس برنابا الحوارى من كتب العهد الجديد، و هما يشهدان دون تكلف بيراعة الوحي القرآني‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و

فيه (257) في الخرايج و الجرايح باسناده الى أبي عبد اللّه (ع) قال: ان اللّه فضل اولي العزم من الرسل على الأنبياء بالعلم و فضلنا عليهم في فضلهم و علم رسول اللّه (ص) ما لا يعلمون و علمنا علم رسول اللّه (ص) فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم و أينما نكون فشيعتنا معنا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 231

و براعته، و برائته عن كل دسّ، و انه كتاب الوحي الأخير، مهما كانت سائر الكتب المقدسة على تحرفها تأتي شاهدة على ذلك بتكلّف أحيانا و دون تكلف أخرى.

داود الملك النبي لا يذكر في مقام تفضيله إلا كتابه الذي يمثل رسالته الروحية، حيث السلطة الزمنية ليست فضيلة في ذاتها، و إنما هي فضيلة في معطياتها أن كانت ذريعة للدعوة الى اللّه و تطبيق شرعة اللّه و على حد تعبير الامام علي (عليه السّلام) حين يتحدّث عن نعله المخصوف الذي كان رقعا كله:

«و الله لهي أحب إلي من إمرتكم هذه إلا أن أقيم به حقا أو أبطل باطلا»!.

أولوا العزم من الرسل فضّلوا على من سواهم، كما فضل البعض من أولاء على بعض، و البعض من هؤلاء على بعض، و قد فضل محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) على كافة النبيين و على الخلق أجمعين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 232

[سورة الإسراء (17): الآيات 56 الى 65]

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لا تَحْوِيلاً (56) أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى‏ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً (57) وَ إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (58) وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً (59) وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً (60)

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (61) قالَ أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (62) قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (63) وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (64) إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَ كَفى‏ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (65)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 233

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لا تَحْوِيلًا (56).

من اختصاصات الإله أنه قادر على كل شي‏ء، أم و على أقل تقدير بعض الشي‏ء الذي يعجز عنه عباده من كشف ضر أو تحويله، و إلّا فهو مثلهم، لا يختص بالألوهية دونهم، او هو دونهم ان كان من غير ذوي العقول: «اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ: لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (36: 75).

و «الذين» في الآية تلمح إلى أنها تعني الآلهة العقلاء من ملك او جن او انسان نبي او أيا كان، مقربين عند اللّه فهم فيما هم لا يملكون كشف‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 234

الضر عنكم و لا تحويلا فغيرهم أعجز و أضل سبيلا! و الآية التالية «أُولئِكَ الَّذِينَ» تصرح انهم هم و من الصالحين، فهم لا يملكون هذا الكشف و التحويل في أنفسهم و لا عن أنفسهم إذ ليسوا آلهة في أنفسهم، و لا يملكون كشفا و لا تحويلا تخويلا من ذي العرش حيث لم يملّكهم، فان هم إلّا خلق من خلق اللّه يحاولون: «يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى‏ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخافُونَ عَذابَهُ» فكيف يعبدون؟.

فيما تنقطع الأسباب، و تحار دونه الألباب، و كلما تدعو بطاقات و إمكانيات و أسبابا ظاهرية متعددة فلا تستجاب، وقتئذ لا تنقطع الرجاء فتدعو فهل من مجيب و مستجاب؟

حين تدعو ربك توفيرا و توفرا لشروط الدعاء تستجاب، و إذ تدعوه في ناقص الشروط او ناقضها قد تستجاب و قد لا تستجاب، أليس هذا دليلا على أن ربك كائن لا شريك له؟

و الذين يدعون مع اللّه سواه، ثم يدعون الذين زعموا من دونه آلهة، فلا يملكون كشف الضر عنهم و لا تحويلا، هنا لك لا إجابة من الآلهة ملائكة أو نبيين كمعبودين، و إن كانوا يدعون اللّه فيستجاب لهم إن لم يتوسل إليهم كمعبودين:

لا إجابة هناك على أية حال حين تدعونهم كآلهة، و إن كانوا من كانوا من المقربين، إذ لا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا، لا من أنفسهم، و لا من اللّه، إلا فيما يطلبونه- كعبيد- من اللّه، لأنفسهم أم لآخرين يعبدون اللّه، و الذي يعبدهم لا يرتضى، فهم لا يدعون له إذ «لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى‏» و لو دعوا لم يستجابوا أليس في هذه الدعوة الخاسرة الحاسرة آية باهرة انهم ليسوا آلهة فضلا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 235

عما سواهم من غير العقلاء «وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ»!:

«أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ ... أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» (27: 62) فلو تذكرتم موارد الاستجابة حين تدعون ربكم، و اللااستجابة حين تدعون آلهة تزعمون، لعرفتم ألا إله إلا اللّه سبحانه و تعالى عما يشركون: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (35: 14).

«فيا من لا يملك كشف ضري و لا تحويله عني احد غيره صل على محمد و آله و اكشف ضري و حوله الى من يدعو معك إلها آخر لا إله غيرك» «1».

فكاشف الضر للمضطر هو اللّه، و محوّلة عنه أم إلى غيره إن كان يستحقه هو اللّه، و ليس لمن سوى اللّه حول و لا قوة إلّا باللّه، و لا يحوّل اللّه او يخوّل من حوله و قوته الى سواه، اللّهم إلّا الى من يشفعون باذنه فيشّفعون، و ليسوا إلّا من ارتضى اللّه شفاعته لمن ارتضى اللّه- «لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْ‏ءٍ إِلَّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ» (13:) 14).

إن محمدا (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و هو اوّل العابدين لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا فضلا عمن دونه من اتّخذوا آلهة، فضلا لمن يعبدونهم: «قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 176 ح 259 في اصول الكافي عن أبي عبد اللّه (ع) كان يقول عند العلة اللهم انك عيّرت أقواما فقلت: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لا تَحْوِيلًا» فيا من ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 236

أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (7: 188).

المشركون طالما يدعون أربابهم فلا يستجابون، و لكنهم عند البأساء و الضراء لا يدعون إلّا ربهم‏ «قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ» (6: 41).

ان الذين زعمتم من دونه آلهة و هم عباد صالحون:

أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى‏ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً (57).

«أولئك» ممن زعمتم من دونه آلهة هم أنفسهم «يدعون» «1» ربهم فكيف يدعون؟ «يَبْتَغُونَ إِلى‏ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ» لاستجابة ما يدعون فكيف يبتغون؟ يدعون‏ «أَيُّهُمْ أَقْرَبُ» ... ام‏ «أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ» «2» هم المشركون- هم «أنفسهم» يبتغون الى ربهم الوسيلة ... «أَيُّهُمْ أَقْرَبُ» يبتغي الوسيلة أكثر و آكد، ام وسيلة أقرب، فهم بالوسيلة الأقرب و أيّهم اقرب يبتغي الى ربه لكي يستجيب دعاءه و يقربه إليه، فكيف يوصّلون و يتأصّلون في الدعاء و هم لأنفسهم يتوسلون إذ يدعون!.

و لقد امر اللّه عباده ان يبتغوا اليه الوسيلة: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَ جاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (5: 35).

هنا لك مثلث من الوسائل الى الرب- 1- وسائل المعرفة فالعبادة أيهما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هذا الوجه بناء على كون «الذين» خبرا ل «أولئك».

(2) وجه ثان على كون «الذين» صنعة ل «أولئك ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 237

اقرب و هم الرسل،- 2- الوسيلة العبادة و التقوى و الجهاد فيهما أيها اقرب- 3- الوسائل الشفعاء عند اللّه عفوا عما قصّروا او قصروا أيهم اقرب.

هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة لكشف الضر عنكم أو تحويلا، هم أنفسهم يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، فليسوا هم كلهم وسائل إلى الرب فإنهم ايضا يتوسلون، فكيف إذا يؤصّلون كآلهة في كشف الضر؟.

فمنهم من هم في القمة المعرفية و العبودية، يبتغون أقرب الوسائل من العبادة للقرب‏ «1» و الزلفى، دون توسل بوسيط الوحي إذ هم يوحى إليهم، و لا وسيط الشفاعة إذ هم أنفسهم شفعاء بإذن اللّه.

و منهم من هم دون القمة لا يوحى إليهم و لا يحتاجون شفعاء، فلهم إذا وسيلتان.

و منهم من هو دونهما، يبتغون الى ربهم الوسائل الثلاث أيهم و أيها اقرب.

ف‏ «أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ» هم المشركون، هم العابدون للرب، المتوسلون إليه لأنفسهم أم لسواهم حيث يؤذن لهم- «وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى‏»!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 190- اخرج الترمذي و ابن مردويه و اللقط له عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (ص) سلوا اللّه لي الوسيلة قالوا: و ما الوسيلة؟ قال: القرب من اللّه ثم قرء «يَبْتَغُونَ إِلى‏ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ».

و في ملحقات الأحقاق 14: 578 اخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (ج 1:

342 ط بيروت) أخبرنا محمد بن عبد اللّه بن احمد أخبرنا محمد بن احمد بن محمد أخبرنا عبد العزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني احمد بن عمار الحماني عن علي بن مسهر عن علي بن بذيمة عن عكرمة في الآية قال: هم النبي و علي و فاطمة و الحسن و الحسين (ع).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 238

«وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ» بما يقدمون من وسائلها «وَ يَخافُونَ عَذابَهُ» حيث يتحذّرون وسائله، فالرجاء برحمة اللّه و الخوف من عذاب اللّه كفتان متوازيتان لميزان الايمان و

«ما من عبد مؤمن إلا و في قلبه نوران نور خيفة و نور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا و لو وزن هذا لم يزد على هذا» «1»

ف‏

«من عرف الله خاف الله و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا» «2»

و

«من خاف الله أخاف الله منه كل شي‏ء و من لم يخف الله أخافه الله من كل شي‏ء» «3»

«و إن حب الشرف و الذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب» «4»

و مما حفظ من خطب النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أنه‏

قال: «يا ايها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم و إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، و بين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته و في الشيبة قبل الكبر و في الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب و ما بعدها من دار إلا الجنة و النار» «5».

ليست الرجاء ان ترجو دون ترجّ و لا الخوف ان تخاف دون تخوف، فلكلّ شرط يربطه دون هرج و مرج ف‏

«من رجى شيئا عمل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 176 في اصول الكافي بإسناد عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله (ع) قال‏ قلت له: ما كان في وصية لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، و كان اعجب ما فيها ان قال لابنه: خف الله عز و جل خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك و ارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك ثم قال ابو عبد الله (ع) كان أبي يقول انه ما من عبد مؤمن ...

(2) المصدر بإسناد عن أبي عبد الله (ع) ح 362 و

(3) عنه ح 261 و

(4) عنه ح 265.

(5) المصدر ح 266 بسند عن أبي عبد الله (ع) يقول: ان مما حفظ من خطب النبي (ص).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 239

له‏ «1» (طلبه) و من خاف من شي‏ء هرب منه» «2».

وَ إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (58).

يوم القيامة هنا يعني قيامة الإحياء، حيث الإماتة التامة تعنيها الآية باهلاك و تعذيب قبل يوم القيامة، و هذا هو المسطور في ام الكتاب لدى اللّه، سطرا في سابق علمه دون محو او تحوير: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» (13: 39).

و بما أن «قرية» هنا هي في نفي الاستغراق، فقد تعني كل قرية في الكون كله، اي مجتمع من حيوان او انسان امن ذا؟ في ارض ام في سماء إمّا ذا؟

و ترى الإهلاك هو الاماتة دون تعذيب، قرينة من قرنه بالتعذيب؟

و هو يلمح لتعذيب! و ليس قرنه إلّا شديد العذاب! فما دونه عذاب دون شديد قد يشمله الإهلاك! ... إذا فالإهلاك يعم الإماتة دون أي تعذيب، و دون تعذيب شديد، و من ثم صورة ثالثة هي العذاب الشديد.

إنه لا مناص و لا محيص عن موت قبل قيامة الإحياء، موتات بعذابات ام دون عذاب، انفرادية لا تعنيها الآية لمكان «قرية» و هي المجتمع‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر ح 264 علي بن محمد رفعه قال‏ قلت لأبي عبد اللّه (ع) ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي و يقولون نرجو. فقال كذبوا ليسوا لنا بموالي أولئك قوم ترجحت بهم الأماني من رجا شيئا عمل له و من خاف من شي‏ء هرب منه.

و

فيه عن الحسين بن أبي يسارة قال سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول: لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا و لا يكون راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف و يرجو.

(2)

المصدر ح 263 عن أبي عبد اللّه (ع) قيل له: قوم يعملون بالمعاصي و يقولون:

نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. فقال: هؤلاء قوم يترجحون في الأماني.

كذبوا ليسوا براجين من رجى ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 240

و موتات جماعية لاستئصال الحياة عن الكون كله و ليست إلّا باماتة تعذيب جماعي كما في قرى ظالمة، عذابا شديدا او دون ذلك، أم باماتة إهلاك لا تعني التعذيب، كما في سائر القرى، فهناك مثلث من الإماتة تعنيها الآية: هلاكا دون عذاب، و آخر بعذاب، و ثالث‏ «أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً»!.

و لان الإهلاك- اكثر ما يستعمل- يعني الإماتة العذاب، و قليلا ما ياتي لإماتة دون عذاب‏ «1» فهل تعني «مهلكوها» اكثرية العذاب، و لا تقوم القيامة إلّا في دولة الحق كما يستفاد من آيات و روايات.

قد يعني الإهلاك العذاب ما يعم عذاب العصيان و عذاب غير العصيان: «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْ‏ءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى‏ وَ ما هُمْ بِسُكارى‏ وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» (22: 2) فهل ان العذاب الشديد يشمل كل مرضعة و كل ذات حمل و كل الناس؟

كلا! و انما يعني العذاب هنا الم الموت الشديد مهما كان البعض الى رحمة اللّه و الآخرون الى نقمته و ثالثة «عَذاباً شَدِيداً» «2».

و ترى‏ «قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ» هنا يعني قيامة الاماتة نفسها حيث‏ «نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ»؟ ام اهلاكات جماعية و تعذيبات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كقوله تعالى: «إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ...» (4: 176) «حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» (40: 34) ثم لا نجد في عشرات الآيات التي تحمل الهلاك الإهلاك العذاب لحد القول‏ «هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ» (6: 47).

(2)

نور الثقلين 3: 178 ح 371 في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم، قال‏ سألت أبا جعفر (ع) عن الآية قال: انما امة محمد من الأمم فمن مات فقد هلك.

و

فيه (372) عن ابن سنان عن أبي عبد اللّه» في الآية قال: بالقتل و الموت و غيره.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 241

تترى حتى هذه القيامة؟ قد تلمح او تصرح‏ «إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ» انه القبل الأوسع منذ البداية حتى النهاية، حيث القرى كلها ليست عند قيامة الاماتة حتى يقضي عليها كلها، و انما ما تبقت منها حيث تلحق ما سبق حتى يتم الهلاك و يطمّ.

فمثلث الاماتة مما لا محيد عنه قبل قيامة الاحياء، بالنسبة للقرى الحية يوم الدنيا و من الإهلاكات و العذابات الشديدة الجماهيرية ما يحصل‏ «يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هذا عَذابٌ أَلِيمٌ» (44: 11) و يوم‏ «فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ...» (21: 97) «فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا، وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً»: (18: 99) و كما منها عذابات الاستئصال قبل هذه الأيام، ام اهلاكات عذابا و دون عذاب! فكل موتة جماهيرية قبل النفخ في الصور تشملها الآية دون إبقاء لأية قرية أيا كان و أيان! و اما اهل البرزخ فهل هم ممن يموتون عن الحياة البرزخية كما ماتوا من قبل عن الحياة الدنيوية، للبحث عنه مجال آخر يأتي بطيات آياته كآية الصعقة و اضرابها.

وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً (59).

هل الآيات هنا تعني آيات الرسالات، أنها منعت في الرسالة الاخيرة أن كذب بها الأوّلون؟ و هذه الرسالة السامية تحمل أخلد الآيات و أبهرها طوال الرسالات! و ليس تكذيب آية الرسالة- كما هو السنة السيئة من ناكريها- بالذي يمنع عن مواصلتها في الرسل تترى، و لا سيما هامة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 242

الرسالات و جوهرتها الاخيرة! و الآيات الممنوعة للرسالة الأخيرة هنا لا تعني كلّ الآيات، و إنما التخويفية: «وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً» و اما آيات الرسالة الهادية غير التخويفية فهي لزام الرسالات كلها و لا سيما الاخيرة، كما نجدها في الذكر الحكيم! فمهما منع تكذيب الأوّلين الإرسال بتخويفية الآيات التي منها ما هي هامشية موكدة مزيدة على الأصلية لعلهم يرجعون و منها مستأصلة، فلا منع عن الإرسال بأصلية الآيات مهما كذب بها الآخرون.

و انه اجابة عما يهرفه المكذبون بالرسالة الأخيرة: لماذا لم يرسل بتلكم الآيات؟ و آية القرآن تمتاز عن سائر الآيات لأنها خالدة دونها، و من الآيات الاولى تخويفية دونها.

و ترى إذا كان التكذيب بالآيات التخويفية ككل مانعا عن الإرسال بها، فلتكن مانعة قبل الإرسال بها حيث يعلم اللّه قبل تكذيبها، ثم و لا فائدة فيها بعد تكذيبها فلما ذا أرسل بها في الأولين؟.

إنها الآيات التخويفية المقترحة تعنتا كناقة ثمود و أضرابها، حيث اقترحوها بعد ما تبين لهم الحق بغيرها، فأرسل اللّه بها مزيدا في الحجة و استئصالا للأعذار، فلما كذبوا بها أرسل عليهم عذاب الاستئصال، و قد طلبها المكذبون في هذه الرسالة السامية «1» فلن يرسل اللّه بها، إذ كذب بها الأولون و استأصلوا، و مزيد الحجة الخالدة موجود في الرسالة الأخيرة، و لا يريد اللّه عذاب الاستئصال للامة المرحومة «2». و لا أن هناك عرض الإيمان‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1، 2)

نور الثقلين 3: 179 ح 273 في تفسير علي بن ابراهيم و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله‏ «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ» و ذلك ان محمدا (ص) سئل قومه ان يأتيهم بآية فنزل جبرائيل فقال: ان اللّه يقول‏ «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 243

حتى يؤمنوا: «ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ» (21:) 6):

إن آيات الرسالة اربع، آية تخويفية، و اخرى ذات بعدين، و ثالثة دون تخويف و هي وقتية، و رابعة آية باقية دون تخويف و لكنها أتم و أطم منها، فإذا جاءت لم يبق مجال لغيرها:

و هكذا تكون آية القرآن، فاقتراح آية دونه كما أرسل الأولون» اقتراح جاهل أو مكابد كما قالوا: «فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ» (21: 5) فآية الآخرين: القرآن- تختلف عن آيات الاوّلين في صورتها، و هي تزيد عليها في سيرتها و قضية الخلود في الرسالة الأخيرة هي الزيادة الخالدة سيرة مستمرة، لا صورة مؤقتة تثبت رسالة مؤقتة، فتطلّب آية وقتية بصرية تخويفية و سواها مع تلكم الآية الخالدة تطلّب هراء خواء.

ثم و آية الرسالة لا تأتي إلّا حجة باهرة، لا مزمجرة مهلكة، اللّهم إلّا حجة على حجة على المتخلفين عن المحجة، و ليست هذه الآية يملكها المرسلون بها، و انما هو الذي يرسلهم بها تدليلا على رسالاتهم حيث تظهر على أيديهم افعال خاصة باللّه، فلو لا انهم مخصوصون بكرامة اللّه لم تظهر على أيديهم افعال اللّه.

فهنا لك آيات إلهية تدل على وجوده تعالى و وحدته و علمه و حكمته و قدرته، و هي الكون بأسره، و آيات اخرى رسالية تدل على رسالة من أرسل بها و هي الأفعال الخاصة باللّه، المستحيلة ممن سوى اللّه، فإذا يأتي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و كنا إذا أرسلنا الى قرية آية فلم يؤمنوا بها أهلكناهم فلذلك أخرنا عن قومك الآيات.

و

في الدر المنثور 4: 190- اخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن انس قال‏ قال الناس لرسول اللّه (ص) لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح و النبيون فقال رسول اللّه (ص) ان شئتم دعوت اللّه فانزلها عليكم و ان عصيتم هلكتم فقالوا: لا نريدها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 244

إنسان بواحدة منها، تصبح دليلا لا مرد له على رسالته الإلهية، كبيرة كانت ام صغيرة ما دامت هي آية رسالية.

ان آية الإسلام: القرآن- تعيش الفطر و الفكر و العقول، ترسم للاجيال منهجا للحياة لا حول عنها و لا محيد، خارقة فكرية و علمية لا تحمل مادية مقتصرة على الحواس، محتصرة بجيل خاص، و هم الذين يعيشونها، و إنما تتخطى الأجيال ما طلعت الشمس و غربت، دون غروب لشمسها، او عزوب لنورها.

فهذه الرسالة الأخيرة لا تصحب ما صحبت الأولى من خوارق عابرة دائرة، اللّهم إلّا هامشية لا تعني إثبات هذه الرسالة عناية اصلية، و إنما تعني فيما تعني إخراج هذه الرسالة من الشذوذ فيما يخيل الى ناس هم في الحق نسناس! ثم الأولون في هذه الآية هم كلّ الأمم قبل الأخيرة الإسلامية، و هؤلاء الآخرون، فلا ضرورة و لا رجاحة في ابتعاث الرسول الأخير بمثل ما أرسل الأولون، كما و ان مادة الرسالة الاخيرة تختلف بشطر منها و خلودها عن سائر الرسالات.

و لو كانت هنا ضرورة او رجاحة في الإرسال بالآيات التخويفية لأرسل بها محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و لكنها كانت في الأوّلين.

وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً (60).

«و» اذكر «إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ» قاله الرب تبارك و تعالى في آيات عدة بصيغ عديدة: «وَ كانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً» (4:) 108) «وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيماً» (4: 126) حيطة العلم و القدرة ام‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 245

ماذا؟ فلا يعزب عن حيطته شي‏ء.

و ترى ما هي الرؤيا الفتنة التي أريها الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)؟ هل هي الشجرة الملعونة في القرآن ام سواها؟ و ما هي هذه الشجرة؟ و بماذا خوفهم، بالرؤيا الشجرة؟ ام إحداهما؟ او سواهما؟.

أو هذه الرؤيا الفتنة مذكورة في القرآن فنفتش عنه فيه؟ ... هنا لك رؤيا صادقة بالحق تحمل بشارة لا تمت بصلة الفتنة: «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً» (48: 27) و من ثم أخرى كمثلها تقلل الكفار، و تحمل الرحمة الروحية العالية لجنود الإسلام: «إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» 8: 43) ... ثم لا نجد ثالثة تحمل فتنة و لا رحمة، أ فلا ذكر عن هذه الرؤيا الفتنة في الذكر الحكيم؟

قد يعني الإجمال عنها هنا سياسة الحياد و جاه واقع الرؤيا الفتنة: بني امية أمن ذا؟ و لكي لا يعارضوا القرآن وجها بوجه إذا ما وجدوا فتنتهم اللعنة جلية في القرآن‏ «1» و لكنما السنة المتظافرة كشفت عن وجهها النقاب، انها رؤيا القردة ينزون على منبره (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم).

انها لا تعني ما أريه الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في سرية ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فكذبوا بها و عجبوا منه‏ «2» مهما كانت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 18 في تفسير العياشي عن رسول اللّه (ص) انه قد رأى رجالا من نار على منابر من نار يردون الناس على اعقابهم القهقري و لسنا نسمي أحدا.

(2)

الدر المنثور 4: 191- اخرج ابن سعد و ابو يعلى و ابن عساكر عن ام هاني‏ ان رسول اللّه (ص) لما اسرى به أصبح يحدث نفرا من قريش و هم يستهزئون به فطلبوا منه آية

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 246

منها- كآية- مثلما أرسل بها الاوّلون، حيث الرؤيا هي في المنام و لقد كانت له هناك الرؤية دون الرؤيا.

و إنما هي ما

يروى عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة و أنزل اللّه في ذلك: «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ» «يعني الحكم و ولده» «1»

رآهم ينزون ... فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات و أنزل اللّه ...» «2» و

قال (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) «رأيت بني امية على منابر الأرض و سيمتلكونكم فتجدونهم أرباب سوء ... فانزل اللّه! ... «3»

و بذلك وردت متظافرة الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فوصف لهم بيت المقدس و ذكر لهم قصة العير فقال الوليد بن المغيرة هذا لساحر فأنزل اليه‏ «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ...».

و اخرج ابن جرير عن قتادة في الآية يقول: أراه من الآيات و العبر في مسيره الى بيت المقدس ذكر لنا ان أناسا ارتدوا بعد إسلامهم حين حدّثهم رسول اللّه (ص) بمسيرة أنكروا ذلك و كذبوا به و عجبوا عنه و قالوا: أ تحدثنا انك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة!

(1). الدر المنثور 4: 191- اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر (رض) ان النبي (ص) قال ...

(2) فيه اخرج ابن جرير عن سهل بن سعد (رض)، قال: رأى رسول اللّه (ص) بني فلان ينزون ...

(3) فيه اخرج ابن حاتم عن يعلى بن مرة (رض) قال قال رسول اللّه (ص): ... و

فيه اخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي (رض) ان رسول اللّه (ص) أصبح و هو مهموم فقيل له: ما لك يا رسول اللّه (ص)؟ فقال: اني رأيت في المنام كان بني امية يتعاورون منبري هذا فقيل: يا رسول اللّه! لا تهتم فانها دنيا تنالهم فانزل اللّه‏ «وَ ما جَعَلْنَا ...» و اخرج مثله ابن أبي حاتم و ابن مردويه و البيهقي في الدلائل و ابن عساكر عن سعيد بن المسيب فيه بدل «فقيل»- فأوحى اللّه اليه»

انما هي دنيا أعطوها فقرت عينه و هي قوله:

و ما جعلنا ... «فتنة» يعني: بلاء للناس.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 247

السلام) «1».

ثم و ما هي‏ «الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»؟ هل هي شجرة الزقوم؟: «أَ ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ: إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ» (37:) 65) «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ: كَغَلْيِ الْحَمِيمِ» (44: 46) فكونها ملعونة لأنها طعام الملعونين:

ام هي الكلمة الخبيثة في مثل القرآن: «وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ» (14: 26) كلمة خبيثة في صيغة لفظية ام كونية في ذوات شريرة كبني امية ام من ذا ام في أعمال و أية دالة على ما لا يحمد:

ام لا تعني- فقط- هذه او تلك، شجرة اللعنة او مثلها، بل و اللعنة المتشجرة، المتدخلة المتخللة خلال المسلمين، المتشاجرة الشجرة الطيبة الإسلامية، المتربصة دوائر السوء بالإسلام و من ألعنها شجرة امية، كما يرويها الفريقان، و قد سمعوا عائشة «2» و غيرها عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و يرويها أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) «3»:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 179 في احتجاج للطبرسي عن رسول اللّه (ص) و عن امير المؤمنين (ع) حديث طويل و فيه: و جعل اهل الكتاب القائمين به و العاملين بظاهره و باطنه من شجرة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» أي يظهر مثل هذا العلم المحتملة في الوقت بعد الوقت و جعل اعدائها اهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور اللّه بأفواههم، و يأبى اللّه الا ان يتم نوره ...

(2)

الدر المنثور 4: 191- اخرج ابن مردويه عن عائشة انها قالت لمروان بن الحكم:

سمعت رسول اللّه (ص) يقول لأبيك وجدك: انكم الشجرة الملعونة في القرآن».

و

عن علي (ع) كما يأتي: «الا فجر ان من قريش و من بني امية».

(3)

نور الثقلين 3: 179 ح 374 في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن الحسن بن علي (ع)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 248

و اللعنة الدائمة في القرآن متجهة الى شجرات كهذه الملعونة، حلقات تلو بعض يعّج منها تأريخ الإنسان و تاريخ الإسلام، و لا سيما المنافقين المتظاهرين بالإسلام، المعارضين إياه، كاتمين البينات و الهدى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى‏ مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» (3: 159)- «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً» (33: 57) أولئك الذين يلعنهم اللّه يجنب من يلعنهم من الكفار و هم أشد منهم لعنة «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (4: 145).

إن الشجرة الملعونة في القرآن «الزقوم» تخرج في الدرك الأسفل‏ «فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» و هي صورة تمثّل سيرة المنافقين و من أنحسهم بنو امية، فهم زقوم في الدنيا و زقوم في الآخرة! و هم المثل الأسفل الأرذل من كلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار! و هم الكاتمون ما أنزل اللّه من البينات و الهدى، المؤذون اللّه و رسوله فلعنهم اللّه في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذابا مهينا، و اي عذاب‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

حديث طويل يقول فيه لمروان بن الحكم: أما أنت يا مروان فلست أن سبيتك و لا سبيت أباك و لكن اللّه عز و جل لعنك و لعن أباك و لعن اهل بيتك و ذريتك و ما خرج من صلب أبيك الى يوم القيامة على لسان محمد (ص) و اللّه يا مروان ما تنكر أنت و لا احد ممن حضر هذه اللعنة من رسول اللّه (ص) و لأبيك من قبلك و ما زادك اللّه يا مروان بما فوقك الا طغيانا كبيرا و صدق اللّه و صدق رسوله يقول اللّه تبارك و تعالى‏ «وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً» و أنت يا مروان و ذريتك الشجرة الملعونة في القرآن‏ و رواه مثله في تأويل الشجرة الملعونة ببني امية العياشي في تفسيره عن أبي جعفر الباقر (ع)

و

عن أبي الطفيل قال‏ كنت في مسجد الكوفة فسمعت عليا (ع) يقول و هو على المنبر و ناداه ابن الكوا و هو في مؤخر المسجد فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن قول اللّه‏ «وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» فقال: «الا فجران من قريش و من بني امية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 249

أهون من تمثّلهم في شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رءوس الشياطين؟.

فهذه الشجرة الخبيثة تحمل مثلث اللعنات، و علّها أو أنها هي الرؤيا التي أريها الرسول فتنة للناس، و يا لها من فتنة افتتن بها الكثير من الناس خيرا او شرا، تمحيصا و تخليصا للمؤمنين، و تلبيسا على الذين في قلوبهم مرض من المنافقين، و قد يروى عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) متظافرة ان الشجرة الملعونة في القرآن هي هي الرؤيا التي أريها الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فتنة للناس‏ «1» و هكذا موقف‏ «الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» أدبيا حيث تردف بالرؤيا في جعل واحد، قردة ينزون و يرقون منبره في منامه، و شجرة ملعونة في قرآن! «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ... وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 180 في تفسير العياشي عن الحلبي عن زرارة و حمران و محمد بن مسلم قالوا سألناه عن قوله‏ «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ...» قال: ان رسول اللّه (ص) أري رجالا على المنابر يردون الناس ضلالا زريق و زفر. و قوله: «وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» قال: هم بنو أمية.

و رواه مثله في تفسير الشجرة الملعونة ابو الطفيل سمعت عليا (ع) يقول ... و عبد الرحيم القصير و حريز عن أبي جعفر (ع) و علي بن سعيد عن أبي عبد اللّه (ع) و الطبرسي في الاحتجاج عن الحسن بن علي (ع) و قد مضى أمثال لها اخرى و في كتاب الخصال عن أبي جعفر (ع) عن امير المؤمنين (ع) حديث طويل يقول فيه- و قد ذكر معاوية بن حرب- و يشترط علي شروطا لا يرضاها اللّه تعالى و رسوله و لا المسلمون، و يشترط في بعضها ان ادفع اليه قوما من اصحاب محمد (ص) أبرارا فيهم عمار بن ياسر و اين مثل عمار؟ و اللّه لقد رأيتنا مع النبي (ص) و ما بعد منا خمسة الا كان سادسهم و لا اربعة الا كان خامسهم.

اشترط دفعهم اليه ليقتلهم و يصلبهم و انتحل دم عثمان و لعمر اللّه ما ألبّ على عثمان و لا جمع الناس على قتله و أشباهه من اهل بيته إلّا أغصان الشجرة الملعونة في القرآن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 250

و قد يقال إن الرؤيا هنا أخص من الشجرة الملعونة، كما و

يروى عن علي (عليه السلام): «انها الأفجران من قريش و من بني امية»

فذكرها بعدها ذكر للعام بعد الخاص، و لكن الرؤيا تمثل ألعن المصاديق لهذه الشجرة! وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (61).

حسد فاتك من إبليس في حماقة كبرى يجعله يذكر الطين، غافلا متجاهلا عما نفخه اللّه في هذا الطين، فلو أنه نظر الى نورية آدم و لم ينظر الى نارية نفسه لما كفر!.

قفزة الخلقة لآدم الاول من طين.

و «طينا» هنا ليس إلّا حالا، خلقته حال كونه طينا، فتصبح نصا على قفزة دون واسطة للطين الى آدم، رغم تأويلات الداروينيين في سائر آيات الطين: «إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ» (38:) 71) في قولتهم إن «من» النشوية الابتدائية الجنسية لا تثبت إلّا بداية طينية، أما أنها دون وسيط بقفزة ام بوسيط التكامل فلا تدل على شي‏ء منهما، و قد يلوح من آيات اخرى التكامل! ليست هناك آيات تلمح للتكامل إلّا القفزة، و هنا الحال «طينا» تقطع المجال و الآمال عما يهوون، نصا في القفزة، ف‏ «خَلَقْتَ طِيناً» تعني خلقت آدم الاوّل حال كونه حين خلق طينا ثم‏ «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ» (32: 7) مما تناصرها في هذه القفزة، حيث البداية تختلف عن الاستمرارية التناسلية في خلق سائر الإنسان، فلو عنت «من طين» فيما يعنون من النشوية البعيدة لم يكن فرق بين البداية و سواها، حيث النطفة تبتدء من طين كما آدم في قولتهم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 251

و اما أن الجامد لا يأتي حالا، فهو اجتهاد أدبي من استقراء، و لا قرية أدبية أحرى من القرآن، و لا يصح او يحسن هنا «طينا» إلّا حالا «1»:

خلقته طينا و خلقتني نارا و النار في أصلها و تبدلها التكامل خير من طين، فلما ذا أسجد أنا النار لآدم الطين؟!.

و هنا لك آيات اخرى صريحة في القفزة الطينية لآدم ك‏ «إِنَّ مَثَلَ عِيسى‏ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (3: 59) و لزام الممثل به أن يكون أمثل و أفضل فيما يمثل، و مادة المماثلة بين عيسى و آدم هي اختراق العادة في خلقهما فليكن آدم دون أبوين ليمثل به عيسى المخلوق من أم، و ليس ذلك إلا خلقه قفزة من تراب، و أما الخلقة التكاملية فليست خارقة فلا مماثلة فضلا عن كون آدم أمثل، فإنما «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ» (55: 14) و هل الفخار يصنع الفخار إلّا من طين، فكذلك فخّار فخار الإنسان خلقه من طين.

و اما آية الاصطفاء «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ» (3: 33) فلا تدل على ما يهواه الهاوون الغاون، ان آدم أبا هذا البشر كان بين أوادم فاصطفاه ربه لإنسان البشر، و جعله رسولا إليهم، حيث الاصطفاء يكفيه انه كان بين حواء و سائر الجن و الشياطين، فاصطفاه رسولا إليهم بعد العصيان و التوبة و الاهتداء: «وَ عَصى‏ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى‏، ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى‏» (30: 122).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فكونه مفعولا لخلقت وحيدا لا يصح حيث الصلة لا بد لها من ضمير الى الموصول، او انه مفعول ثان اوله محذوف «خلقته طينا» هو عكس الواقع انه خلق طينا إياه، لا خلقه طينا، او انه مفعول أول تأخر «خلقت طينا إياه» و لو انه صحيح فغير فصيح، او ان «طينا» منصوب بنزع الخافض، و هنا موضع اللبس فلا ينزع الخافض فإن نزعه يخلف النزاع. فلا مجال في أدب القرآن إلا كونه حالا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 252

و مهما كانت في سائر القرآن آيات تتشابه احتمالا للتكامل، فهي متشابهة ترجع الى أمثال هذه المحكمات‏ «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ»! فلا مجال لخلق آدم- على ضوء القرآن- إلّا القفزة الطينية، اللّهم إلا لمن يكفر بالقرآن، ام لا يفكر فيه فيهرف بما لا يعرف ناسبا له الى القرآن! بما تأثر من تخيلات دارونية اماهيه، تحميلا لها على متشابهات من الذكر الحكيم، متغاضيا عن محكمات القفزة الطينية اليقينية.

و لئن قلت إن شيطنة العقيدة تضرب الى شيطنة التفهم عن خلق آدم، و «خَلَقْتَ طِيناً» من اجتهاد الشيطان؟.

فالجواب: ان الرحمان ليس ليصدق الشيطان فيما يكذب و إلّا أصبح القرآن البيان كتاب الشيطان، فلا تجد في القرآن استعراض ضلالة إلّا في إعراض و ابطال كما هو قضية كتاب الهدى و إلّا أصبح من كتب الضلال، فهنا السكوت عن إبطال‏ «خَلَقْتَ طِيناً» و من ثم في آيات تناظرها التصريح بطينية آدم برهان لا مردّ له على تصديق لقوله أكيد، فليست كل مقالات الشيطان باطلة، و انما يخلط حقا بباطل إضلالا، و ليس يستطيع الشيطان أن يكذب ربه فيما خلق و في مواجهة خاصة «خَلَقْتَ طِيناً»! ثم اللّه هو القائل‏ «لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ» (38: 71) لخصوص آدم‏ «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ» (23: 12) له و لبنيه حيث النطفة سلالة من طين، كما و أن طين آدم كان سلالة من طين.

ثم الشيطان و إن لم يكن من الملائكة إذ «كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» (18: 15) و لكنه كان في زمرتهم تقدسا و عبودية للّه فشمله الأمر كيانا و إن لم يشمله كونا، كما و لم يعترض هو بذلك على ربه فيما اعترض،

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 253

ثم و «إِذْ أَمَرْتُكَ» (7: 121) دليل خاص على أمره و «قلنا للملائكة يدلنا انه كان ضمن الملائكة.

و السجود هنا كما فصلناه في البقرة و الجن و يوسف كان سجود شكر و لم يكن المسجود آدم، و إنما «اسْجُدُوا لِآدَمَ» سجودا للّه لما أنعم عليهم من آدم معلما «قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ»، فلا أن آدم كان قبلة لهم حيث السجود هو الى القبلة لا لها و هنا «لآدم» و لا أنه مسجود فانما هو اللّه و آدم مسجود له: و لأجله، فالسجود له قد يعني أنه مسجود كما اللّه، أو انه سبب للسجود كالشكر للّه بما أنعم و رزق كما تقول: سجدت لرزقي- لولدي إمّا ذا.

قالَ أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62).

هنا يتهدد إبليس ربه في ذرية آدم باحتناك ذريته فتزول هذه الكرامة حيث يجعلهم في احتناكهم كمثله ام هم أضل سبيلا، فينقض في زعمه الكرامة الربانية لآدم حيث ينتقص من تلكم الكرامة ... و كما انتقض فترة في عصيان آدم.

«قال» إبليس مخاطبا ربه: «أ رأيتك» أ رأيت نفسك «هذا» الطين الحقير الهزيل الذليل‏ «الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ» و قد «خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»! أ رأيتك تبقى هذه الكرامة؟ «لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ»؟

كلّا فانني إن أخرت و أمهلت‏ «لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا»:

أنت كرمته عليّ لأنه يعبدك اكثر مني، و انا اكرّم نفسي عليه حيث احتنك ذريته ... فيعبدونني أنا تاركين عبادتك! نرى قصة إبليس في آيات سبع، تشترك في أمر الملائكة بالسجود لآدم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 254

و إبلاس إبليس، حيث استقل كيان آدم المخلوق من طين، و استغل ناريته في إبلاسه عن السجود له، ثم تأتي بما تهدّد إبليس ذرية آدم باحتناك ذريته إلّا قليلا، و ان‏ «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ، قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ» (7: 18) و «لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ: إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ» (15: 43).

«وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» فيما هدد ذريته‏ «فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (34: 20)! لا لأنه أقوى منهم ف‏ «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً» بل لأنهم اغوى منه رغم انهم أقوى حجة و أحجى!.

إنه طالب ربه إنظاره الى يوم يبعثون‏ «قالَ أَنْظِرْنِي إِلى‏ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» (7: 15) فهل إلى يوم يبعثون؟ و «مِنَ الْمُنْظَرِينَ» يلمح إلى أنهم عدة، فمن هم؟ و حتى متى؟ و في (ص) «وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى‏ يَوْمِ الدِّينِ: قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى‏ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ: إِلى‏ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» (81).

و قد تلمح لعنته الى يوم الدين أنه الوقت المعلوم‏ «1» و قد يبعده ألّا تصريحه في سائر القرآن بإجابته الى يوم الدين، و إنما «إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» ام و «إِلى‏ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و علّه لان إنظاره له مرحلتان، إنظار اوّل الى يوم يقوم القائم (عليه السلام) حيث يأخذ حريته في مجاله الأوسع‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). حيث اللعنة الى يوم الدين هي جزاء الشيطنة الى يوم الدين و قد تحققت اللعنة فلتتحقق كذلك الشيطنة الى يوم الدين، مهما خفت منذ قيام القائم لقوة في دولة الايمان و للمؤمنين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 255

احتناكا لذرية آدم، و انظار ثان منه الى يوم القيامة الكبرى و لا يحسب له حساب، حيث الدولة الحقة الإلهية لا تفسح له مجالا فسيحا و لان الشيطان ربط احتناكهم إلا قليلا بإنظاره الى يوم الدين، و «صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» فهذه تلميحة اخرى انه منظر الى يوم الدين.

و لماذا يربط احتناكه إلّا قليلا بذلك الإنظار و هو محتنك ذريته و ان انظر ساعة؟ ... لأنّ «الا قليلا» لا يتحقق في حسابه الا في إنظاره إلى يوم الدين، فلو انظر أقل منه فقد يتفلت كثير عن سلطانه فيما ليس له سلطان، فهو بحساب كل زمان و مكان يحتنك ذريته إلّا قليلا حسب هذا المجموع، فلو خرج شطر من زمان او مكان لاختل ميزان الشيطان و لم ينضبط في المجموعة «إلا قليلا» مهما انضبط بالنسبة للشطر الذي انظر فيه.

و قد ينصدم «إلّا قليلا» بزمن القائم المهدي (عليه السلام) و اللّه العالم! ثم الاحتناك قد يعني افتعالا من الحنك: لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها، غير ممتنعة على قائدها، استيلاء عليهم و ملكة لتصرفهم كما يملك الراكب الحمار حماره، بثني العنان تارة و بكبح اللجام أخرى.

أم يعني: لألقين في إحناكهم حلاوة المعاصي حتى يستلذوها و يرغبوا فيها و يطلبوها.

او: لأستأصلن ذريته بالإغواء، و لأستقصين إهلاكهم بالإضلال، حيث اتباعهم غيّه، و طاعتهم امره يؤولان بهم الى موارد الهلاك و عواقب البوار.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 256

او: لأضيقن عليهم مجاري الأنفاس من إحناكهم بإيصال الوسوسة لهم، و تضاعف الإغواء عليهم، يقال: احتنك فلان فلانا إذا أخذ بمجرى النفس من حنكه فكان كالشبا في مقلته، و الشجا في مسعله» «1».

او أنها كلها معنية تجمعها احتناكه لهم كالحمار حيث يؤخذ بحنكه فينقاد حيث يقاد احتناكا فطريا- عقليا- فكريا- عقيديا- عمليا- سياسيا- اقتصاديا إمّا ذا حيث الشيطان يحتنك كلّا حسب المكنة و الاستطاعة بما عنده من هذه و تلك، و على أية حال إنه يحقق نصيبه في كلّ باستحمار يناسبه بعلم او مال او مقال أمّاذا، و «قليلا» يعني المنحسرين عن احتناك الشيطان، المنحصرين باللّه و في اللّه فلا ينجو عن ذلك الاحتناك- قلّ او كثر- إلا القليل.

و ترى من القليل المستثنى من احتناك الشيطان؟ هناك قلة مخلصة لا تشملهم أية غواية علمية او عملية او عقائدية أماهيه‏ «قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» (38: 83) ثم له سلطان أيا كان على غير المخلصين: «إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ» (15: 42) ففي كل غواية سلطان للشيطان من سيئة صغيرة الى كبيرة و الى كفر مطلق، مهما اختلف سلطان عن سلطان، فمن يتبع الشيطان كان للشيطان عليه قدر اتباعه سلطان، فمنهم من ينجو بتوبة او شفاعة او رجاحة الحسنات او ترك كبائر السيآت، و منهم من لا ينجو إلا دخولا في النار لفترة طالت ام قصرت ثم يخرج الى الجنة، و منهم من يخلد بخلود النار ثم يفنى بفناء النار «وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ».

فلا ينجو من سلطان الشيطان ككل إلّا فريق من المؤمنين لا كلهم:

«وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (34:)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). بين القوسين منقول عن مجازات القرآن للسيد الشريف الرضي ص 302- 203.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 257

20) فلم يقل «إلا المؤمنين» و هذه الفرقة من المؤمنين هم المعنيون بآية النحل‏ «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى‏ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (16:) 99) إيمانا يتوكل فيه على اللّه، فبالإيمان يخلص و بالتوكل يصبح من العباد المخلصين فليست هذه القلة إلّا المعصومين! و هم عباد اللّه حقا إذ لا نصيب منهم للشيطان‏ «إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَ كَفى‏ بِرَبِّكَ وَكِيلًا» (17: 65).

فالشيطان بين سلطان مطلق و احتناك لبني الإنسان، و بين عباد مخلصين ليس له عليهم سلطان، ثم بينهما عوان للشيطان عليهم سلطان قل او كثر.

و ترى ذلك الاحتناك يخص بني آدم دون سواهم من المكلفين حيث النص: «لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا»؟ ... ان الشيطان يطمح في احتناك ذريته كأصول لدعوته، انتقاما من تكريم آدم عليه و لأنه شيطان، فهو شيطان بالنسبة للمكلفين كافة كما الآيات الأخرى تشملهم ف‏ «إِنَّ عِبادِي ...» لا يخص بني آدم! قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (63).

«اذهب» أمر ليس دفعا الى الإضلال لا تكوينا و لا تشريعا، بل هو سماح و إنظار يتبعه إنذار «فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ...» فهو امر تهديدي في معنى أشد النهي تشريعيا لمن لا يحن الى هدى و لا يرجى منه الاهتداء فيطرد تحديا، و تهديدا، مهما يحمل إمهالا تكوينيا كما في نظائره: «قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَياةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ» (20: 97).

و الجزاء الموفور هو الوفاق وفر العدل، دون أن ينقص ما يستحقونه شيئا أو يزيد، و قد يعني أنهم مهما كثروا فجهنم لهم جزاء موفور لا تضيق‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 258

بهم‏ «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ».

و ترى إن جهنم جزاء لكل من تبعه في أية تبعة؟ و هنا لك غفرانات بتوبات ام شفاعات او ترك كبائر السيآت او فعل الحسنات ام ماذا! الجواب أن هؤلاء ليسوا أتباع الشيطان، و إنما هم من كانت حياته حياة التبعية للشيطان مهما كانت له حسنات ام ماذا، فرجاحة السيآت جزاءها جهنم مهما خرج عنها باستحقاق ام خلد فيها باستحقاق.

«اذهب» و حاول ما استطعت في احتناكهم فلا تملك منهم إلا كيدا، و قد ملّكوا عقولا و زوّدوا بآيات الحق صدقا، برسالات دواخل الذوات و خوارجها، فهم أقوى منك في هذا الميدان، إلّا من تغافل عن طاقاته، و تجاهل عن بيناته‏ «وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ» هذه النعمة القوة بسوء اختيارهم.

و ترى لماذا «جزاءكم» خطاب الحاضرين و هم غيّب و حاضر الخطاب هو إبليس؟ ... لأنهم أيا كانوا و أيان فهم حضور عند اللّه دون غياب، قبل أن يوجدوا و بعده، أحياء و أمواتا، و ان غائب الصيغة لا يشمله و هو حاضر «جزاءهم» و حاضرها تشمله و إياهم، ثم و حاضر الإنذار أوقع من غائبه.

وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً (64).

آية عديمة النظير تحمل فيما تحمل افتعالات الشيطان في أوامر اربعة لا تعني إلّا ما عناه «اذهب» دون دفع تكويني او تشريعي، و إنما سماح و إنظار و أنه لا يمنع تكوينا مهما منع تشريعا: «فان جهنم جزاءكم»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 259

و ترى إن اللّه يدله على موارد إضلاله؟ كلا! و إنما يدلنا على مجاري ضلاله و مناهل اعتقاله.

و تحتصر الآية فيما تختصر قدر المستطاع من كيد الشيطان، و لكي نكون على نبهة و اهبة في مواجهته بما زودنا من طاقات، و تزيدنا نجاحا في هذا النضال مواعيد ربنا «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا» (19: 63) «إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَ كَفى‏ بِرَبِّكَ وَكِيلًا».

فهناك خطوة إبليسية اولى: «وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ»:

فما هو صوته و ما هو استفزازه بصوته؟.

الاستفزاز هو الاستخفاف الإزعاج من الفز: ولد البقرة لما تصور فيه من الخفة كما يسمى عجلا لما تصور فيه من العجلة، و لا يحمل على العصيان و لا يحتنك للشيطان إلّا من يستفز استخفافا عن ثقله، و كما ان فرعون‏ «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ» (43: 54) و أراد ان يستفز بني إسرائيل فثبتّهم موسى‏ «فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً» (17: 103) و كادوا ليستفزوا الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و لكن‏ «وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا» (17: 76).

ليس للشيطان ان يستفز عباد الرحمن بعقلية راجحة او بحجة و وعد الصدق، و انما بما يزين لهم في الأرض: «قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (15: 40).

و للشيطان صوتان يستفزان، صوت يلهي بما يشهيّ من غنى و موسيقا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 260

ام ماذا؟ «1»، فمهما لا يسمع منه نفسه، يحمل من يحتنكه على صوته استفزازا لنا.

ثم و صوت يحمل و عودا في غرّة و مكيدة، و لا يستفز بهما إلّا الأخفّاء في عقولهم و ايمانهم و في اي حقل من حقولهم المستخفة المتخاذلة، و الصوت قد يلهي بنفسه سواء بلفظ له معنى حق أو باطل، أو لا يعني ايّ معنى، كالأصوات الخاصة بالمراقص و سائر اللهو، فلهو الثالث ذو بعد واحد و الثاني اثنين و في الاول بعد بعيد فان فيه مهانة للحق كأن يقرء القرآن بصوت يناسب الرقص، و امّا الصوت غير الخاص باللهو، فقد يعني معاني واعظة و مذكرة فأحسن، او معاني مضللة و باطلة ملهية فقبيح، او معان عوان فعوان لا ممدوحة و لا مذمومة.

ثم المعنى المضلّل الملهي بصوت لا يلهي هو ذو بعد واحد بلهو المعنى، فاللهو عما يعنيه الإنسان في دينه و دنياه الى ما لا يعنيه او يعني ضلاله و يلهيه عن اللّه، إنه محرم أيا كان، لفظا و معنى او هما معا، و تختلف دركاته باختلاف دركات اللهو.

و الاستفزازات الشيطانية كلها محرمة، سواء أ كانت شهوانية ام عقائدية- ثقافية- اجتماعية- سياسية- اقتصادية و حربية إمّا ذا من استفزاز الاستخفاف للثقالة الإنسانية فاحتناك و استحمار و هنالك تقع الطامة الكبرى! إذا فكل صوت مستفز عما يعنيه الإنسان في مفترضاته الإنسانية و الإسلامية الى ما يعني ضلاله او ما لا يعنيه، تشمله «صوتك» و هي كافة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدرر المنثور 4: 193- اخرج سعيد بن منصور و ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله‏ «وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ...» قال: استنزل من استطعت منهم بالغناء و المزامير و اللهو و الباطل ..

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 261

الملاهي التي تسمع، من غناء ملهية و موسيقا اماهيه؟ و هي كلها صوت الشيطان و إن تسمعها عن انسان.

و لأن استفزازهم بصوته بحاجة الى تكريس القوات المضلّلة، إذ ليس كل انسان بالذي يستفز بصوت الشيطان إلّا بمعدات، فهنا لك خطوة اخرى.

«وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ» خطوة ثانية إبليسية لمن لا يحتنك بصوته: فالخيل و الرجل هما الجند راكبا و ماشيا، و علّهما كناية عن صورتي الجيش الشيطاني من راكب في نضاله الإضلال يسرع، و من ماش يبطئ، فللشيطان جنود يحملون دعوته و دعايته من الجنة و الناس الى الجنة و الناس: «فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ: وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ» (26:) 97) من ذريته الجنة الشياطين: «أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» (18: 50) و من شياطين الإنس: «وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ ...» (6: 12).

فالشيطان يستفزهم بصوته و يجلب عليهم بخيله و رجله من شياطينه، و الإجلاب هو الصيحة بقهر، فمن لا يستفزه صوت دون صيحة، يصيح عليه بقهر باذاعاته العدة التي يحملها خيله و رجله، صيحات على مسامع آذانهم و عقولهم و قلوبهم و لحد الاستفزاز، و هنا لك دركات لهذه الصيحات كما يقتضيها مختلف الاستفزازات على اختلاف الاستعدادات.

معركة صاخبة تتجسم فيها وسائل الغواية و السلطة الابليسية، باستخدام مختلف الأصوات المستفزة جلية و خفية، من أية إذاعة شيطانية، إزعاجا للخصوم، و استدراجا لهم للفخ المنصوب لهم، فإذا استفزوا الى العراء أخذهم في احتناك و استحمرهم في ذالك العراك.

«فاحذروا عدو الله ان يعديكم بدائه و ان يستفزكم بخيله و رجله::

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 262

فلعمر الله فخر على أصلكم و وقع في حسبكم و دفع في نسبكم و اجلب عليكم بخيله و قصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان و يضربون منكم كل بنان، لا يمتنعون بحيلة و لا يدفعون بعزيمة في حومة ذل و حلقة ضيق و عرصة موت و جولة بلاء» «1»:

و في ذلك الأمر الإمر استهانة بمكره، و إقلال الحفل بخدائعه، ثم و ليس له- في الحق- خيل و رجل لا نراهما، فانه خلاف العدل، و خلاف الواقع الملموس، فانما كل راكب في معصية اللّه، مرّغب فيها سواه هو من خيله و عملائه، و كل ماش فيها هكذا هو من رجله، من شياطين الجن و الإنس.

وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ خطوة ثالثة في احتناكهم باحتكاكهم في الأموال و الأولاد، فما ذا تعني مشاركتهم في الأموال و الأولاد؟ و من الأموال و الأولاد ما تختص بالشيطان و منها ما تشترك؟

هذه الشركة تتمثل في الأموال و الأولاد التي تحصل بغير حق او تصرف في غير حق، او يجمع فيها بينهما من باطل الى باطل، ام تجمّد و تكتنز بباطل.

فأية حالة باطلة في مال او ولد- و هما قوام الحياة الإنسانية- إنها شركة شيطانية، اختص بها الشيطان أم شارك فيها، كما الشرك باللّه، إذ لا يعني- فقط- ان يعبد اللّه مع خلقه، بل و ان يعبد خلقه دونه كالكثيرين من المشركين.

إن مثلث التحصيل و الصرف و الكنز للمال حراما، تماما او بعضا، كلّه من شرك الشيطان، فلشرك الشيطان- أيا كان- دركات كما لتوحيد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نهج البلاغة السيد الشريف الرضي عن الامام علي (ع).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 263

الرحمن و الايمان درجات، فأسفل الدركات في الأموال ثالوث المحرّم تحصيلا و صرفا و كنزا دون حلّ فيه، و أعلاها المحرم في واحد على حلّ فيه و بينهما متوسطات.

كما الأسفل في الأولاد هو الاستيلاد بالسفاح‏ «1» ثم التربية الشيطانية، ثم الاستعمال في مختلف الشيطنات، و الأعلى نكاح محرم على حلّ، او تربية او استعمال فيه شرك شيطان و بينهما متوسطات، و قد يشمل النكاح دون ذكر اللّه لكي يصبح الولد صالحا متحللا حياته عن شرك الشيطان‏ «2».

فأية حالة شيطانية في الأموال و الأولاد هي من شرك الشيطان أيا كان، و قليل هؤلاء الذين يتخلصون عن أي شرك للشيطان، و هم عباد اللّه المخلصون ثم المخلصون و هم قلة اللهم اجعلنا من هذه القلة.

و من شرك الشيطان بغض الامام علي (عليه السلام) حسب‏

المروي عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حيث يقول: «و الله يا علي لا يبغضك من قريش إلا سفاحيا و لا من الأنصار إلا يهوديا و لا من العرب إلا دعيا و لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 184 ح 295 تفسير العياشي عن عبد الملك بن اعني قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: إذا زنى الرجل ادخل الشيطان ذكره ثم عملا جميعا ثم تختلط النطفتان فيخلق الله منهما فيكون شركة الشيطان.

(2)

المصدر ص 185 ح 300 عن يونس بن أبي الربيع الشامي قال‏ كنت عنده (الباقر ع) ليلة فذكر شرك الشيطان فعظمه حتى افزعني فقلت جعلت فداك فما المخرج منها و ما نصنع؟ قال: إذا أردت المجامعة فقل بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو بديع السماوات و الأرض اللهم ان قضيت مني في هذه الليلة خليفة فلا تجعل للشيطان فيه نصيبا و لا شركا و لا خطأ و اجعله عبدا صالحا خالصا مخلصا مصغيا و ذريته جل ثناءك.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 264

من سائر الناس إلا شقيا و لا من النساء إلا سلقلقية و هي التي تحيض في دبرها ... «1»».

وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً ... خطوة رابعة من خطوات الشيطان الوعد الكذب الغرور، فإنه كاذب غرور.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

ملحقات الأحقاق ج 14: 655- الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج 1: 343 ط بيروت بسند متصل الى جابر بن عبد اللّه الأنصاري عن علي (ع) قال: كنا مع النبي (ص) إذ أبصر برجل ساجد راكع متطوع متضرع فقلنا يا رسول اللّه (ص)! ما احسن صلاته؟ فقال:

هذا الذي اخرج أباكم آدم من الجنة فمضى اليه علي غير مكترث فهزه هزا ادخل أضلاعه اليمنى في اليسرى و اليسرى في اليمنى ثم قال: لأقتلنك ان شاء اللّه فقال: لن تقدر على ذلك ان لي أجلا معلوما من عند ربي ما لك تريد قتلي؟ فو اللّه ما أبغضك احد الا سبقت نطفتي في رحم امه قبل ان يسبق نطفة أبيه! و لقد شاركت مبغضك في الأموال و الأولاد و هو قول اللّه في محكم كتابه‏ «وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً» فقال النبي (ص) صدقك و اللّه يا علي! الا يبغضك ... ثم اطرق مليا فقال:

معاشر الأنصار! اعدوا أولادكم على محبة علي، قال جابر: كنا نبور أولادنا في وقعة الحرة بحب علي فمن أحبه علمنا انه من أولادنا و من أبغضه اشفينا منه.

و

بإسناد متصل آخر من حبة العرفي، قال سمعت علي بن أبي طالب يقول: دخلت على رسول اللّه (ص) في وقت كنت لا ادخل عليه فيه فوجدت رجلا جالسا عنده مشوه الخلقة لم أعرفه قبل ذلك فلما رآني خرج الرجل مبادرا قلت يا رسول اللّه (ص): من ذا الذي لم أره قبل ذي؟ قال: هذا إبليس الابالسة سألت ربي ان يرينيه و ما رآه احد قط في هذه الخلقة غيري و غيرك قال (ع) فعدوت في اثره فرأيته عند أحجار الزيت، فأخذت بمجامعه و ضربت به البلاط و قعدت على صدره فقال: ما تشاء يا علي؟ قلت: أقتلك قال: انك لن تسلط علي قلت: لم؟ قال: لأن ربك انظرني الى يوم الدين خل عني يا علي فان لك عندي وسيلة لك و لأولادك قلت: و ما هي؟ قال: لا يبغضك و لا يبغض ولدك احد الا شاركته في رحم امه ليس اللّه يقول‏ «وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ»؟

و

بإسناد متصل عن جعفر بن محمد في حديث‏ عبد الرحمن بن كثير قلت جعلت فداك بأيش تعرف ذلك (يعني شرك الشيطان) قال: بحبنا و بغضنا ...

قال الحسكاني:

و الرواية في هذا الباب كثيرة و هي في كتاب طيب الفطرة في حب العترة مشروحة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 265

«عدهم» هنا يعم الوعد الخير و الوعيد الشر، وعدا يمنّيهم ترغيبا الى الشهوات: «يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً» (4:) 120) و وعيدا ترهيبا عن المكرمات: «الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا::» (2: 268).

ثم و لا يخص وعده ترغيبا و ترهيبا يوم الدنيا، بل و كذلك الأخرى، وعدا يشككهم في الآخرة، و آخر يرجيّهم رحمة اللّه فيها ام يغلّب رجاءهم على خوفهم، و ثالثا بمغفرة في شفاعة اماهيه، و قد تعنيهما فيما تعنيه‏ «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ» (7: 17) حيث الآخرة هي‏ «مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» إذ يستقبلونها متجهين إليها، و الدنيا هي «من خلفهم» إذ يستدبرونها مولّين عنها.

و وعد الشيطان أيا كان ليس إلّا غرورا فانه غرور «فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» (35: 5)- (31- 3) ..

خطوات اربع كبريات تحمل كافة الشيطنات، و هي هي مجالات واسعة النطاق للسلطات الشيطانية، لا ينجو منها إلّا عباد اللّه الخصوص، و اما عباد الشيطان فلا عنت له في تمشيتهم فيها، و العباد المشركون المشتركون يمشّيهم كما يتمشون فيأخذ نصيبه منهم كما يحتنكون، ثم يتخلص العباد المخلصون باللّه و المخلصون للّه:

إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَ كَفى‏ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65):

و لو لا الوكالة الربانية ل «عبادي» المخلصين المختصين باللّه لم يتخلصوا عن خطوات الشيطان، فلا كفاية للإنسان أيا كان إلّا بهذه الوكالة.

ف «عبادي» تلمح بذلك الإختصاص، أنهم هم الذين وقفوا أنفسهم في اللّه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 266

لعبادة اللّه، و طاوعوا في ذوات نفوسهم لطاعة اللّه، و استعاذوا في كل ذلك باللّه، بعد ما قدموا طاقاتهم كلها لسلوك سبيل اللّه، فمنهم من اصطفاهم اللّه برسالاته فعصمهم عن الأخطاء كلها، تلقيا من اللّه و إلقاء و تطبيقا.

فهم معصومون في هذا المثلث البارع ...

و منهم من أيدهم و سدّدهم دون تلكم العصمة البارعة فخلصهم من سلطان الشيطان دون العصمة العلمية، و قد يعنيهما «عبادي» هنا مهما اختص المعصومون في مجالات أخرى: «وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» (15: 40) كدرجة اولى و رتبة أعلى من «عبادي»، و من ثم درجة ثانية ليسوا من الغاوين مهما لم يكونوا من المخلصين: «إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ» فعباد اللّه الخالصون للّه مخلصين كانوا ام مخلصين ليسوا من الغاوين، فلا سلطان عليهم من شيطان، «1» و لا على غيرهم إلّا دعوة و دعاية متحللة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 185 ح 302 في تفسير العياشي عن جعفر بن محمد الخزاعي عن أبيه قال: سمعت أبا عبد اللّه (ع) يذكر في حديث غير خم‏ انه لما قال النبي (ص) لعلي (ع) ما قال و اقامه للناس صرخ إبليس صرخة فاجتمعت له العفاريت فقالوا: سيدنا ما هذه الصرخه؟ فقال: ويلكم يومكم كيوم عيسى و اللّه لأضلن فيه الخلق، قال: فنزل القرآن‏ «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ‏ «فقال: فصرخ إبليس صرخة فرجعت اليه العفاريت فقالوا: يا سيدنا ما هذه الصرخة الأخرى؟ فقال:

و يحكم حكى اللّه و اللّه كلامي قرآنا و انزل عليه‏ «وَ لَقَدْ صَدَّقَ ...» ثم رفع رأسه الى السماء ثم قال: و عزتك و جلالك لا لحقن الفريق بالجميع، قال فقال النبي (ص) بسم اللّه الرحمن الرحيم‏ «إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ» قال: فصرخ إبليس صرخة فرجعت اليه العفاريت فقالوا: يا سيدنا ما هذه الصرخة الثالثة؟ قال: و اللّه من اصحاب علي و لكن و عزتك و جلالك لأزينن لهم المعاصي حتى ابغضهم إليك قال: فقال ابو

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 267

عن البرهان: «وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ...» (14: 22) فلأن دعوته توافق الشهوة لا يطلب منه عليها دليل.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

عبد اللّه (ع): و الذي بعث بالحق محمدا للعفاريت و الأبالسة على المؤمن اكثر من الزنابير على اللحم و المؤمن أشد من الجبل و الجبل تدنوا اليه بالفأس فتنحت منه و المؤمن لا يستقل عنه دينه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 268

[سورة الإسراء (17): الآيات 66 الى 77]

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً (66) وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً (67) أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى‏ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً (69) وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى‏ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً (70)

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (71) وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى‏ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى‏ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً (72) وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (73) وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (74) إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً (75)

وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً (77)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 269

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً (66).

الرب الوكيل الكافي هو «رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ» و الإزجاء هو الدفع للانسياق، ف «ربكم» يدفع الفلك لصالح الناس ابتغاء فضله، دفعا بالرياح قوات اخرى بترولية اماهيه ل «انه كان» قبل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 270

خلقكم‏ «بِكُمْ رَحِيماً» و إزجاء الفلك هو من مظاهر الرحمة الرحيمية الربانية.

أنتم تنساقون على الفلك بتنسيق الرب، فكونوا في الحياة كلّها على النسق الذي يسوقكم الرب، و لا تدعوا من دونه أربابا، لكنكم توحدونه عند الضر و تشركون به حين النجاة.!

وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً (67).

هنا لك إزجاء رخي بغية الرحمة، و هنا اضطراب عتي، مشهد لطيف عطيف يجمع بين الرخاء الرجاء، و مكابدة العناء، حيث تحس القلوب الواجفة المتعلقة بكل رجفة و هزة كالريشة الصغيرة الهزيلة في مهب الرياح القاصفة على ثبج البحار و الموج الجبار! «وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ» في خضمّ هذه الرحمة المزجية «ضل» عن قلوبكم و نفوسكم و تعلقاتكم‏ «مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ» حيث القلوب حالة الرخاء متعلقة باللّه و سواه، تحسب أن لمن سوى اللّه دخلا في نجاة و نجاح، فإذا وقع في واقع منقطع عمن سوى اللّه كالبحر الملتطم، ينسى الركب في الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة و سناد إلّا اللّه، إذ لا يرى إلّا الأمواج، و حينذاك تظهر بارقة الفطرة المتعلقة في عمقها باللّه، و يبرز رجاء واحد ليس إلّا باللّه، رغم خفاءه عن الأبصار، و جلاء سواه للأبصار، فهنا تتفتح البصيرة المغشية و تغمض الأبصار، و يظهر الرب للبصائر كالشمس في رايعة النهار!.

«فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ» ... فحين تنجلي الغمرة ينمحي نور الفطرة حيث الإنسان هو الإنسان كأن كيانه النسيان، يضل هنا عنه اللّه، كما ضل عنه قبله من سواه، حيث تتقاذفه الأهواء، و تتجاذبه الى غير اللّه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 271

فيعرض عن اللّه.

«وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً» كأنه يضرب الى عمق الماضي في عمق الذات، رغم أن الذات الفطرة متجهة الى اللّه، و لكنما اللّذات و الشهوات تحول دون المقام في مقام الذات! ..

و هكذا يكون الإنسان النسيان، يذكر ربه وحده حين البأساء و الضراء، و ينساه حين النعماء، فليذكر أنه هو ربه لا سواه، حين يضل من يدعوه إلّا إياه.

هذا البحر الملتطم نجوتم من ضره الى بره ثم أعرضتم، فهل أنتم آمنون من ضر البرّ؟! أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68).

فأين الأمن‏ «وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا» (29:) 40) و كما في قارون: «فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ» (28: 81).

ليس هول الغرق منحصرا في البحر منحسرا عن جانب البر، فأنتم الآن نجوتم عن البحر الى البر فما ذا يأمنكم‏ «أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ» فلما ذا أعرضتم عن اللّه و أنتم بعد عرضة الخسف و هو أشد و أنكى؟ ...

أنتم في قبضة اللّه في البحر و البرّ، و لا أمن عن غرق في البحر أم خسف بزلزال و بركان في البرّ «أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً»: ريحا مهلكة ترمي بالحصباء و الحصا، عاصفة بركانية ام ماذا؟ تقذفكم بالحمم و الماء و الطين و الأحجار! فأنتم الهزالى الأذلّاء في مثلث الغرق بحرا و برا ام جوا «ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا» ينجيكم عن غرقكم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 272

هب إنكم أمنتم البرّ حالا كما امنتم البحر ترحالا فما ذا يامنكم ان يعيدكم الى ضر البحر؟.

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى‏ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً (69).

وهب إنه أمهلكم في البحر فما أغرقكم، ثم أمهلكم في البر فما خسف بكم و لا أرسل عليكم حاصبا، فكيف تأمنون ان يعيدكم في البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح تقصف الصواري و تحطّم السفن، ثم لا تجدوا لكم علينا بقاصف البحر تبيعا يلاحق في نجاتكم؟

أيتها الحشرة الهزيلة الذليلة، العائشة بين أخطار الغرق و الخسف و الحاصب و القاصف، بحرا و برا و جوا، لماذا هذه الغفلة الحمقاء، هذا الكفران المتواصل في النكران و العصيان، و هنا لك القدرة الإلهية تتصدى لك ثم لا تجد عليه وكيلا و لا تبيعا؟! وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى‏ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا (70).

آية عديمة النظير في صيغة التعبير، إذ تحمل بعدين بعيدين للمحتد الإنساني و منزلته على «من خلق» ككل: «كَرَّمْنا ... فَضَّلْناهُمْ ...»!.

كرامة مطلقة بين «من خلق» في تأكيدات ثلاث: «ل» «قد»- «كرمنّا»: فالتكريم يفوق الإكرام عدة و عدة، ثم «و لقد» يؤكده مرتين، بينها الملائكة المعصومون‏ «عِبادٌ مُكْرَمُونَ» (21: 26) خلوا عن هذه الثلاث، و من ثم «نا» في كرمنا هذه حيث تعني جمعية الصفات.

و في سائر القرآن تصريحات و تلميحات بهذه الكرامة العليا للإنسان، فانه في التين‏ «فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» و في الأنبياء «فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 273

و في آيات عدة مسجود الملائكة أجمعين، ثم لا نجد للملائكة و لا تلميحة على هذه الكرامة المطلقة! أليس لأنه في أعلى قمم القوامة و أحسنها بكلّه و جزئيه، و ان خلقه في سائر الخلق استوجب توصيف الخالق ب‏ «أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» و كما هو أحسن من سائر الخالقين في خلقه أجمعين.

و لو لم يكن مفضلا على الملائكة أجمعين لما أمروا ان يسجدوا له أجمعين، و قد أمروا! و لان في صلبه أهل بيت الرسالة المحمدية (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و من حذى حذوهم من المؤمنين‏ «1».

ذلك التكريم الرباني لبني آدم كما يشمل جزئيهم قلبا و قالبا في أصل الخلق، كذلك في كرامة التقوى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ» فلو لم يكن فيهم الأتقى لم يكن ذلك التكريم:

«و الملائكة خدام المؤمنين» «2»

ثم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 188 ح 317 علل الشرايع عن الامام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص) حديث طويل يقول فيه‏ «فإن الملائكة لخدامنا و خدام محبينا. يا علي! الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا بولايتنا. يا علي لو لا نحن ما خلق الله آدم و لا حوا و لا الجنة و لا النار و لا السماء و لا الأرض و كيف لا نكون أفضل من الملائكة و قد سبقناهم الى معرفة ربنا و تسبيحه و تقديسه ان الله تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه و امر الملائكة بالسجود تعظيما لنا و إكراما و كان سجودهم من الله عز و جل عبودية و لآدم إكراما و طاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة و قد سجدوا لآدم كلهم أجمعون؟

(2)

المصدر 189 ح 320 في اصول الكافي عن أبي جعفر (ع) قال: ما خلق الله عز و جل خلقا أكرم على الله عز و جل من مؤمن لأن الملائكة خدام المؤمنين و ان جوار الله للمؤمنين و ان الجنة للمؤمنين و ان الحور العين للمؤمنين ...»

و

في الاحتجاج عن النبي (ص) يا رسول اللّه (ص) أخبرنا عن علي هو أفضل ام ملائكة اللّه المقربون؟ فقال رسول اللّه (ص): و هل شرفت الملائكة الا بحبها لمحمد و علي و قبول ولايتهما؟ انه لا احد من محبي علي (ع) نظف قلبه من الغش و الدغل و العلل و نجاسة الذنوب الا كان اطهر و أفضل من الملائكة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 274

و يشمل النشأتين الدنيا و الآخرة، تكريما في مثلث قاعدته التقوى، و هي تتبنى تكريمه تكوينا، و تنتج تكريمه في ميزان اللّه دنيا و عقبى!.

و أهمّ المظاهر في هذا التكريم نراه في «حملناهم- رزقناهم- فضلناهم» و إن كان الأخير يحمل حملهم و رزقهم أم ماذا؟.

وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حملا فيهما مع بعض على سفينتنا الفضائية في خضمّ البحر: الفضاء المحيط: «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً، أَحْياءً وَ أَمْواتاً» (77: 25)! و حملا في البحر لبني آدم كلهم في الفلك المشحون: «وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (36: 41) حملناهم و هم ذرية في تلكم الأصلاب: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ» (69: 11).

و حملا فيه لركاب البحر على مرّ الزمن على السفن فوق البحرية و تحت البحرية، و حملا في البر بمختلف الحمولة الحيوانية و سواها «وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ» (16: 8) فهم في رباعية الحمل برا و بحرا ام ماذا؟.

وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ‏ ما تستطيبه النفس السليمة الإنسانية مأكلا و مشربا و مسكنا و منكحا إمّا ذا من متطلبات الحياة، أو أنها ككلّ حياة طيبة في كافة جنباتها: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى‏ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً» (16: 97) و من أفضلها طيبة النفس، و طيبة الذرية: «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» (3: 38) و أن يصبح الإنسان كلمة طيبة «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ» (14:) 24): فمن أفضل الرزق الطيب العلم‏ «1» و قد فضل فيه الإنسان على‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 178 ح 307 تفسير القمي عن أبي جعفر (ع) ان اللّه لا يكرم روح‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 275

الملائكة كما في آدم، فرزق الإنسان كحيوان مفضل على سائر الحيوان، و رزقه كإنسان مفضل على من في عالم الإمكان، اللّهم إلّا من يوازيه من القلة في هذه الكرامة.

وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى‏ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا هنا تفضيل لبني آدم على كثير، فهناك قليل لم يفضّلوا عليهم، فمن هم، و هل هم أمثالهم في الفضل ام هم مفضّلون عليهم؟ ...

آية التين حيث تجعل خلق الإنسان في أحسن تقوم، و هي تصريحة قيّمة انه لا أحسن منه، و لو لا آية التفضيل لكان الإنسان في قمة لا توازى، و لكنها تستثني قليلا، فهم كالإنسان في أحسن تقويم، و لا نعرفهم حتى الآن من هم.

و يكفي أمر الملائكة بالسجود لآدم، و أن في ذريته آل بيت الرسالة المحمدية، أنهم ككلّ أفضل من الملائكة.

و لاننا لا نجد هذه القلة هنا فهم من ساكني سائر الأرضين ام سائر الكرات كما لمحت لهم آية الشورى‏ «وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَ هُوَ عَلى‏ جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ» (45: 29).

ذلك التكريم و هذا التفضيل يجعلان الإنسان في قمة التكوين بأحسن تقويم في صورته و سيرته، لو تبنّاه بطاقاته و إمكانياته لأصبح في أحسن تقويم ثان، كما أنه في تغافله و تجاهله عن أحسنه في التكوين يرد إلى أسفل سافلين، فلا أحسن منه إن أحسن، و لا أسفل منه ان سفل!

«فمن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الكافر و لكن كرم أرواح المؤمنين و انما كرامة النفس و الدم بالروح و الرزق الطيب هو العلم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 276

غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة و من غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم» «1».

فالصورة الانسانية ككلّ بجزئيه‏

«هي أكرم الصور على الله» «2»

ف‏

«الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي و صورني فأحسن صورتي و زان مني ما شان من غيري و اكرمني بالإسلام» «3».

و كونها أكرم الصور تلمح أن القليل الموازي للإنسان هو ايضا في تقويم الإنسان مهما سمي باسم الإنسان ام سواه، إلّا ان لأهل بيت الرسالة المحمدية فضيلة تفوق الفضائل، فلا أحد يساويهم أو يساميهم في العالمين.

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71) وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى‏ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى‏ وَ أَضَلُّ سَبِيلًا (72).

تلكم الكرامة و الفضيلة سلبا و إيجابا في تبني العقائد و الأعمال تسرح في مسرح القيامة، مشهد يشهد فيه كل أناس ما قدم و ما أخر، فانه يوم الطامّة التامة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر ح 311: في علل الشرايع باسناده عن عبد اللّه بن سنان قال‏ سألت أبا عبد اللّه (ع) فقلت: الملائكة أفضل ام بنو آدم؟ فقال قال امير المؤمنين (ع): ان اللّه عز و جل ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة و ركب في البهائم شهوة بلا عقل و ركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله ...».

(2)

المصدر ح 311 في كتاب الخصال فيما علم امير المؤمنين (ع) أصحابه: إذا نظر أحدكم في المرآة فليقل ...

(3)

نور الثقلين 3: 187 ح 308 تفسير القمي عن علي (ع) في حديث‏ «... فاما ملك منهم ففي صورة الآدميين و هي أكرم الصور على الله ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 277

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» أناس الخير الناس يدعون بإمام الخير، و أناس الشر النسناس يدعون بإمام الشر! ففي واجهة الخير رسول كل أناس إمامهم، و خلفائه أئمتهم، و كتاب شرعتهم إمامهم، و كتاب اعمالهم إمامهم و كما

يروى عن إمام الأئمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «يدعى كل قوم بإمام زمانهم و كتاب ربهم و سنة نبيهم» «1»

و كذلك واجهة الشر، حيث الإمام هو من يؤتم به إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

فكلّ رسول من اولي العزم الخمس يدعى به اناسه، و كلّ إمام من خلفاء الرسول (عليهم السلام) يدعى به قرنه كما يدعى الكل برسولهم‏ «2»، و كل كتاب من الخمس يدعى به أتباعه، كما و كل كتاب من كتب الأعمال يدعى به ناسه و اناسه و كتاب السقوط و النجاح نتيجة حساب الأعمال.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 194- اخرج ابن مردويه عن علي (ع) قال قال رسول اللّه (ص) «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» قال: يدعي ... و أخرجه في عيون الأخبار عن الرضا (ع) عنه (ص) ...

(2)

نور الثقلين 3: 190 ح 325 في محاسن البرقي ... عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبي عبد اللّه (ع) «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» فقال: يدعوا كل قرن من هذه الأمة بإمامهم. قلت: فيجي‏ء رسول اللّه (ص) في قرنه و علي (ع) في قرنه و الحسن في قرنه و الحسين في قرنه الذي هلك بين أظهرهم به قال: نعم.

أقول: و لكن قرن الرسول يعم القرون كلها و هم الأمة الاسلامية اجمع كما في 329

عن عبد اللّه بن غالب عن أبي جعفر (ع) قال: لما نزلت هذه الآية «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» قال المسلمون يا رسول اللّه (ص) الست امام الناس كلهم أجمعين! قال: فقال رسول اللّه (ص) انا رسول اللّه الى الناس أجمعين و لكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من اللّه من اهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون و تظلمهم أئمة الكفر و الضلال و أشياعهم فمن والاهم و اتبعهم و صدقهم فهو مني و معي و سيلقاني ألا و من ظلمهم و كذبهم فليس مني و لا معي و انا منه برى‏ء.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 278

أئمة خمس لمن هي له، و اربعة لمن عاش رسوله دون خلفائه.

الرسول لكل ناس هو الإمام الناطق الأصيل و كتابه هو الإمام الصامت الأصيل ثم خلفاء كل رسول هم الفرع الناطق‏ «1»، و سنته هي الفرع الصامت، و من ثم كتاب الأعمال إمام صاحبه حيث يأتم به يوم الجزاء، فالأعمال أئمة تقود أصحابها بخيرها و شرها في الآخرة الأوفى و في الدنيا أحيانا، كما كتب النجاح و السقوط أئمة.

و قد نطق القرآن بامامة كلّ من الخمسة، فكتاب الأعمال من إمام مبين: «وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ» (36: 12) و كتاب النجاح او السقوط: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ‏ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ» (69: 19) و 25).

و كتاب الوحي إمام: «وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى‏ إِماماً وَ رَحْمَةً» (46:) 12) فباحرى القرآن إمام بل هو إمام الأئمة من سائر الوحي.

و رسول الوحي امام: «إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً» (2: 124)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

ملحقات الأحقاق 14: 637 الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج 1 ص 416 ط بيروت عن الحسين بن سعيد عن الحسن بن سماعة عن حبان عن ابان بن تغلب‏ سألت جعفر بن محمد (ع) عن قول اللّه تعالى‏ «وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً» قال: نحن اهل البيت‏

و بسند آخر عن أبي هارون عن أبي سعيد في قوله‏ «وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً» قال:

علي (ع).

و فيه قدم ورد (توصيفه (ص) عليا بالإمامة بعناوين مختلفة و قد تقدم نقل الأحاديث المأثورة

عنه (ص) في انه الامام بعده‏ في 4: 86 و امام كل مسلم 4: 331 و امام الأمة 4: 93، 149، 161، 330 و امام الأتقياء 4: 118 و امام كل مؤمن و مؤمنة 4: 139 و امام من أطاع اللّه: 167 و امام القوم 4: 284 و امام المسلمين (4): 284 و امام من يدخل الجنة 4: 289 و امام الأولين و الآخرين 4: 362 و امام المتقين‏

4: 11- 20 و 99 و 284 و 334 و 381.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 279

فباحرى محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فانه إمام الأئمة من سائر حملة الوحي: «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا» (21: 73).

و ورثة الرسل أئمة بعدهم بالوراثة النيابية: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (35: 32) «1».

و لا يخلو أي زمان من إمام ناطق بالحق إما ظاهرا او غائبا:

«اللهم انك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علما لعبادك و منارا في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك و جعلته الذريعة الى رضوانك و افترضت طاعته و حذرت معصيته، و أمرت بامتثال امره و الانتهاء عند نهيه و لا يتقدمه متقدم و لا يتأخر عنه متأخر» «2».

و ترى ان إمام كل أناس هو كل من افترض عليهم طاعته و إن لم يطيعوه؟ فلا يدعى إذا باي امام ضال؟ و الدعوة تعم أئمة الهدى و أئمة الضلال! ام يدعى كل أناس بمن اعتقدوه لهم إماما و ان لم يعتمدوه عمليا؟ و الائتمام لا يخص جانب العقيدة، فانه الايمان و العمل الصالح‏ «3»! فالإمام الناطق و الصامت من هاد او مضل هو المقتدى عقيديا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 194 ح 344 عن بشير الدهان عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: أنتم و اللّه على دين اللّه ثم تلا «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» ثم قال: علي امامنا و رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) امامنا. كم من امام يجي‏ء يوم القيامة يلعن أصحابه و يلعنونه و نحن ذرية محمد و امنا فاطمة.

(2) عن الصحيفة السجادية عن الامام السجاد (عليه السّلام).

(3)

المصدر ح 327 في كتاب الخصال باسناده الى الأصبغ بن نباتة قال: أمرنا امير المؤمنين (عليه السّلام) بالمسير الى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد و تخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا الى مكان بالحيرة يسمى الخورنق فقالوا: نتنزه فإذا كان الأربعاء خرجنا فلحقنا عليا قبل ان يجمع، فبينا هم يتغذون إذ خرج عليهم ضب‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 280

و عمليا بدرجاتهما، و كتاب الأعمال هو مسجلة الصور و العقائد و الأصوات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فصادوه فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه و قال: بايعوا هذا امير المؤمنين فبايعه السبعة و عمرو ثامنهم و ارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة و امير المؤمنين (عليه السلام) يخطب و لم يفارق بعضهم بعضا و كانوا جميعا حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم امير المؤمنين (عليه السلام) فقال: ايها الناس ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أسر الي الف حديث في كل حديث الف باب لكل باب الف مفتاح و اني سمعت اللّه جل جلاله يقول‏ «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» و اني اقسم لكم باللّه ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم و هو ضب و لو شئت ان اسميهم لفعلت قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث سقط كما تسقط السقفة حياء و لوما.

و

في مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام): قال اللّه تعالى‏ «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» اي من اقتدى بمحق قبل و زكى.

و في الخرائج و الجرايح في أعلام أبي محمد العسكري قال ابو هاشم بعد ان روى كرامة له (عليه السلام) فجعلت أفكر في نفسي عظم ما اعطى اللّه آل محمد و بكيت فنظر الي و قال: الأمر أعظم مما حدثت به في نفسك من عظم شأن آل محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فاحمد اللّه أن يجعلك متمسكا بحبلهم تدعى القيامة بهم إذا دعي كل أناس بإمامهم إنك على خير» و

ح 331 في رجال الكشي عن حمزة بن الطيار قلت لابي عبد اللّه جعلني اللّه فداك لو فلقت رمانة فاحللت بعضها و حرمت بعضها لشهدت ان ما حرمت حرام و ما أحللت حلال فقال: حسبك ان تقول بقوله و ما انا الا مثلهم لي ما لهم و علي ما عليهم فان أردت ان تجي‏ء مع الذين قال اللّه تعالى‏ «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» فقل بقوله.

و

ح 345 عن إسماعيل بن همام قال الرضا (عليه السلام) في الآية إذا كان يوم القيامة قال اللّه: أ ليس عدل من ربكم ان تولوا كل قوم من تولوا؟

قالوا بلى قال: فيقول: تميزوا فيتميزون‏

و

346 عن محمد بن حمران عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: ان كنتم تريدون ان تكونوا معنا يوم القيامة لا يلعن بعضنا بعضا فاتقوا اللّه و أطيعوا فان اللّه يقول: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ».

أقول: هذه الأحاديث كلها دليل على أن إمام كل أناس هو من يأتمون به عقائديا و عمليا دونما ادعاء خاو!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 281

كما كانت و صدرت، و كتاب النجاح او السقوط هو حصيلة الحساب في كتاب الأعمال.

فالطاهر يدعى بإمام طاهر و الغادر بغادر

«يجي‏ء كل غادر بإمام يوم القيامة مايلا شدقه حتى يدخل النار» «1».

و هل الكتاب المؤتى هنا باليمين هو كتاب الأعمال؟ فيقرأه كل بصير و أعمى حجة له او عليه: «اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى‏ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً» (17: 14)؟ و هنا القراءة لمن يؤتاه بيمينه، و غيره أعمى لا يستطيع قرائته!.

ام هو كتاب السقوط او النجاح؟ و ليقرءه كلّ ساقط و ناجح: «وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ. وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ» (69: 26) و هنا الأعمى لا يقرء كتابه! او هو يقرء عذابا فوق العذاب.

او هو كتاب شرعته الإلهية حيث توجّب عليه اتباعها «فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ» يوم الاخرى كما قرءوه يوم الدنيا فهو هنا بصير كما كان هناك بصيرا- «وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ» () لدنيا) «أعمى» لم ينظر الى كتاب شرعته، او نظر و بسر و أدبر و استكبر، ام اي نظر لم تلحقه عقيدة او عمل‏ «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى‏» لا ينظر الى كتاب شرعته مهما حاول‏ «وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» إذ كان له في الدنيا أن ينظر و لم ... و ليس له هنا ان ينظر و لن‏ «2» و قد كان له في الدنيا توبة ما دام فيها أن ينظر بعد ما ترك،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 192 ح 331- الكافي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): ...

(2)

المصدر ح 358 عن ثواب الأعمال باسناده الى النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انه قال: و من قرأ القرآن و لم يعمل به حشره اللّه عز و جل يوم القيامة أعمى فيقول:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 282

و لا يفيده هنا النظر فلا ينظر، و لا ينظر و لو نظر «1».

و قد تعني وحدة الكتاب «كتابه» وحدته الشخصية فإما كتاب الشرعة او كتاب النجاح، ام وحدته في الحقيقة فيشملهما حيث النجاح او السقوط من مخلّفات تطبيق كتاب الشرعة و عدمه.

و ترى إذا كان في الآخرة أعمى فكيف يقرء كتاب عمله او كتاب سقوطه، او يترائى اهل النار و اهل الجنة؟

الجواب ان العمى هنا لك نسبية وقتية، فقد يعمى و قد يبصر و كلاهما عذاب فوق العذاب، و هو فيها أعمى القلب مهما يبصر. «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى‏، قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى‏ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً، قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى‏» (20: 97). «وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى‏ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا» (17: 97).

فمهما هم يحشرون عميا و بكما و صما، عميا، عن كتاب الشرعة، و بكما عن الحجاج و اللجاج، و صما عما يلذ، و لكنهم يرون كتاب أعمالهم و سقوطهم عذابا فوق العذاب، كما حشرهم عميا و بكما و صما عذاب فوق العذاب، و سماعهم لما يسمعون و نطقهم بما يتكلمون عذاب فوق‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

«رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى‏ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى‏» فيؤمر به الى النار.

(1).

المصدر ح 340 في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) انه إذا كان يوم القيامة يدعى كل بإمامة الذي مات في عصره، فان انتبه اعطى كتابه بيمينه لقوله‏ «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» فان اوتي كتابه بيمينه‏ «فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ ... إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ» الآية و الكتاب الامام فمن نبذة وراء ظهره كان كما قال نبذوه وراء ظهورهم و من أنكره كان من اصحاب الشمال قال اللّه‏ «ما أَصْحابُ الشِّمالِ فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 283

العذاب، فلا هم هناك صم بكم عمى ما هم هنالك، و لا هم يسمعون و يتكلمون و يرون ما هم هناك، فقد يعذبون عذابا فوق العذاب فقدانا لهذه، و قد يعذبون وجدانا لها، مهما كانوا عميا عن الحقائق الموجودة» «1».

و تراهم يقرءون كتابهم إن كانوا من أصحاب اليمين و لا يظلمون فتيلا، فهل يظلم اصحاب الشمال العمى كما لا يقرءون كتابهم؟

كلّا! «الْيَوْمَ تُجْزى‏ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» (40: 17) و قد اختص هنا أصحاب اليمين بنفي الظلم لأنهم بذلك أحق و أحرى.

و قد لا يعني‏ «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى‏» عمى من قراءة كتابه ألّا يستطيعها، و إنما عمى القلب عن الحقائق الموجودة «2» مهما قرء كتاب شرعته و أعماله و سقوطه، فالآخرة نسخة كاملة عن الدنيا باعمالها حيث تظهر فيها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الى آخر الآية

أقول: من استدلاله (عليه السلام) بقوله تعالى‏ «هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ ...» يعرف أنه كتاب الشرعة، و علما مراد ان في الآية.

(1).

نور الثقلين 3: 195 ح 350 في عيون الاخبار في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع اهل الأديان و المقالات في التوحيد كلام الرضا (عليه السلام) مع عمران و فيه: إياك و قول الجهال اهل العمى و الضلال الذي يزعمون ان اللّه جل و تقدس موجود في الآخرة للحساب و الثواب و العقاب و ليس بموجود في الدنيا للطاعة و الرجاء و لو كان في الوجود للّه عز و جل نقص و اهتضام لم يوجد في الآخرة ابدا و لكن القوم تاهوا و عموا عن الحق من حيث لا يعلمون و ذلك قوله عز و جل: «وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى‏ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى‏ وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» يعني أعمى عن الحقايق الموجودة.

(2)

المصدر ح 352 في كتاب التوحيد باسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول اللّه عز و جل‏ «وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى‏» قال: من لم يدله خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار و دوران الفلك و الشمس و القمر و الآيات العجيبات على ان وراء ذلك امر أعظم منه‏ «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى‏ وَ أَضَلُّ سَبِيلًا».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 284

الحقائق، و

«أعمى العمى عمى الضلالة بعد الهدى و شر العمى عمى القلب» «1».

فلا بد لكل أناس من إمام يأتم به في حق، و

«من مات بغير امام مات ميتة جاهلية» «2».

وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا (74).

«و ان كادوا (من كان في هذه أعمى) ليفتنوك (ايها الرسول) عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره (كما يشتهون) و إذا لاتخذوك خليلا (يتخللونك حبا و وفاقا بما تخللوا فيك فرية و نفاقا جزاء وفاقا)! «وَ لَوْ لا ..».

«كادوا» من الكيد و هو هنا مقارفة الاحتيال المذموم، ام الكود مقاربة للفعل المذموم، و علهما هنا معنيّان انهم احتالوا الفتنة و اقتربوا لها لو لا ...

الفتنة الشيطانية مهما اتجهت الى الرسول بكل كيد و خدعة، و لكنها لا تصله بما يحذره هو و يحذّره اللّه عصمة ذات بعدين: «وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر ح 256 من خطبة للإمام علي (عليه السلام). 356.

(2)

نور الثقلين 3: 194 ح 343 تفسير العياشي عن عمار الساباطي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) لا تترك الأرض بغير امام يحل حلال اللّه و يحرم حرام اللّه و هو قول اللّه: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» ثم قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): من مات بغير امام مات ميتة جاهلية فمدوا أعناقهم و فتحوا أعينهم فقال ابو عبد اللّه (عليه السلام) أ ليست الجاهلية الجهلاء؟ فلما خرجنا من عنده قال لنا سليمان: هو و اللّه الجاهلية الجهلاء و لكن لما رآكم مددتم أعناقكم و فتحتم أعينكم قال لكم كذلك.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 285

عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ::» (5: 49) «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ ...»!

و لا سيما الفتنة التي تحمله على الفرية في رسالته الإلهية و «إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ» (16: 105) «وَ إِذا تُتْلى‏ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى‏ إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (10: 15).

و مهما كانت الفتنة كيدا في استلامه آلهتهم سماحا في استلام الحجر الأسود «1» ام دخولا في دينه‏ «2» ام طردا للذين اتبعوه من سقاط الناس و مواليهم حتى يتبعوه‏ «3» ام ماذا من الفتنة المكيدة له القريبة اليه ... فكل ذلك بعيد عن ساحته بعصمته و ما تحذّر بما حذره اللّه، مهما كان قريبا اليه كبشر. «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ»!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 194- اخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال‏ كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يستلم الحجر فقالوا «ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و ما علي لو فعلت و اللّه يعلم مني خلافه فانزل اللّه‏ «وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ...».

(2)

المصدر اخرج ابن إسحاق و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس قال: ان امية بن خلف و أبا جهل بن هشام و رجالا من قريش أتوا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقالوا تعال استلم آلهتنا و ندخل معك في دينك و كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يشتد عليه فراق قومه و يحب إسلامهم فرّق لهم فانزل اللّه‏ «وَ إِنْ كادُوا ... نَصِيراً».

(3) المصدر اخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير ان قريشا أتوا النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فقالوا له: ان كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس و مواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى اللّه اليه‏ «وَ إِنْ كادُوا» ...

أقول «فركن إليهم» خلاف نص الآية «لقد كدت تركن إليهم فليكن فكاد ان يركن إليهم ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 286

فما يروى من ركونه إليهم او افتراءه على اللّه في قصة الغرانيق‏ «1» و أمثالها إنها مضروبة كلها عرض الجدار حيث العصمة الإلهية تسده عن هذه و تلك.

و الشيطان أيا كان‏ «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى‏ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (16: 99) فانى له ذلك السلطان على اوّل العابدين و رسول المؤمنين المتوكلين!.

فهنالك العصمة الربانية «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ» عصمته عن وصمة مقاربة الركون إليهم و إن شيئا قليلا، بعد ان عصمته العصمة البشرية- بعون اللّه- مقارفته و ان‏ «كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا» دون اي ركون ام قربه شيئا كثيرا! «2»:

إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً (75).

ترى و ماذا تعني «إذا» ظرفا لضعفي الحياة و الممات؟ هل هو قرب الركون إليهم شيئا قليلا «لَقَدْ كِدْتَ‏ ... قَلِيلًا»؟ و ليس هذا تقصيرا منه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر و اخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: انزل اللّه‏ «وَ النَّجْمِ إِذا هَوى‏» فقرأ عليهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) هذه الآية «أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى» فالقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانيق العلى و ان شفاعتهن لترتجى- فقرأ النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ما بقي من السورة و سجد فانزل اللّه:

وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ...» فما زال مغموما حتى انزل اللّه تعالى‏ «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ ...».

(2) هذا التثبيت الإلهي ليس العصمة التي اوتى بداء رسالته، إذ لا يوكل في العصمة و لا يخول فيها، و انما هي تدريجية استمرارية بمشيئة اللّه، فلئن و كله الى نفسه طرفة عين لركن إليهم!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 287

(صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حتى يستحق ضعفي العذاب! فانه حاول غايتها بشريا قدر المستطاع! و ليس- إذا- الّا ترك التثبيت الإلهي و ليس تركه من فعله، و من ثم فلا عذاب إلّا على واقع الركون، و ليس هنا إلّا قربه قليلا دون واقعه!.

ام هو الافتنان عما أوحي إليه، فافتراؤه على اللّه غيره، و هنالك الطامة الكبرى، و هنالك ضعف الحياة و ضعف الممات‏ «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ، لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ» (69: 47) و كما هنا «ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً».

أم إنه يعني الفرية و الركون حيث ينبعان من نبعة واحدة هي التخلف عن الرسالة الإلهية، و ترى لماذا الضعفان و هما اربعة، اثنان في الحياة و آخران في الممات؟ «وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى‏ إِلَّا مِثْلَها» (6: 160) ثم و ليست الدنيا دار جزاء!؟

الجواب: أن العذاب يقدّر بقدر العاصي و العصيان، و هنا الرسول أعلى محتدا ممن سواه، و عصيان الرسالة أخطر مما سواه، فليكن العذاب ضعفا له عمن سواه و لا سمح اللّه! و إذا تجاوز العصيان حده، جاوز الى الدنيا من الآخرة كما في قرون أهلكت.

ثم الضعف لا يعني- فقط- مرتين، و انما المضاعف زيادة عن مرة و الى عشرات و عشرات.

كل هذه التهديدات البعيدة المدى، المستحيلة في واقعاتها لمكان عصمة الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) إنها تنبيهات لعظيم الخطر في محتد الرسالات الإلهية، حيث المحاولات بكلّ ألوان المكيدات تتربص دوائر السوء الانحراف و الانحراف بالرسالات السامية! فقد حاولوا مساومته (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أن يعبدوا إلهه قبال‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 288

أن يترك التنديد بآلهتهم، أو أن يجعل أرضهم حراما كالبيت الحرام، او يطرد سقاط الناس حتى هم يؤمنوا به دونهم، او يستلم آلهتهم حتى يسمحوا له باستلام الحجر، أما ذا من أنصاف حلول التي تجمع بين الجانبين! هذه و أمثالها هي محاولات أصحاب الشهوات مع اصحاب الدعوات، لتنحرف الدعوة في بدايتها عن استقامتها ثم يهون أمر استئصالها، فإنهم لا يتطلّبون من صاحب الدعوة أن يترك دعوته كلها، و إنما تنازلا عن حدتها و شدتها لكي يتنازلوا هم أيضا عن معارضتها او علّهم يتقبلونها، و هنا لك الشيطان يدخل على حامل الدعوة- ان استطاع- من هذه الثغرة المغرية: أن خير الدعوة و صالحها في كسب أصحاب السلطان و إن بالتنازل عن جانب منها! و لكنها ثغرة رخيّة، و إن كانت في البداية طفيفة خفيفة خفيّة حيث تنهار عند بزوغها، فيبتدء غروبها في طلوعها، إذ يشجع أعداءها على تفتح الثغرة، فاستئصالها عن آخرها بالمرة!.

فأهم الفرائض على أصحاب الدعوة الإلهية الصمود الكامل و الاستقامة الدائمة، و لكي تتنسق في نهايتها على نسق بدايتها، وحدة متناسقة دائبة.

كما أخطر التخلفات لأصحاب الدعوة التنازل و ان كان طفيفا في طرف منها، فكل أطرافها عظيمة عزيمة، دون فرض فيها و نافلة، حيث الكل فرض كوحدة متكاملة متناصرة، لا يجوز الغض عن البعض بغية قبول البعض، او تصديقهم للبعض، و إلّا ف‏ «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ» لا نقبل أنصاف حلول و تقسيم البلد بلدين!.

و أنت يا حامل الدعوة الأخيرة لست ممن يستفز عن دعوته، و إنما الشيطان يستفز و يحتنك الغاوين، و أنت اوّل المهتدين و العابدين لكن:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 289

وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76).

«وَ إِنْ كادُوا» كيدا و قربوا دنوا «لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ» إذ لم يتمكنوا من استفزاز و استخفاف دعوتك و رسالتك و لا طرفا منها، فيكيدون إذا كيدهم لاستفزازك عن أرض الوطن و عاصمة الدعوة «لِيُخْرِجُوكَ مِنْها» إخراجا للدعوة و استفزازا للرسالة عن عاصمتها «و إذا» حيث يخرجونك‏ «لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ» بعدك و في خلافك، «إلا قليلا» كما لم يلبثوا إلّا عشرا، و في خلالها غزوات و انهزامات ام ماذا من معركات!.

ترى و لما إذ تأتي مكة هنا في صيغة عامة «الأرض» عله لأنها أصل الأرض حيث مكّت و بكّت من تحتها، و لأنها عاصمة الرسالة الإسلامية فاستفزاز الرسول عنها استفزاز له عن الرسالة كلها، او أن في تنحية له الرسول عن ارض الوطن العاصمة الى الغربة النائية عن العاصمة تنحية له عن دعوته و لكن: «إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا» «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» (8: 30) مكرا في الحفاظ عليه إذ هو في الغار، و مكرا في ارجاعه الى مكة بفتح مبين.

و لماذا خلافك، تاتي هنا بمعنى بعدك و خلفك و قد تنافيه فصاحة التعبير؟ لان «خلافك» هنا تعني الخلف و الخلاف! فهم خلف اخراجك من الأرض لا يلبثونه و لا خلافك إلّا قليلا، و قد زالت هذه الخلفية بفتح مكة ان رجع إليها فاتحا، و رجعوا هم عن خلافهم الى وفاقه طوعا او كرها، و هذه من الإنباءات الغيبية القرآنية، تبشرة برجوعه الى العاصمة بعد قليل، و ان المشركين المستفزين سوف يرجعون مسلمين او مستسلمين!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 290

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا (77).

سنة إلهية سلبية للرسل على الذين يستفزونهم ليخرجوهم من أرض الدعوة، أنهم لا يلبثون خلافهم إلّا قليلا، كما حق عليهم في مكة ان رجع إليها محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بعد هجرته منها فاتحا، و كذلك في المدينة. «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا، مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلًا. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» (33: 62) «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» (13: 17).

ثم سنة ايجابية لهم ان اللّه يثبتهم ان كادوا ليفتنوهم عن الذي اوحي إليهم! و هذه السنة لن تتحول في أية رسالة مهما اختلفت عن بعض في درجاتها و متطلباتها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 291

[سورة الإسراء (17): الآيات 78 الى 95]

أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى‏ غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (78) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى‏ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (79) وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً (80) وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (81) وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَساراً (82)

وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى‏ بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى‏ سَبِيلاً (84) وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (85) وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلاً (86) إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً (87)

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى‏ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى‏ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً (89) وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (92)

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى‏ فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً (93) وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى‏ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً (94) قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً (95)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 293

أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى‏ غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (78).

الصلاة هنا تعني المفروضات اليومية الخمس، فان دلوك الشمس و غسق الليل و الفجر لا تناسب ساير المفروضات كصلاة الآيات و الأموات و اضرابها لأنها واجبة بأسبابها دون اوقات لها معينة كهذه! و الدلوك في الأصل هو الميل و هو الانخفاض بعد كمال الارتفاع، فهل ان ميل الشمس هنا غروبها؟ «1» و ليس غروبها ميلها، بل هو نتاج الميل الأخير لها عن قرصها! و لو عني بدلوكها غروبها لكان الفصيح الصحيح «لغروب الشمس» لا لدلوكها! ام هو زوالها عن كبد السماء «2»؟ و هو بداية ميلها لا ميلها كلها! و لو كان فقط زوالها لكان الفصيح الصحيح «من زوالها» لا «لدلوكها» و لا «لزوالها» حيث اللام لا تعني البداية و جاه «إلى» النهاية، و إنما تعني لزام وقت واسع كما بين زوالها و غروبها! ..

ام هو ميلها منذ زوالها الى غروبها؟ و يوافقه مطلق الميل الدلوك حيث يشمل دلوك الزوال و دلوك الغروب و ما بينهما، جمعا لاوقات الظهرين على درجاتها، و ملائمة لصيغة التعبير. «لدلوكها» حيث اللّام لزام و الدلوك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في مفردات القرآن للراغب و لسان العرب لابن منظور الافريقي انه غروبها و في الدر المنثور 4: 194- اخرج ابن أبي شيبة و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن علي (رضي اللّه عنه) قال: دلوكها غروبها.

(2) لسان العرب انه زوالها ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 294

تعم منذ زوالها الى غروبها، و هو وقت الظهرين إجزاء، و بذلك يجمع بين اللغة و الرواية المفسرة لدلوكها بزوالها و غروبها، بل هو لغة من لغاتها «1» و السنة القطعية تقول: انه زوالها «2» و علّها تعني مطلق زوالها منذ البداية عن كبد السماء، و حتى النهاية في غروبها من قرصها، و فيما تختص بالزوال الاوّل تعني اوّل و أفضل زوالها:

إذا فهذه الآية المكية تشمل الصلوات الخمس من بداية زوال الشمس‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لسان العرب و روى ابن هانئ عن الأخفش انه قال: دلوك الشمس من زوالها الى غروبها.

و قال الزجاج: دلوك الشمس زوالها في وقت الظهر و ذلك ميلها للغروب و هو دلوكها ايضا، و مثله قال الزجاج و القفال: اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال و مالت للغروب و يقال للشمس دالكة إذا زالت نصف النهار و إذا أفلت.

(2)

الدر المنثور 4: 195- اخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في قوله: أقم الصلاة لدلوك الشمس قال: لزوال الشمس»

أقول: علّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يعني مطلق الزوال، و ان كان يعني بداية الزوال في لفظ آخر كما

أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود (رضي اللّه عنه) قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) اتاني جبرئيل (عليه السلام) لدلوك الشمس حين زالت فصلّى بي الظهر

و

اخرج ابن مردويه عن انس (رضي اللّه عنه) قال: كان النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يصلي الظهر عند دلوك الشمس‏

و

روى الواحدي في البسيط عن جابر انه قال: طعم عندي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و أصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) هذا حين دلكت الشمس»

و

روى في الكشاف عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انه قال: اتاني جبرئيل (عليهم السلام) لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر.

أقول: و اتفقت رواية اهل البيت (عليهم السلام) ايضا انه زوالها، كما اتفقت الرواية عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و ما رووه عن علي (عليه السلام) لا يعني الا الدلوك الأخير للشمس لا دلوكها كله.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 295

الى فجرها: فالظهران‏ «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» و لو كان الدلوك خصوص البداية لما شملت العصر، و لا الظهر بعد الظهر، و العشاءان‏ «إِلى‏ غَسَقِ اللَّيْلِ» و «قُرْآنَ الْفَجْرِ» فجرا و كما في أحاديثنا.

و غسق الليل غاية ظلامه في منتصفه و منحدره كما الليل الغاسق هو المظلم، و لأن بداية الليل هي مغرب الشمس دقائق بعد غروبها، و نهايته بدقائق قبل طلوعها ما صدق الليل بداية و نهاية، فمنتصف الليل هو الوسط بينهما، لا بين المغرب و طلوع الفجر، فانه ليس غسق اللّيل مهما كان وسطا لما يسمى ليلا شرعيا، و تفسير غسق الليل بمنتصفه في أحاديثه تفسير لغوي دون اصطلاح شرعي خاص‏ «1»:

فغسق الليل هو بداية زواله و انحداه كزوال الشمس، كما

يروى عن الامام الصادق (عليه السلام) في جواب السائل: «زوال الشمس نعرفه بالنهار فكيف لنا بالليل؟- قال (عليه السلام): لليل زوال كزوال الشمس، قال فباي شي‏ء نعرفه؟ قال. بالنجوم إذا انحدرت» «2»

و

عن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 200 ح 370 عن تهذيب الأحكام باسناده عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال‏ سألته عما فرض اللّه من الصلاة؟ فقال: خمس صلوات في الليل و النهار فقلت: هل سماهن و بينهن في كتابه؟ فقال: نعم قال اللّه عز و جل لنبيه‏ «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى‏ غَسَقِ اللَّيْلِ‏ و دلوكها زوالها ففي ما بين دلوك الشمس الى غسق الليل اربع صلوات سماهن و بينهن و وقتهن و غسق الليل انتصافه ثم قال:

و قرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا فهذه الخامسة.

أقول: و في تفسير العياشي يروى زرارة و حمران و محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) تفسير الغسق بالانتصاف، و مثله فيه عن زرارة عن أبي عبد اللّه (عليه السلام).

(2) وسائل الشيعة باب 55 من أبواب المواقيت ح 1 و (2) ح 2.

أقول: و ليس انحدار النجوم الا في غاية الظلام و هي وسط بني غروب الشمس و طلوعها لا فجرها، و كذلك زوال الليل، و ليس انحساب بين الطلوعين في باب‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 296

الامام الباقر (عليه السلام): «دلوك الشمس زوالها و غسق الليل بمنزلة الزوال من النهار»

إذا فالأشبه الأقوى اعتبار الغسق وسطا بين بداية الظلام و نهايتها.

وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ عطف على الصلاة فتعني: و أقم قرآن الفجر:

الفجر الصادق للشمس، لا كاذبه و لا طلوعها، و إنما فجرها حيث يشق ضوءها ظلام الليل فيتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

قرآن الفجر هي صلاته صلاة الصبح حيث تبتدء من فجر الشمس الى ما قبل طلوعها، و كما صلاة العصر الى ما قبل غروبها: «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها» (20: 130):

و كما دلوك الشمس يشمل بين الوقتين كذلك فجرها فإنها تشق و تفجر ظلام الليل شيئا فشيئا حتى تطلع فيتم الفجر، فالظهران هما صلاة الدلوك و الصبح هي صلاة الفجر حيث يتنفس حتى يزيل آخر رمق من الليل.

و لماذا «قُرْآنَ الْفَجْرِ» دون صلاته و جاه الصلوات الأربع‏ «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى‏ غَسَقِ اللَّيْلِ»؟ تلميحا لمزيد الأهمية فالاهتمام بصلاة الفجر:

انها قرآن و ان كانت كل صلاة قرآنا واجبة القراءة و المتابعة، إلّا ان قرآنها أهم و أتم من قرآنها، ل‏ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً دون سائر القرآن، فمهما تشهد قرآن الدلوك ملائكة النهار، و تشهد قرآن الليل الى غسقه ملائكة الليل‏ «1» فقرآن الفجر تشهده ملائكة الليل و النهار، فبين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الصلاة و الصوم من النهار دليلا على كونه منه في كافة الأبواب و حتى فيما يخالف الحس من كون غسق الليل قبل غسقه إذ تحسب نهايته بداية الفجر.

(1).

الدر المنثور 4: 196- اخرج عبد الرزاق و البخاري و مسلم و ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال: تجتمع ملائكة الليل و ملائكة النهار في صلاة الفجر

ثم يقول ابو هريرة: اقرؤا ان شئتم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 297

الطلوعين لا هو من ساعات الليل و لا من ساعات النهار، أم هو من ساعات الليل و النهار، و لذلك تجمع لشهودها ملائكة الليل و النهار! و قد تكون صلاة الفجر هي الصلاة الوسطى المأمور بها خاصة في آيت‏ «حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى‏ وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ» (2: 338) لأهميتها المصرح بها هنا بين الخمس و أنها الوسطى بين الصلوات الليل و النهارية، و أنها من الصلاة الوسطى حيث الظهر ايضا وسطى ب الصلوات النهارية، فلا تعني الوسطى إلّا وقتيا لا في الفضيلة فانها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

«وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً» و

اخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول و ابن جرير و الطبراني و ابن مردويه عن أبي الدرداء قال: قرأ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً» قال: يشهده اللّه و ملائكة الليل و ملائكة النهار،

أقول: شهادة اللّه تعمها و سائر الصلوات الا ان يعنى بها هنا شهادة تخصها بما كرمها فضّلها على سواها.

ثم أقول: و رواها أئمة اهل البيت (عليه السلام) دون خلاف و اختلاف كما رواه في الكافي باسناده عن يزيد بن خليفة عن أبي عبد اللّه الصادق (عليه السلام) و باسناده عن إسحاق بن عمار عنه (عليه السلام) و باسناده عن عبد اللّه بن سليمان العامري عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) و في تفسير العياشي عن زرارة و حمران و محمد بن مسلم عنهما (عليهما السلام) ... و

في علل الشرائع باسناده الى سعيد بن المسيب قال‏ سألت علي بن الحسين (عليه السلام) ... و اقرّ الفجر على ما فرضت بمكة لتعليل عروج ملائكة الليل الى السماء و لتعجيل ملائكة النهار الى الأرض فكانت ملائكة النهار و ملائكة الليل يشهدون مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) صلاة الفجر فلذلك قال عز و جل: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً» يشهده المسلمون و يشهده ملائكة النهار و ملائكة الليل.

و

في العلل ايضا باسناده الى الحسن بن عبد اللّه عن آبائه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: جاء نفر من اليهود الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) الى ان قال: و هي الصلاة التي يشهدها ملائكة الليل و ملائكة النهار.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 298

الكبرى، و لا وقتية وسطى إلّا صلاة الظهر و هي وسطى النهارية، و الفجر و هي الوسطى المطلقة بين الليلية و النهارية! كما و ان صلاة الجمعة من الوسطى فانها مكان الظهر و الجمعة هي قلب الأسبوع فهي إذا وسطى من جهتين.

هنا صرحت بصلاة الفجر و أجملت عن الأربع الاخرى، و في سائر القرآن تصريحات او تلميحات بالأخرى الا المغرب: «... مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ...»

(24: 58) «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ» (3:) 41) «1».

إذا فصلوات الفجر و الظهيرة و العصر و العشاء مذكورة، ثم لا تجد تصريحة بالمغرب اللّهم إلا تلميحة في آية الدلوك، و الصلاة الوسطى منها كما بينا هي الفجر ثم الظهيرة- و آية الزلف‏ «وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ:» (11: 114).

هذه، إلّا أننا لا نجد آية تشمل الخمس إلّا آية الدلوك و ان كانت لا تصرح إلّا بقرآن الفجر، و قد نلمس الفضيلة الكبرى بين الخمس لقرآن الفجر، حيث تختص بالذكر هنا و في سبع اخرى: «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» (20: 130 و 50: 39) و «صَلاةِ الْفَجْرِ» (24: 58) و الإبكار «2» عدد أبواب الجنة.

و من ثم الظهيرة فانها من الصلاة الوسطى، و تلمح لها او تصرح بها آيات عدة كالدلوك و الظهيرة (24: 58).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نجد التسبيح و الدعاء بالعشي و الابكار في 6: 52 و 18: 28 و 40: 55- ايضا.

(2) كما في 3: 41 و 6: 52 و 18: 28 و و 40: 55.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 299

ثم العصر كما في آية الدلوك و آيتي «قبل غروبها و قبل الغروب» و آيات العشي الخمس، و طرفي النهار.

ثم العشاء كما في آية الدلوك الغسق، و آية العشاء «مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ» (24: 58) و آيات العشي.

و من ثم المغرب داخلة في تلميحات كآية الدلوك و زلفا من الليل:

آيات بينات تبين موقف كل صلاة و صلاة تلو الاخرى و كما الروايات على أضوائها.

و قد تدلنا او تلمح لنا آية قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و آيات العشي و الإبكار أن الفرض كان في البداية ثنتين: صلاة الفجر و العصر، ثم آية الزلف و الظهيرة أنه تحوّل الى ثلاث او اربع، ثم آية الدلوك و آية العشاء و الظهيرة الى خمس، و هي مكية فلتكمل الفرائض الخمس في مكة على فترات.

و إذا كان البعض من آيات العشي و الإبكار مدنية فقد تعني البعض من المفروضات لا كلها، و إن كانت‏ «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها» المكية تعني كلها لمكان القرينة في المدنية دون المكية.

وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى‏ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (79).

الهجود هو النوم كما الهاجد النائم، و التهجد إزالة النوم كالإطاقة ازالة الطاقة و التمريض ازالة المرض بمراقبة المريض.

و لان التفعل تكلّف فقد تعني هنا التكلف في التيقّظ، و من الصعب التيقظ بعد النوم في بدايته كما يصعب في نهايته او وسطه هو درجات حسب الصعوبات.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 300

هنا يؤمر النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) شخصيا بالتهجد فاختصاص الأمر به إضافة الى صيغته يدلان على وجوب‏ «نافِلَةً لَكَ» و «مِنَ اللَّيْلِ» يعني بعضه، اقتسام له الى ثلاثة ابعاض: فبعض للعشائين و سائر الحاجيات، و من ثم النوم بين العشائين ام بعدهما، ثم التهجد المقدر في أكثره ثلثي الليل و في اقله ثلثه، و في متوسطه بنصفه‏ «قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» (73: 4) و لان «من الليل» تعني بعضه المفسّر في المزّمّل ف «به» تعني هذا البعض تهجدا به، قياما في عبادته، صلاة و قراءة للقرآن ام ماذا؟

ثم‏ «نافِلَةً لَكَ» حيث تعني زائدة خاصة بالرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) صلاة او طاعة نافلة على فرضه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) دون الامة في فرض صلاة ام و قراءة، لا زائدة على فرض الأمة حتى تعني مقابل الفريضة، حيث النافلة المستحبة على فرضهم لا يخصه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)! إذا فهي فريضة زائدة عليه بين سائر المكلفين‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 204 في تهذيب الأحكام باسناده عن عمار الساباطي قال: كنا جلوسا عند أبي عبد اللّه (عليه السلام) ما فقال له رجل: ما تقول في النوافل؟

فقال: فريضة- قال: ففزعنا و فزع الرجل فقال ابو عبد اللّه (عليه السلام) انما اعني صلاة الليل على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ان اللّه عز و جل يقول: «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ».

و في الدر المنثور 4: 196 عن ابن عباس في قوله: نافلة لك يعني خاصة للنبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) امر بقيام الليل و كتب عليه و

اخرج الطبراني في الأوسط و البيهقي في سننه عن عائشة ان النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال: ثلاث هن علي فرائض و هن لكم سنة: الوتر و السواك و قيام الليل.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 301

و هي «له» حيث‏ «عَسى‏ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً» و ان كانت عليه تكليفا، و لأنه من أفضل الخاشعين و هو أوّل العابدين فليست العبادة له حملا و كبيرة «وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ».

و لان الصلاة هي المذكورة مسبقا دون القرآن، إذا فهي‏ «نافِلَةً لَكَ» صلاة زائدة لك على فرضك، مهما شملت قراءة القرآن في صلاة و سواها، إلّا أن آيات المزمل بشأن ترتيله في قيام الليل تضم ترتيل القرآن إلى صلاة الليل، قرآن الصلاة ام سواه: «وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» كما و أن القرآن هو روح الصلاة! عَسى‏ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ... بذلك التهجد الصارم و لأنك أفضل الخلق أجمعين و انك اوّل العابدين «عسى ...» فما هو ذلك المقام المحمود؟ هل إنه الرسالة الختمية؟ و قد بعث بها! ام إلقاء قول ثقيل‏ «قُمِ اللَّيْلَ‏ ... إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»؟ و ذلك حتم في تلكم الرسالة موعود «سنلقي»، و «عسى» موضع ترج دون حتم! أم إنه العصمة العليا و القمة الأعلى من مقامات الولاية؟ فما هي و انّى؟! بما انه لا حمد إلّا للّه و لا محمود إلّا اللّه، اللهم إلّا ما عساه يبعثه اللّه‏ «مَقاماً مَحْمُوداً» فليكن قمة في الاولى و اخرى في الاخرى ليست لأحد من العالمين و هي الولاية الكبرى هنا و الشفاعة الكبرى هناك، حيث الحمد مطلق، فلتشمل ولايته في الدنيا كل العالمين، ان تشمل شرعته كل العالمين» هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى‏ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً» (48: 28) كما و أن ولايته الرسالية تشمل كافة المرسلين‏ «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى‏ ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» (3: 81) ثم سلطانه النصير في فتح العاصمة الرسالية بعد ما ضاقت‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 302

عليه بما رحبت و ذاق منهم أشد الأذى في العهد المكي و المدني، و من ثم شفاعته الكبرى التي تشمل كل العالمين، مزيدا على محتد النبيين، و ترفيعا للمؤمنين، و غفرانا للفاسقين، و تخفيفا عن الكافرين كما تظافرت به الروايات عن النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و عن عترته (عليهم السلام).

و لماذا «عسى» و ليست إلا للترجي و اللّه لا يترجى ما هو باعثه لا سواه؟ ... إنه ليس ترجيا من اللّه، فعساه ليس إلا ترجيا لرسول اللّه، دون تحتم على اللّه، فالظروف الرسالية هذه، و هجده أم ماذا من لياقته و لباقته، هذه و تلك مواقع لترجي المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون و الآخرون.

و لان «مقاما» مصدر ميمي و اسم زمان و مكان، فمقامه المحمود مجموعة من قيامه المحمود، و زمن القيام و مكان القيام المحمود، و قد قام قيامه المحمود في خير مكان «مكة المكرمة» و خير زمان، و كما يقوم في شفاعته يوم القيامة قياما محمودا في خير زمان و خير مكان، و قد يجمع ذلك كله محتده المحمود في كافة المجالات.

و بعثه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) مقاما محمودا لا يعني إلّا إرساله استجاشة ذلك المقام، لا الى مقام محمود، و لا جعله و إجلاسه مقاما، خلاف ما يروى شاذا انه تعالى‏

«يجلسه معه على السرير» «1»

و لا- فقط-

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 198- اخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في الآية: يجلسني معه على السرير.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 303

إنطاقه بما ينطق «لبيك و سعديك:» «1» و ان كان هذا من مخلفات مقامه المحمود! و مهما يكن من شي‏ء فالمقام المحمود الذي عساه يبعث إياه أمر مستقبل تتبناه عصمة الرسالة الاخيرة و الولاية العامة الإلهية على كونه دائبا قائم الليل سابح النهار سبحا طويلا.

وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً (80).

و سلطانه النصير هو من مقامه المحمود هنا، كما شفاعته الكبرى من سلطانه النصير هناك! فقد جعل اللّه له سلطانا نصيرا في الأولى و الأخرى!.

تلك دعاء يحتاجها الرسول و لكي يجتث و يحتاج كل عراقيل الدعوة، يؤمر على طول خط الدعوة الرسالة إدخال صدق و إخراج صدق، و سلطانا نصيرا حينهما و قبلهما و بعدهما، دعاء مثلثة الزوايا تجمع مجامع الخيرات لصاحب هذه الرسالة السامية.

فالصدق هنا مطلق دون قيد، صدقا في العلم و الايمان، و صدقا في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر اخرج ابن أبي شيبة و النسائي و البزاز و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الحاكم و صححه و ابو نعيم في الحلية و ابن مردوية و البيهقي في البعث و الخطيب في المتفق و المفترق عن حذيفة قال يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي و ينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس الا باذنه ينادى يا محمد فيقول: لبيك و سعديك و الخير في يديك و الشر ليس إليك و المهدي من هديت و عبدك بين يديك و بك و إليك لا ملجأ و لا منجا منك إلّا إليك تباركت و تعاليت سبحانك رب البيت فهذا المقام المحمود.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 304

النية و العمل، تطابقا في جنباته كلها، دون نفاق و شقاق، و دون اية كذبة و لا نقيرا! صحيح أن على الإنسان أيا كان أن ينتظم دخوله في كل مدخل و خروجه عن كل مخرج بصدق صارم قاطع، و لكنما هناك العراقيل التي تحول دونه و ما يريد متغلّبة على ما يريد و إن قليلا، فليطلب من اللّه أن يدخله و يخرجه بصدق، عصمة عن المزالّ و حفاظا عن الضلال، و العصمة القمة التي مالها من سباق هي العصمة المحمدية التي يطلها ربّه ليل نهار.

و إن ذلك استسلام تام للرب تبارك و تعالى، أن يستضيف الى حوله حول اللّه، و الى قوته قوة اللّه، و الى ارادته ارادة اللّه، بل يرى انه «لا حول و لا قوة إلا بالله» فيجعل نفسه مجالا لمشيئة اللّه، فلا يشاء ألّا ما يشاء اللّه، بعد ما يكرّس كل طاقاته في تحقيق و تطبيق مرضات اللّه، لقد كان للرسول خروج عن مكة هجرة الى المدينة دخولا فيها، و من ثم دخول في مكة يوم الفتح ثم خروج عنها منتصرا مظفرا «1»، و بين ذلك دخولات و خروجات في مداخل و مخارج شتى لتحكيم الدعوة و تدعيم الرسالة، و كل ذلك تشمله دعاءه‏ «وَ قُلْ رَبِّ ...» كما ادخله و أخرجه صدقا «. وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً» سلطانا من لدن الرب‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 198- اخرج احمد و الترمذي و صححه و ابن جرير و ابن المنذر و الطبراني و الحاكم و صححه و بان مردوية و ابو نعيم و البيهقي معا في الدلائل و الضياء في المختارة عن ابن عباس قال: كان النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بمكة ثم امر بالهجرة فأنزل اللّه تعالى: وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 305

تبارك و تعالى. نصيرا له في دعوته الرسالية العالمية في كل مدخل و مخرج و كل مقام و مقام‏ «1».

ان السلطان النصير أيا كان يختص بالرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فلا نجد في سائر القرآن سلطانا نصيرا لمن سواه إلّا سلطانا مبينا هو معجزة الرسالة و هي لزام الرسالات كلها، و قد بدء الرسول بها في قرآنه فإنه أفضل سلطان و أخلده.

و من سلطانه النصير نظيره و وزيره علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فانه شاهد لبينة الرسالة حيث يتلوه: «أَ فَمَنْ كانَ عَلى‏ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى‏ إِماماً وَ رَحْمَةً ...» (11: 17) «2».

كما و ان من سلطانه النصير استقامته و هيبته و سيطرته، فقد زوده اللّه بسلطات ربانية متصلة به و منفصلة عنه، و لأن هذه الرسالة السامية عالمية خالدة «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى‏ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً» (48: 28).

و من سلطانه النصير في آخر الزمن القائم المهدي (عليه السلام) من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 198- اخرج الحاكم و صححه و البيهقي في الدلائل عن قتادة في الآية قال: أخرجه اللّه من مكة مخرج صدق و ادخله المدينة مدخل صدق- قال: و علم نبي اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) انه لا طاقة له بهذا الأمر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب اللّه تعالى و حدوده و فرائضه و اقامة كتاب اللّه تعالى فان السلطان عزة من اللّه تعالى جعلها بين عباده و لو لا ذلك لغار بعضهم على بعض و أكل شديدهم ضعيفهم.

(2) ملحقات الاحقاق. اخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج 1 ص 348 ط بيروت بإسناد متصل عن عبد اللّه بن عباس في الآية قال: و اللّه لقد استجاب اللّه لنبينا دعاءه فأعطاه علي بن أبي طالب سلطانا ينصره على أعدائه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 306

عترته المعصومين (عليهم السلام): فبه- لا سواه- «يملأ الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا»، و في الحق إن هذه الدولة المباركة هي تحقيقة شاملة و تطبيقة كاملة لرسالته في العالمين، كما تحققت على ضوءها كافة الرسالات الإلهية.

إذا فهي حصالة غالية من كل سلطانه النصير، المنقطع النظير في كل سلطان نصير، فانها انتصارة صارمة لرسالة السماء في الأرض، بعد كل تشرد له بتمرّد مارد من المرسل إليهم طوال التاريخ الرسالي، و الآية التالية تبشيرة لطيفة بحق ذلك السلطان النصير:

وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (81).

اجل‏ «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» (21: 18)! «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ» (34: 49).

«انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا و مما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق و الباطل فاما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الأمثال» (13: 17)! «وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ» (14: 26).

لقد قال الرسول هذه الكلمة الطيبة فيما قال في سلطانه النصير عند ما فتح مكة و أخذ يكسر الأصنام‏ «1» و إذا لم يزهق الباطل في صورته زهاقه في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 199- اخرج ابن أبي شيبة و ابو يعلى و ابن المنذر عن جابر (رضي اللّه عنه) قال: دخلنا مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) مكة و حول البيت ثلثمائة و ستون صنما فامر بها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فأكبت لوجهها

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 307

سيرته زمن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حتى الآن فسوف يزهق تماما زمن الدولة المباركة الاسلامية العالمية في قيام الامام المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف، ف‏

«إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل» «1»

فان للحق دولة و للباطل صولة و جولة، يتنفّخ و يتنفّج و لكنه هشّ سريع العطب كشعلة الهشيم!.

و قد كانت هذه الآية مكتوبة على ذراع المهدي (عليه السلام) الأيمن لما ولد «2» حيث تعني أن مجي‏ء الحق تماما و زهاق الباطل تماما ليس إلّا بيمين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و قال: «جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً» و أخرجه مثله الطبراني في الصغير و ابن مردوية و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و أخرجه ابن أبي شيبة و البخاري و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردوية عن ابن مسعود عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بزيادة الآية «جاءَ الْحَقُّ وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ» و مثله في امالي الطوسي باسناده الى سليمان بن خالد قال حدثنا علي بن موسى عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه قال: و في كفاية الخصام 536- ان هبل و هو اكبر الأصنام التي كانت على جدران الكعبة انما نزلها و كسرها علي (عليه السلام) بأمر النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حين وضع قدمه على ظهره الشريف، رواه ابو بكر الشيرازي في كتاب نزول القرآن في شأن امير المؤمنين (عليه السلام) عن قتادة عن ابن المسيب عن أبي هريرة عن جابر بن عبد اللّه الانصاري قال: كنا مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حين دخل الكعبة ...

و رواه مثله ابو المؤيد موفق بن احمد بسنده عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ...

(1).

نور الثقلين 3: 212 عن روضة الكافي باسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في الآية قال: إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل.

(2)

المصدر ص 213 ح 410 في الخرائج و الجرائح عن حكيمة في خبر طويل و فيه‏ لما ولد القائم (عليه السلام) كان نظيفا مفروغا منه و على ذراعه الأيمن مكتوب‏ «جاءَ الْحَقُّ ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 308

المهدي (عليه السلام) لا سواه، مهما بذر بذوره الرسول البشير النذير، حيث بذر بلا اي تبذير:

و في الحق ان الحق كيانه الانجلاء و القرار، و الباطل كيانه الجلاء و الاندحار! ... و الحق و ان كان جائيا قبل ذلك الحق و لكنه لم يكن بالذي لا ينسخ و لا يحرّف، و أما ذلك الحق فكتابه حق لا ينسخ او يحرف‏ «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (41: 42) و رسوله لا يزول فان رسالته مؤبّدة، و دولته سوف تفوق الدول و تشمل العالم أجمع، إذا ف‏ «ما يُبْدِئُ الْباطِلُ» نفسه أن يبدأ حياته من جديد «وَ ما يُعِيدُ» ما كانت من حياته البائدة، فلا بدء له بعد و لا عود، و انما هما الآن و على مرّ الزمن و الأجيال للحق! الحق الخالص الصارم بمن له من أنصار صامدين، ثابت لا حول عنه، و الباطل زاهق مهما كان له من أنصار ... فالباطل شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار حيث لا يطمئن الى حقيقة مهما تنفّج و تنفّخ فانه هش سريع العطب ... و هو زبد يطفو على الماء و يخيل الى من غربت عقولهم أنه عال، و لكنه يذهب جفاء و يبقى الماء.

في معترك الحق و الباطل، القوة كلها للحق حيث يضرب على الباطل فيدمغ‏ «وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» و مهما انهزم أهل الحق أحيانا و لكن الحق لا ينهزم‏ «وَ يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» (42: 24).

إن الحق من اللّه و هو مع اللّه و من ورائه اللّه، و الباطل من الشيطان و من وراءه الشيطان‏ «وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلى‏ أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ»!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 309

الباطل كلما أرعد و أبرق و عربد لا يملك عقولا صافية و حقولا ضافية، مهما ملك غاربة من سنخه و في مجراه، و لكنما الحق يملك عقولا و تنضج به عقول، مهما عارضه من لا يعقلون! لقد جاء الحق في القرآن (254) مرة و لم يجي‏ء الباطل إلّا (26) مرة، و لان دلائل الحق تحيط بنا و ليس للباطل دلائل إلّا زورا و غرورا! «وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آياتِي وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً» (18: 56) «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» (21: 1) «وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ» (40: 50)؟ «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ» (21: 24) لذلك‏ «وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ» (23: 70):

«وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ» ليحق و يبقى‏ «وَ زَهَقَ الْباطِلُ» لان حقه الزهاق‏ «إِنَّ الْباطِلَ كانَ» منذ وجد و في أعماق الزمان و المكان «زهوقا» لاثبات له فلا مساك له و لا سماك لبنائه و إنما يبقى امتحانا و بلاء في دار البلاء «وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى‏»:

وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً (82).

القرآن كله شفاء و رحمة للمؤمنين و مزيد خسار للظالمين، و لا تعني «من» تبعيضا في القرآن، بل هو بيان لكيان القرآن أيا كان كما «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» فالرجس هو طبيعة الأوثان، و الشفاء و الرحمة هما طبيعة القرآن و لكن لمن؟ «للمؤمنين»! أ ترى إذا اختص القرآن في شفاءه و رحمته بالمؤمنين فما بال غيرهم يؤنّبون و يعذبون و لا يشملهم هدى القرآن؟ رغم انه‏ «هُدىً لِلنَّاسِ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 310

وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى‏ وَ الْفُرْقانِ»! ثم الشفاء و الرحمة حاصلتان للمؤمنين بالايمان، و غيرهم يحتاجونها حتى يحصل الايمان! و الظلم داء عضال فكيف لا يشفيه القرآن.

«المؤمنين» هناك «المتقين» في‏ «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» تعني من يبتغي الايمان أصلا او مزيدا، و يتقى خلاف الايمان أصلا او مزيدا، فالكافر أيا كان- إذا فتش عن الايمان، و كفره قصور و شك مقدس و لمّا يصل الى برهان الايمان- هو هنا من «المؤمنين» فإنه: «هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (7: 203).

و اما المتعنت المتعمد في كفره و ظلمه فهو الظالم الذي لا يزيده القرآن إلّا خسارا، و ان كان منسلكا في سلك المسلمين كالمنافقين، ام و المؤمنين الضعفاء «وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» (12: 106) فالقرآن هو منبع الشفاء و الرحمة بجاذب الإيمان ممن نظفت فطرته و لطفت سريرته، و ان لم يصل قبل الإمعان في القرآن الى واقع الايمان.

و الظالم نفسه و الظالم آيات ربه، الذي غربت فطرته لا يزيده هذا القرآن إلّا خسارا «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً» (3: 10) ليست الشفاء إلّا عن مرض أيا كان في الروح ام في البدن، و لا الرحمة إلّا مزيد قوة بعد نقاهة، و ليستا إلّا للذين يؤمنون: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ» (41: 44) مهما خوطب بهما الناس أجمعون‏ «يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (10: 57) فالشفاء هنا و هناك هي الشفاء، تخلية عن الأمراض، و الرحمة هي الموعظة و الهدى تحلية و تجلية للأرواح، و هي مزيد سلامة للأبدان! إن القرآن شفاء و رحمة لحد سمي شفاء و رحمة، شفاء في مثلث الآيات‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 311

و رحمة في عشرات: «وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى‏ عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (7: 52) «هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (7: 203) «وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (12: 111) ف «يؤمنون» هنا و هناك تلمح الى معنى «المؤمنين» في آية الشفاء و الرحمة، كما بيناه.

فهو «شفاء» عن أمراض الفطرة و العقل، و مضايق الصدر و عمى القلب، عن ظلمات الأفكار ام ماذا؟ و عن أمراض الأبدان ما كان لها شفاء «1» لمن دخل مستشفى القرآن، فانه «الشفاء الأشفى» ...

«من استشفى به شفاه الله» «2»

«شفاء لا تخشى اسقامه» «3»

: «شفاء» و من ثم «رحمة» ف‏

«إنه هدى من الضلالة و تبيان من العمى و استقالة من العثرة و نور من الظلمة و ضياء من الأحداث و عصمة من الهلكة و رشد من الغواية و بيان من الفتن و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة و فيه كمال دينكم» «4».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 313 ح 415 طب الائمة قال ابو عبد اللّه (عليه السلام) ما اشتكى احد من المؤمنين شكاية قط و قال بإخلاص نية و مسح موضع العلة

«وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً» الا عوفي من تلك العلة اية علة كانت و مصداق ذلك في الآية حيث يقول‏ «شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» و

باسناده الى عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: يا بن سنان لا بأس بالرقية و العوذة و النشرة إذا كانت من القرآن و من لم يشفه القرآن فلا شفاه اللّه و هل شي‏ء ابلغ في هذه الأشياء من القرآن أ ليس اللّه يقول: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ».

(2) اصول الكافي ج 2 ص 600 عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في خطبة مفصلة حول القرآن راجع ج 30 المقدمة من الفرقان.

(3، 4) نهج البلاغة الخطبة 193 ص 202- راجع مقدمة الفرقان ج 30.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 312

«و انما الشفاء في علم القرآن‏ «1»

«للأرواح و الأبدان، للمؤمنين بدرجاتهم، عالية في أئمة الهدى‏ «2»

و نازلة لمن ذاق طعما من الايمان‏ «3»، فالشفاء و الرحمة لكلّ قدر الايمان‏ «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏»:

وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى‏ بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً (83).

تنديد بنسيان الإنسان نعمة ربه حين ينعم عليه، و يأسه حين يمسّه الشر «و الدهر لك يومان يوم لك و يوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر و إذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر» و لكن‏ «إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى‏ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى‏»! فحين يترك الإنسان بلا شفاء و لا رحمة يعيش دهره خسارا في يوميه: حيث يبطر إذا أنعم اللّه عليه فاعرض و نئا بجانبه، و يئيس حين يمسه الشر، فمن طبيعة النعمة أنها تطغي و تبطر ما لم يذكر المنعم واهبها فيحمد و يشكر، و الشر و الضر يقنط و يئيس ما لم يرجو اللّه و يأمل، و هنا لك تتجلى القيمة القمة لشفاء القرآن و رحمته، او خساره و نقمته، و كل يعمل على بشاكلته.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى‏ سَبِيلًا (84):

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1، 2)

نور الثقلين 3: 213 في 412 في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه: و انما الشفاء في علم القرآن لقوله:

تنزّل من القرآن ما هو شفاء- للناس و رحمة لأهله لا شك فيه و لا مرية و اهله أئمة الهدى الذين قال اللّه‏ «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا».

(3)

المصدر بنفس السند عنه (عليه السلام) قال: انما الشفاء في علم القرآن لقوله‏ «ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ‏ لأهله لا شك فيه و لا مرية آه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 313

«قل» يا رسول الهدى «كل» من المؤمن و الظالم‏ «يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ» متبنيا كلما يعمله من عمل الايمان و اللّاإيمان على شاكلته الخاصة به «فربكم»: أنتم العاملون، الخالق المدبر لكم‏ «أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى‏ سَبِيلًا» حيث الرب يعلم عمل المربوب بشاكلته! ترى و ما هي شاكلة كل عامل يتبناها في عمله تقوى او طغوى؟ مع العلم انها ليست الشاكلة الصورية؟ الشاكلة صفة لموصوف محذوف فهل هي فطرته؟ و هي لا تختلف فيمن فطر عليها! و لا تتخلف عما هي عليها! و لا تتبعها الأعمال إلّا لمن لم يحجب عنها! ثم و لا تكفي حكما لكل صغيرة و كبيرة، فان لها احكاما عامة يشترك فيها كل المفطورين عليها! ام هي العقلية و الفكرة؟ و هما على اختلافهما بين العاملين، لا تكفيان تبنيا للأعمال، فكثير هؤلاء الذين يعملون اعمالا خلاف فكرهم و عقلياتهم! ام هي مطلق العقيدة التي تتبناها العقلية و الفكرة؟ و رب معتقد بشي‏ء يخالفه في قوله او عمله ام فيهما؟! ام هي النية التي تتبنى العقيدة، ان صالحة فصالحة و إن طالحة فطالحة؟ و كأنها هي «فالنية هي العمل» حيث العامل الأخير لكل عمل هو النية التي تستتبع الإرادة ثم العمل! ثم ترى النية الحاصلة من عقيدة و هي حصيلة العقلية و الفكرة، هل تنتهي الى سجية علينية او سجينية هي لزام كل انسان، إذا فهل الشاكلة الأصلية لكل عامل، و النية و عواملها هي كلها حصيلة تلك السجية، دون تدخل لإرادة العامل؟ و هو جبر في الأعمال التكليفية و يخالف العقل و النقل و

حديث‏ «الشقي من شقي في بطن امه و السعيد من سعد في بطن امه»

مفسرا بعلم اللّه، فانه يعلم من سوف يشقى و يسعد و هو في بطن امه،

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 314

فليست السجية المسيّرة هي الشاكلة، و إنما النية الميسرة و هي حصيلة شاكلة العقيدة الحاصلة عن العقلية و الفكرة، فان ابتدأت هذه من الفطرة غير المحجوبة و تمشت مع الوحي أنتجت الأعمال الصالحة، و إن تخلّفت بداية في سيرها أنتجت الطالحة، و إن كانت بين ذلك عوانا خلطت عملا صالحا و آخر سيئا.

فالنية الصالحة هي التي تنبع من الايمان و توافق سنة اللّه كما

يروى: «لا قول إلا بعمل و لا قول و لا عمل إلا بالنية و لا قول و لا عمل و لا نية إلا باصابة السنة» «1».

فنية كل إنسان على جذورها و فروعها هي شاكلة الإنسان و ماهيته حيث تشاكل عمله و يشاكلها عمله، فانها حصيلة فعلية لطاقاته الروحية كلها، إذا فالإنسان هو النية كما

«ان النية هي العمل» «2»

ف‏

«إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى»

و قد عبرت عنها بالشاكلة لكي تشملها و كل ما تتبناه النية و تتبناها في العمل.

و لان النية هي النبعة الأصلية فالحق يقال‏

«نية المؤمن خير من عمله و نية الكافر شر من عمله»

فللإنسان سبيلان سبيل الهدى و سبيل الردى‏ «فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى‏ سَبِيلًا»: شاكلة، فالسبيل هي الطريقة الشاكلة هدى أو ضلالة، و ما العمل إلّا صورة بينّة عن سيرة و سريرة خفية، و هي هي الصورة الانسانية او البهيمية! كما النية هي شاكلة العمل.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الكافي باسناده الى الامام الصادق (عليه السلام).

(2)

نور الثقلين 3: 214 ح 217 في اصول الكافي باسناده عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: النية أفضل من العمل ألا و ان النية هي العمل ثم تلا قوله عز و جل:

«قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ». يعني على نيته.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 315

و ليست الجزاء إلّا بالعمل اللّهم إلّا في النية الحسنة و لمّا تصل الى العمل ام لا يصل عذرا، فلا عقوبة على النية السيئة خلاف ما يروى‏ «1» اللهم إلّا على العقائد السيئة فانها من اعمال القلوب.

و لان الآية تأتي بعد الايمان و الظلم اللّاإيمان المختلفان فيمن وجّه إليهم القرآن، فليكونا عملا يستتبع الشفاء و الرحمة او الشقاء و الخسار و الزحمة، عملا يتبنى السريرة النية.

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85).

نجد الروح في سائر القرآن- اي روح كان- تذكر في واحد و عشرين موضعا، يجمعها معنويا: ما به الحياة، على مختلف درجات الحياة و مجالاتها، من روح الإنسان: «ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ» (32: 90) «2» و روح الايمان: «أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» (58: 22)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 214 ح 418 علي بن ابراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن المنقري عن احمد بن يونس عن أبي هاشم قال: قال ابو عبد اللّه (عليه السلام): انما خلد اهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا اللّه ابدا و انما خلد اهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا اللّه ابدا فبالنيات خلد هؤلاء و هؤلاء ثم تلا قوله تعالى‏ «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ».

أقول: قد فصلنا البحث عن الخلود و حدوده في بابه أوائل هذه السورة و في النبأ، و هنا أقول ليس المخلدون في النار كلهم على هذه النية و لا المخلدون في الجنة، و الآيات الحاصرة الجزاء بالعمل تنافي العقوبة على النية، و إما الثواب على النية فمن فضل اللّه!.

(2) كما و في: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» (15: 29) و 38:

72).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 316

و روح الوحي أيا كان: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ» (40: 15) «يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» (16: 2) من كتاب سماوي و روح قدسي و قد يخص روح القرآن و الروح القدسي لرسول القرآن: «وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» (42: 52) ام روح القدس بوجه عام: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ...» (102: 16) «وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (2:) 87) و الروح المتنزل مع الملائكة ليلة القدر و القائم و العارج معهم يوم القيامة: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها ...» (97: 4) «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ ...» (78: 38) «تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ ...» (70:) 4).

فالروح- إذا- هو ما به حياة انسانية- ايمانية- حياة الوحي و الروح القدسي، ام حياة منفصلة كالروح الأمين و الروح زعيم الملائكة، فالروح القدسي و الوحي هما روح الأرواح المتصلة كما الأخيران همان روح الأرواح المنفصلة، مهما كان قبل الخمسة روح النبات و روح الحيوان.

و آية الروح- هذه- أعم آياتها تجردا عن قيود، و أهمها جوابا عن كيانه أيا كان، فهي الآية الأم دلالة و مدلولا، و إن كان الروح القدسي و روح القرآن هما القدر المعلوم المتيقن هنا حيث احتفت ب‏ «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ...» و: «لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ»! و لكنه لا يخص روح القرآن حيث الفصيح إذا «عن روح القرآن- او عن وحي القرآن» و إنما عناه كما عنى سائر الأرواح من نباتية و إلى قدسية في القمة، متصلة و منفصلة! «وَ يَسْئَلُونَكَ» المضارع، رغم مضي السؤال تلمح بالاسئلة المستقبلة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 317

طول سني الرسالة الإسلامية، إضافة الى الاسئلة الماضية «1»، من اي كان في اي زمان و عن اي من الأرواح‏ «عَنِ الرُّوحِ» كجنس يستغرق الأرواح كلها، و من أية ناحية حول الروح.

فكل سؤال في العهدين: المكي و المدني حول الروح أيا كان في الفترة الرسالية زمن الرسول، و كل سؤال يطرح في عهد الإمامة او يطرح زمن الغيبة الكبرى و الى يوم الدين، تشمله‏ «وَ يَسْئَلُونَكَ» كما و «عَنِ الرُّوحِ» تشمل الأرواح بجنباتها، اسئلة تضرب إلى اعماق الماضي الرسالي و مستقبله، فليكن الجواب: «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» جوابا عن كل سؤال طرح او يطرح حول اي من الأرواح: هل هي مادية ام مجردة؟ أزلية أم حادثة؟ و على حدوثها فمن ذا الذي أحدثها و ما هي ذاتها و كنهها؟

و «أَمْرِ رَبِّي» هو بين الشي‏ء و الفعل و مقابل النهي تكوينيا او تشريعيا، و لا معنى ل «من شي‏ء ربي»! فهل شي‏ء ذاته؟ فإشراك! ام من شي‏ء غيره؟ فلما ذا الشي‏ء بدل الفعل!:

و لا يعني «من فعل ربي» حيث الفعل قد يكون بحاجة الى تدرّج‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 199- اخرج احمد و البخاري و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن حبان و ابن مردوية و ابو نعيم و البيهقي معا في الدلائل عن ابن مسعود (رضي اللّه عنه) قال: كنت امشي مع النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) في خرب المدينة و هو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح و قال بعضهم لا تسألوه فسألوه فقالوا: يا محمد! ما الروح؟ فما زال يتوكأ على العسيب و طننت انه يوحى اليه فأنزل اللّه‏ «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» و أخرجه مثله جماعة من هؤلاء عن ابن عباس عنه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بزيادة قالوا: أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة و من اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فأنزل اللّه: «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 318

و معدات قد لا تحصل و ليس هكذا فعل ربي، و لا من أمره التشريعي و ان كان هو الوحي، إذ يصدر بأمر تكويني مهما حمل تشريعا أم سواه، إذا فهو الأمر التكويني بمجرد الإرادة بتدرّج ام دون تدرج، فمن أفعاله تعالى ما فيه تدرّج لحكمة تتطلبه كتبديل مادة الى اخرى، و منها ما لا تدرّج فيه كخلق المادة الأولية لا من شي‏ء، و لا يتصور في إبداعها التدرج، و كخلق الروح الانساني إذ يخلق بعد كمال البدن حصيلة و سلالة عن البدن دون تدرج، مهما كان من الأرواح الأخرى ما فيها التدرج كروح القرآن المفصل، و اما روح العصمة القدسية و روح الايمان فلا تدرج فيها إلّا في مراتبها، و «أَمْرِ رَبِّي» الارادة التكوينية تشمل المتدرجة و غيرها سواء، فبأمره و إرادته تحصل الأرواح نباتية و حيوانية و انسانية و ايمانية و قدسية متصلة و منفصلة و روح الوحي، دون ان يكون للخلق شأن فيها إلا ظرفا يقبل منزلا لهذا الأمر، دون ان يكون الأمر لزامه إلّا «مِنْ أَمْرِ رَبِّي»! فالروح أيا كان هو من شؤون ربوبيته الخاصة، مهما كان الجسم متطورا بفعل الخلق حسب طاقته! و تلكم الأسئلة الاربعة مضروبة في الأرواح السبعة تصبح ثمانية و عشرين سؤالا ثم و «مِنْ أَمْرِ رَبِّي» اجابة جازمة عما سوى اسئلة الكنه و الذات، «ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» يعمها و عدم الاجابة عن الذات.

فعن روح القرآن: الوحي- هل إن كلام اللّه حادث او قديم؟ انه‏ «مِنْ أَمْرِ رَبِّي» و كل امر ربي حادث فإنّه فعله دون ذاته و صفاته.

و هل إنه نتيجة تكامل العقل، فهو- إذا- يوحي الى صاحبه؟ ام هو عند تمامه و كماله يوحى اليه من ربه، فهو هناك «من أمرنا» و هنا نتيجة حاصلة عن «أمرنا» و فيهما هو من امر الإنسان مهما اختلفا، و الجواب‏ «مِنْ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 319

أَمْرِ رَبِّي» من فعله و ارادته مهما يطلب ظرفا يناسبه هو كمال العقل و تخلص القلب عن كل كدرة و ظلمة، فهو من فضل ربي بداية و على كدح مني، ثم‏ «مِنْ أَمْرِ رَبِّي» نهاية:

ثم و روح الإنسان حادث بارادة ربي- إذا- فمادية، حيث الأمر الفعل من ربي- و هو خلقه- لا يشبهه تجردا إلهيا، فليس إلّا ماديا مهما كان رقيقا كأنه تجردي.

الروح مخلوق كما الجسم مخلوق و هما من أصل المادة على اختلافها في الشفافيّة و الكدرة، و لكنما الجسم في غير المادة الأوّلية يخلق تبدّلا على تدرّج اللّهم إلّا في خوارق العادات كقلب العصى حية تسعى، و أما الروح فهو مخلوق كلمح البصر، اللّهم إلّا في روح الوحي المفصل كتفصيل الكتاب، و سائر الأرواح مخلوقة لمح البصر أو هو أقرب، و لذلك يقيد إلقاءه ب «من أمره» و وحيه كروح القدس المتصل بقلوب المعصومين «من أمرنا».

لا يعني الأمر في الروح إيجاد المجرد مقابل الخلق إيجادا للمادة و كما تقوّلوا في‏ «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ» (7: 54) فانه أمر التدبير بعد الخلق، فكما له خلق الكون بروحه و جسمه، كذلك أمر الكون بتدبيره، و يشهد لذلك الآية نفسها «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ» فان استواءه على عرش الخلق بروحه و جسمه هو أمر التدبير، فكما له امر التكوين كذلك له التدبير دونما ندّ له في اي الأمرين.

و لو كان الأمر هو إيجاد المجردات لم يخص تدبيره بالأمر في‏ «ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» (10: 3) «وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 320

(10: 31) بل عمّه و الخلق!.

ثم‏ «وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» (54) 50) قد يعني أمر القيامة «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» (16: 77) أم إذا شملت الإرادات التكوينية الإلهية ف «واحدة» تفسرها على سبيل البدل، فكل خلق لنا واحد حقيقي دونما حاجة إلى معدات مركبات، و انما كلمة «كن» التكوينية! لنا ادلة من القرآن و السنة و العقل على ان الروح مادية الحدوث و البقاء، فلا هو مجرد حدوثا و بقاء، و لا مجرد بقاء على ماديته في الحدوث، و اما القرآن.

فقد توحي لكون الروح الانساني من عالم المادة، مهما لطفت لحد لا تبصر و لن- آية الإنشاء: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» (23: 14).

ف «الإنسان» لا جسمه فقط او روحه فقط- تلمح كتصريحه أنه مجموعة الإنسان، و أحرى بروحه ان يعنيه فانه ما به الإنسان انسان! هذا الإنسان مخلوق بجزئيه من سلالة من طين كأصل‏ «ثُمَّ جَعَلْناهُ» في أنساله، و كما بدء في أصله الاول. آدم‏ «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ» (32: 8) و مفترق الطريق بين الإنسان الاول و نسله‏ «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ» و «ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً ... فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً» تبيينا لمراتب خلقه التكاملي في جسمه لائحا، و أما الروح المزيج في أصله مع جسمه فلا يلوح منه شي‏ء حتى الآن و إلى‏ «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 321

هنا خلق اوّل بجزئيه من طين ثم نطفة فعلقة فمضغة فعظام مجردة، فكسونا العظام لحما و في كل هذه المراحل هو في خلقه الأوّل، مهما كان روحه باجزاءه الأولية مندغما في جسمه و لمّا يظهر و يتبلور بآثاره، فهناك في مراحله الأربع قبل كمال البدن، ليس البدن و الروح إلا بالقوة و مع اكتمال البدن يصبح البدن بالفعل و الروح فيه بالقوة القريبة الى الفعل، و «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» إظهار للروح الى الفعلية! «خَلْقاً آخَرَ» ليس هو الأول و إلّا فلما ذا الإنشاء بعد خلقه، و لماذا الآخر بعد وجود الاول! هذا الخلق الآخر ليس هو الاول بعينه، و لكنه من الاول تبديلا له بعضا لا كلا الى خلق آخر، حيث البدن الظاهر هو البدن، فليكن الآخر شيئا منه غير مرئي، كان كالأوّل ثم تبدّل بذلك الإنشاء سلالة لطيفة منه غير مرئية، و كما انه في جسمه سلالة السلالات، ترى و ما هو الدليل أنه منه رغم أنه آخر؟.

«ثُمَّ أَنْشَأْنا» تصريحة بإنشاء مركب، فلم يقل «ثم انشأنا له خلقا آخر» حتى يكون الروح خلقا آخر يختلف عن البدن تماما، بانفصال مطلق دون اتصال ذاتي ام ولادي، حتى يحتمل كونه مجردا عن مادة! و لا أن‏ «أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» بمعنى خلق البدن كما هو مرة اخرى تحصيلا للحاصل! و إنما إنشاء للبدن بعد تمامه، خلقا آخر منه بعضا لا كلا، فالخلق الآخر الروح او المركب منه و الجسم، منشأ بعد كمال البدن، انتشاء كسلالة خاصة من البدن، حتى يصح القول‏ «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ»، فكما البدن هو سلالة السلالات، كذلك الروح سلالة لطيفة من أجزاء بدنية لها صلاحية الإنشاء روحا دون سواها، و لعله يعنيه‏

الحديث‏ «انه من الملكوت»

: حقيقة غير مرئية و سلالة خفية من الجسم فهو من الملك و الروح من الملكوت! حيث الملكوت هي حقيقة الملك، و منها ما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 322

هي مع الملك كونا و كيانا، و هو كل خلق لا يرى و منه الروح أيا كان، و منها ما ينفصل عن الملك كونا و كيانا و هي ما عند اللّه من حقيقة الإرادة التكوينية و منها.

فكما تتسلل سلالة من الوردة هي العطر ثم تمزج بالوردة غير المزج الاول، فالعطر كان مع الوردة ما كانت وردة، ثم أخذ عصرا عنها كسلالة، ثم مزج بالوردة، فالعطر أولا هو الوردة كجزء منها مزيجة، و ثانيا هو خلق آخر مزج في الوردة، و هنا يصح القول في عطر الوردة:

«ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» و إن كان بين الوردة و عطرها، و البدن و روحه بون، حيث البدن ظاهرا هو البدن قبل تسلل الروح منه و بعده، دون الوردة! فآية الإنشاء تجعل الروح سلالة لطيفة من البدن بعد اكتماله، كما تجعل النطفة سلالة من طين، و بينهما عوان في السلالات التكاملات، و الروح بأصله مخلوق مع سلالة النطفة من طين، و لكنما الفعلية الروحية الحيّة ليست إلّا بعد «فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً» بتراخ كما توحي به «ثم».

فكما «ثم» في تسلل النطفة من طين تتطلب تراخيا، كذلك «ثم» في تسلل الروح من البدن، و من ثم التكاملات العوان بين ذلك متفرعة على بعض بالفاء، لا للفصل الزمني فحسب، بل و الفصل في المكانة، فأين طين و مني يمنى سلالة من طين، و نطفة تجعل في قرار مكين، و من ثم أين الخلق الاوّل من الإنسان المكتمل في الهيكل البدني و اين الخلق الآخر:

روحه المتسلل من ذلك الهيكل؟

و محتملات إنشاء الروح بعد اكتمال البدن كالتالي:

1- انشأه اللّه لا من شي‏ء كما المادة الاوّلية؟ و لا يناسبه «أنشأناه» فإنه إنشاء ثان للبدن، و ليس إنشاء بسيطا للروح لا من شي‏ء!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 323

2- أنشأه اللّه من شي‏ء غير البدن، مجردا ام مادة؟ و كذلك الأمر! 3- أنشأه اللّه من شي‏ء ذاته سبحانه؟ فكذلك! إضافة الى استحالته الذاتية و ان‏ «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» لا» «من شيئه الذاتي»!.

4- انشأه اللّه من شي‏ء بدنه، إنشاء مركبا يعني تبديل البدن بعد خلقه الاول خلقا آخر بتمامه؟ و البدن هو البدن فأين الآخر؟! هكذا و لكنه تبديل لأجزاء لا نعلمها من البدن الى روح، ثم نفخه فيه لا ككونه قبل إنشاءه الثاني فانه الخلق الاوّل، و إنما تبديلا لألطف اجزاءه، ام تلطيفا لما يصلح إنشاءه روحا، ثم نفخه فيه، فهو الإنسان المنشأ خلقا آخر حيا يعقل، بعد ما انشأ خلقا اوّل ميتا لا يعقل، اللّهم إلّا في حياة نباتية و حيوانية جرثومية هما مع النطفة الى العظام و كسوها لحما، فميزة الخلق الآخر ليست بذلك البدن بروحيه حيوانا جرثوميا و نباتيا، و انما بالروح الإنساني عقلا و الروح الحيواني للإنسان.

هذه آية محكمة بيانا مكينا متينا كما نفهم لكيان الروح، أنه منشأ من البدن بعد اكتماله: فمنفوخ فيه بعد انفصاله، كما تدل عليه آيات النفخ، إذ يتطلب كونه خارج البدن حتى يصح نفخه فيه، و آية الإنشاء تحكم بخلقه من البدن، و نتيجة التجاوب بينا هي إنشاءه من البدن ثم نفخه فيه! هذا و من ثم آيات النفخ‏ «1» و البعض من روايات الروح‏

«انه جسم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالتي تقول‏ «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» «وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» تدلنا على ان الروح تمكن في البدن، لا خارجه و لا دون مكان، و المجرد عن الجسم ليس له مكان، حيث المكان أيا كان محدود و المجرد لا محدود، ثم الروح الماكن في البدن له حدود و ابعاد مثل ما للبدن ام اقل و لا حدود و ابعاد للمجرد عن المادة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 324

رقيق قد ألبس قالبا كثيفا» «1»

«مادته من الدم».

.. «ليس لها ثقل و لا وزن» «2»

: و دليل العقل‏ «3» شهود ثلاثة على عدم التجرد المطلق للروح الإنساني، و انما تجرد نسبي يعني انه طاقة عاقلة تنبثق من الهيكل الانساني بعد اكتماله فهو مادي دون تجرد، سلالة من البدن تدبره و هي حياته كسائر الحياة في نشأتي البرزخ و القيامة، ثم لا نجد و لا إشارة او تلميحة عن عقل او كتاب او سنة أنه مجرد عن المادة إطلاقا، بل هو طاقة مادية

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1، 2)

نور الثقلين ج 3: 217 ح 433 في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) حديث طويل و فيه‏ قال السائل: اخبرني عن السراج- الى قوله-:

و الروح جسم رقيق قد البس قالبا كثيفا ... قال: فأين الروح؟ قال: في بطن الأرض حيث مصرع البدن الى وقت البعث قال: فمن صلب اين روحه؟ قال: في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض، قال: فاخبرني عن الروح أ غير الدم؟ قال: نعم الروح على ما وصفت لك مادته من الدم و من الدم رطوبة الجسم و صفاء اللون و حسن الصوت و كثرة الضحك، فإذا جمد الدم فارق الروح البدن، قال: فهل توصف بخفة و ثقل و وزن؟ قال: الروح بمنزلة الريح في الزق إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها فلا يزيد في وزن الزق و لوجها فيه و لا ينقصها خروجها منه كذلك الروح ليس لها ثقل و لا وزن».

(3) المجرد في ذاته غني عن موجد او محوّل و مبدّل فلا يخلق و إنما يخلق، فلو أن اللّه خلق الروح مجردا عن المادة، جاز ان يكون هو ايضا مخلوقا، و عدم جواز الحدوث لذات اللّه ليس إلّا لتجرده عن مطلق المادة فأزلي غني عما سواه، فحدوث الروح إذا يعني كونه ماديا، كما أزليته تعني تجرده، و تجرده يعني أزليته! ...

و ضرورة مجانسة العلة و المعلول ليست الا في العلة الوالدة حيث تلد المعلول، اما بتحولها تماما الى المعلول ام بعضا أما ذا، و اما العلة الخالقة فالضرورة فيها عدم المجانسة حتى يمكن إيجادها الشي‏ء لا من شي‏ء، و الضابطة القائلة «الفاقد للشي‏ء لا يعطيه» ليست الا في العلة الوالدة، و اما الضابطة في العلة الخالقة فهي «ان تجد العلة القدرة على إيجاد المعلول لا من شي‏ء او من شي‏ء هو خلقه» و اما ان تجد ذات المعلول في ذاتها فذلك يحيل خالقيها الى الوالدية!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 325

تساكن بدنا ما و بها حياته، مادي الولادة، و مادي البقاء، و مادي التعلق في مثلث الحياة:

و ترى هل للروح ثقل و أبعاد و لون أم ماذا كما للجسم؟ لا ريب في أن له كلما للجسم كجسم لا كأجسام خاصة، فالروح تشارك سائر المادة في أصل المادية الطاقة، و تخالفها في الحياة و التعقل أماذا من شؤون فلا هي مادة كسائر المواد، و لا طاقة كسائر الطاقات، بل هي طاقة خاصة حية شاعرة عاقلة، و طبعا لها أبعاد و ثقل و إن لم توزن بما عندنا من ميزان، و لا تحدّ بما عندنا من مقياسات، و لأنها لا تحس و لا تلمس و لا تدرك بالحواس الخمس.

و ما

في الحديث ان‏ «ليس لها ثقل و لا وزن»

نفي لما عندنا من موازين الثقل و الوزن، فكما ان الريح في الزق لها وزن، كذلك الروح في الجسم، مهما لم نسطع على وزنه!.

و في حديث مجانسة الروح للريح تصريح انهما مثلان في الطاقة المادية و اللطافة، مهما اختلفا في الطاقة العقلية و الحيوية ككل! كما و تؤيده آيات النفخ‏ «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 216 ح 429 في كتاب التوحيد باسناده الى عبد الحميد الطائي عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول اللّه عز و جل‏ «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» كيف هذا النفخ؟ فقال: ان الروح متحرك كالريح و انما سمي روحا لأنه اشتق اسمه من الريح و انما أخرجت على لفظ الروح لان الروح مجانس للريح، و انما اضافه الى نفسه لأنه اصطفاها على سائر الأرواح. كما اصطفى بيتا من البيوت فقال: «بيتي» و قال لرسول من الرسل: «خليلي» و أشباه ذلك و كل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر.

و

فيه ح (234) في كتاب كمال الدين و تمام النعمة باسناده عن محمد بن علي الثاني (الامام الجواد (عليه السلام)) قال: اقبل امير المؤمنين ذات يوم و معه الحسن بن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 326

فالتجرد المطلق للروح هرطقة مطلقة، ان تكون مجردة الذات ولادة او بقاء و مجردة التعلق، كذلك و ان الروح هي الهيكل الجسماني او الدم ام ماذا مما يرى، و يتلوها تجرده في كونه و تعلقه في كيانه، بل هو طاقة عاقلة متسللة عن البدن، يدبر البدن و لا يعيش إلّا في بدن أيا كان من الثلاثة، اللّهم إلّا أرواح عالية لا تحتاج الى بدن إلّا تجربة و امتحانا.

و «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» بيان لكيان الروح أنه من فعل اللّه و إرادته في كلمة التكوين «كن» فهو حادث دون تجرد مطلق، و أما ما هي حقيقته و ملكوته فلا جواب إلّا انه «من الملكوت» فليس الروح إذا تجردي الحدوث و البقاء، و لا مادي الحدوث تجردي البقاء و لا عكسه بل هو مادي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

علي و سلمان الفارسي و امير المؤمنين (عليه السلام) شك على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة و اللباس فسلم على امير المؤمنين (عليه السلام) فرد عليه السلام فجلس ثم قال: يا امير المؤمنين (عليه السلام)! اسألك مسائل الى ان قال في جواب السؤال: اخبرني عن الرجل إذا نام اين تذهب روحه- و المكلف في الجواب الحسن (عليه السلام): اما ما سألت عنه من امر الإنسان إذا نام اين تذهب روحه؟ فان روحه معلقة بالريح و الريح معلقة في الهوى الى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة فإذا اذن اللّه برد تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح و جذبت تلك الريح الهوى فرجعت الروح فأسكنت في بدن صاحبها و ان لم يأذن اللّه عز و جل برد تلك الروح على صاحبها جذب الهوى الريح و جذبت الروح فلم ترد الى صاحبها إلّا الى وقت ما يبعث ...».

و

في الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) حديث طويل و فيه‏ قال السائل: فاخبرني ما جوهر الريح؟ قال: الريح هواء إذا تحرك سمي ريحا فإذا سكن سمي هواء و به قوام الدنيا و لو كفت الريح ثلاثة ايام لفسد كل شي‏ء على وجه الأرض و نتن و ذلك ان الريح بمنزلة المروحة تذب و تدفع الفساد عن كل شي‏ء و تطيبه فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن و تغير تبارك اللّه احسن الخالقين».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 327

الحدوث و البقاء «1».

فالقول ان لا جواب في الآية إلّا اللّاجواب، فلأنكم ما أوتيتم من العلم إلّا قليلا، إذ لا تتحملونه إلّا قليلا فلا جواب إذا عن الروح، إنه ليس في شي‏ء من الصواب، فاللّاجواب يكفيه‏ «ما أُوتِيتُمْ» و «مِنْ أَمْرِ رَبِّي» جواب، حيث ينفي كونه امرا مستقلا دون الرب فأزليا مجردا، ام حادثا بغير امر الرب!.

كما القول: إنها جواب بتجرد الروح، حيث الأمر يقابل الخلق، كما «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» (7: 54) فالأمر هو كلمة «كن» في إيجاد المجردات دون تدرج، و الخلق في إيجاد الماديات بتدرج ... ذلك ايضا تأويل عليل خال عن الدليل.

فالقرآن يعبر عن كل حادث بالخلق‏ «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً» (25: 2) فهل الروح لا شي‏ء، ام شي‏ء ازلي إلهي، ام شي‏ء حادث، و الشيئية الحادثة مخلوقة دونما استثناء: وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيمٌ. ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَكِيلٌ» (6: 102) «إِنَّا كُلَّ شَيْ‏ءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ، وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» فكل شي‏ء مخلوق للّه، و ما أمره في خلق كلّ شي‏ء إلّا واحدة. ارادة واحدة- كلمح بالبصر «2» خلاف‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في الاحتمال الثاني و عكسه تناقض، فمادية الحدوث تجعل كيانه طاقة مادية سلالة عن البدن، فكيف إذا بالإمكان انتقاله عن ماديته الى تجرد، تحولا لنقيض الى نقيض آخر، ام و لأقل تقدير الآن المشترك بين المادية و التجرد و هو آن التحول هو مجمع النقيضين، فمهما تكامل الروح و لا يصل الى حد التجرد و انما يرقّ و يتلطف أكثر مما كان تقدما في العلم و المعرفة دون طفرة و قفزة من نقيض الى نقيض!.

(2) راجع ج 27 ص 503 تفسير الآية «وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 328

كل آمر و مريد سوى اللّه، حيث يحتاج في تحقيق مراده الى مقدمات قد لا يقدر عليها، او تحتاج الى مضي زمن ام ماذا، و لكن اللّه ليس أمره إذا يأمر إلّا واحدة. ارادة واحدة لكل وحدة خلقية، دون حاجة الى معدات اخرى.

ف‏ «أَمْرِ رَبِّي» يعني فيما يعني: أن الروح‏

«خلق من خلق الله، و انه يزيد في الخلق ما يشاء» «1».

و آية الخلق و الأمر لا تعني الا إيجاد الكون و تدبيره انهما من اللّه، لا أنه الخالق و المدبر غيره، او انه المدبر و الخالق غيره و كما تبينه الآية نفسها.

فعالم الخلق هو الارادة التكوينية لاي شي‏ء مكوّن، و عالم الأمر هو الإرادة التدبيرية لاي مكون، دون تفلت و تخلف هنا و هناك.

ان تفسير الأمر بإيجاد المجردات تنافي اللغة و الآيات، فالأمر شي‏ء و فعل و مقابل النهي، ف‏ «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» لا يعني انه من شي‏ء ربي، انه جزء من الشيئية الربوبية، و انما من فعل ربي و ارادته، كما ان العالم كله من فعله و ارادته، سواء كان متدرج الكون ام دفعي الكون، فالمادة الاولية دفعية الوجود، و غير الاولية منها دفعية و منها تدريجية، و تفسير الأمر التكوين للّه بانه كلمح البصر او اقرب لا يعني إيجاد المجردات، و انما الإيجاد اي إيجاد، فلا تدرج في حصول مرادات اللّه، مهما نرى تدرجا في خلق اللّه! ف‏ «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ: فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (36: 83).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 3: 215 ح 425 في تفسير العياشي عن زرارة قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول اللّه‏ «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» قال:

خلق ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 329

هنا ملك و هنا لك ملكوت، و الملك هو الظاهر من كل شي‏ء، و الملكوت هي حقيقة ملكه و تعلقه باللّه و هي كلمة «كن» التكوينية، فكما ان لكل شي‏ء ملكا كذلك له ملكوت، ملكه ظاهر و ملكوته باطن:

او ان الكون ينقسم الى ملك هو الظاهر كالجسم، و الى ملكوت هو الباطن كالروح.

ام ان المعنيين هما معنيان فالروح من عالم الملكوت أيا كان، و لها ملكوت هو حقيقة التعلق باللّه.

و هنا «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» تفسير «من روحي» في آياتها «1» أن «من» هنا لك نشوية لا جنسية، فليست الروح جزء من ذات الرب و لا متولدة منها إذ ليس للرب روح و جسم حتى يكون الروح من روحه، و انما «مِنْ أَمْرِ رَبِّي»: فعله و إنشاءه! هذا روح الإنسان و من ثم روح الايمان‏ «2» فإن كتبه و تأييده من اللّه مهما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» (32: 9) «فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» (38: 72) و (15: 29) «وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى‏ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» (4: 171).

فالروح أيا كان هو من امر الرب و ليس من ذاته.

(2)

نور الثقلين 3: 216 و 426 تفسير العياشي حمران عن أبي جعفر و أبي عبد اللّه (عليه السلام) عن قوله‏ «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ» قالا: ان اللّه تبارك و تعالى احد صمد و الصمد الشي‏ء الذي ليس له جوف، فانما الروح خلق من خلقه بصر و قوة و تأييد يجعله في قلوب المؤمنين و الرسل.

و

فيه عن اصول الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب الخزاز عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) قال: سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» قال: خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و هو مع الائمة يسددهم و ليس كلما طلب وجد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 330

كانت عقيدته و عمله في البداية من الإنسان: «أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» (51: 22).

كذلك و روح العصمة القدسية «1» و روح الوحي: «و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان، و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا (42: 52) «يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» (16: 2) «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ» (40:) 15) «2».

و كذلك الروح الأمين‏ «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى‏ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ» (26: 194) و هو روح القدس‏ «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ (102: 16) «فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا» (19: 17) و من ثم «الروح» زعيم الملائكة و ليس منهم: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» (97: 14) «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً» (78:) 37) «تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ» (70: 4). و كل هذه‏ «مِنْ أَمْرِ رَبِّي».

ففي وحي الرسالة المحمدية يتنزل الروح الأمين من أمر اللّه بأمر اللّه، و على روح الرسول الأمين من أمر اللّه بأمر اللّه، بالروح القدسي الرسالي من أمر اللّه بأمر اللّه، و بالروح الوحي القرآني من أمر اللّه بأمر اللّه، أرواح اربع كلها «من امر ربي و بأمر ربي» كونا و كيانا و نزولا و نازلا و منزلا:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نفس المصدر السابق.

(2) راجع لتفصيل آخر عن الروحين و سواهما الى سورة الشورى عند الآية «وَ كَذلِكَ.

أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» و كذلك سورة القدر.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 331

فالروح القدسي الرسالي المحمدي بوحيها هي روح الأرواح كلها، و سائر الأرواح أبدان لها، من سفلي هو روح الإنسان و من علوي هو روح الرسالات غيرها و بينهما متوسطات عوان.

تلكم الروح القدسية في محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و المحمديين من عترته أعظم من جبريل و ميكال و من الروح زعيم الملائكة و هي كسائر الأرواح من أمر اللّه دون سواه.

وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.

هنا مثلث من الاحتمالات في مخاطب‏ «ما أُوتِيتُمْ» انهم هم المشركون ام السائلون عن الروح أم العقلاء اجمع، ثم العلم قد يعني العلم المطلق، و اخرى مطلق العلم وحيا او سواه. و ثالثة العلم بحقائق الأشياء، ثم قليلا قد يعني قليلا من العلم و اخرى قليلا منكم، فمجموعة المحتملات ثمانية عشر، قد تعنيها الآية كلها، على مراتبها في درجاتها ادبيا و معنويا! و قد تصدق بعضها روائيا.

فهم «الذين لم يؤتوا من اللّه فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال و شبهوه بالمشابهة فيما جهلوا به فلذلك قال‏ «وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» فليس له شبه و لا مثل و لا عدل» «1» فتعالى ان تكون الروح شيئا من ذاته المقدسة كما يهرفه الخارقون و يكذبه العارفون.

و هم الخلق أجمعون ف «لم يؤت من العلم إلّا أناس يسير فقال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين ح 439 كتاب التوحيد باسناده الى حنان بن سدير عن أبي عبد اللّه (ع) حديث طويل يقول فيه‏ «و وصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم منهم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 332

«وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» «1».

ف «قليلا» من العلم قلة في قلة في قلة أوتيها العالمون اجمع مهما كان نصيب اصحاب الوحي على مراتبهم أوفر ثم من يليهم، و «قليل» أوتوا قلة واحدة هي «من العلم المطلق» هم رجالات الوحي و أضرابهم، إذ لم يؤتوا على علّاتهم إلّا قليلا من علم الغيب، مهما كان كثيرا و جاه الآخرين، فانه قليل و جاه رب العالمين‏

«و ما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله» «2».

فأين هذه القلة القليلة من العلم و النيل من حقيقة الروح كما اللّه يعلم، و قد يعلم من حقيقتها أولياءه الخصوص بعضا لا كلا، حيث العلم المطلق بحقيقة شي‏ء هو القدرة المطلقة على إبداعها، و «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ»؟ ثم لا يعلم هذه القلة سائر الخلق، و إنما يعلمون بما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 219 ح 438 تفسير العياشي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (ع) في قول اللّه‏ «وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قال: تفسيرها في الباطن انه لم يؤت العلم الا أناس يسير فقال: «وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» «منكم»

أقول و قليلا في نصبها استثناء عن العلم و رفعها استثناء عن ضمير الجمع في‏ «ما أُوتِيتُمْ» و يجوز ان يرادا معا و اللفظ منصوب لرجاحة احتماله على الآخر.

(2)

المصدر ح 437 تفسير القمي‏ ان اليهود سألوا رسول اللّه (ص) عن الروح فقال‏ «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» قالوا: نحن خاصة؟ قال: بل الناس عامة، قالوا: فكيف يجتمع هذان يا محمد! تزعم انك لم تؤت من العلم الا قليلا و لقد أوتيت القرآن و أوتينا التورية و قد قرأت‏ «وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ» و هي التورات‏ «فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً» فأنزل اللّه تبارك و تعالى‏ «وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ» يقول: علم اللّه اكبر من ذلك و ما أوتيتم كثير فيكم قليل عند اللّه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 333

اوحى اللّه مثلثا من علم الروح كما تفيده‏ «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» حدوثا و مادية في كونه و انه‏ «مِنْ أَمْرِ رَبِّي» في كيانه.

فإذ لا علم بالروح إلا قليلا للأقلين ثم القليلين فبأحرى لا طاقة لخلقه و تحصيله لأحد من العالمين! فما الروح أيا كان‏ «مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»! و

يروى‏ «لقد قبض الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم»

و ما يعلم الروح» «1» بحقيقته أيا كان، اللّهم إلّا قليلا، و له في وحيه مثلث الروح: منزلا هو روح العصمة في قلبه، و منزلا به هو روح القدس جبريل ام الروح عظيم الملائكة، و نازلا هو روح الوحي قرآنا و سواه من وحي.

و كمثال على عدم استقلاله (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) على مكانته العليا، في تحصيل الروح أيا كان، من وحي و روح العصمة القدسية، يتهدده ربّه خطابا بإياك اعني و اسمعي يا جارة، ان ليس الوحي و مثيله حصيلة كمال العقل و نبوغه (وحي العقل) و لا ان ذلك علة تامة في حصوله لكي تقتضي بقاءه على اية حال، و إنما هو أمر من أمر الرب يهبه لمن يشاء و يصرفه عمن يشاء: و لئن ...

وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا. إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً (86).

لو ان هذه الروح او تلك كان من أمرك ككل أمر منك، فلا تذهب إذا عنك، حيث الاستقلال في الحصول على شي‏ء يمنع الاستغلال في الذهاب به دون خيره المستقل- رغم أننا «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» من روح قدسية و من وحي ...

لقد شاء اللّه ان يحتبس الوحي عن رسوله لفترة قصيرة لحكم شتى،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 4: 200- اخرج ابن أبي حاتم و ابو الشيخ عن عبد اللّه بن بريدة قال.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 334

منها التبيين انه من امر اللّه لا من أمره دون ودع و لا قلى: «ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى‏ ...» و لئن شاء لذهب بكل الذي اوحى اليه من روح النبوة و الوحي و لكنه لا يشاء حيث اصطفاه برسالته على علم.

فربه هو يقرءه وحيه و هو الذي يبقيه و لا ينسيه‏ «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى‏» و هو الذي يسدده دوما حتى لا يكاد يركن الى غيره و لو شيئا قليلا «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا» إذا ف‏ «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» لا أمري فضلا عن غيري!.

إن الروح الأمين هو من أمره و ينزّل بالروح إليك من أمره، فليس هنا و هناك في امر الوحي إلّا أمره لا سواه.

إنه تعالى لا يريد و لن ان يذهب بالذي أوحى اليه‏

«و قد يعلم ما لا يريده ابدا» «1»

«و ان كان قادرا على ما لا يريده ابدا» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 219 ح 440 في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا (ع) مع سليمان المروزي حديث طويل و فيه قال الرضا (ع): يا جاهل فإذا علم الشي‏ء فقد اراده؟ قال سليمان: اجل- قال: فإذا لم يرده لم يعلمه؟ قال سليمان: اجل، قال:

من اين قلت ذاك و ما الدليل ان ارادته علمه و قد يعلم ما لا يريده ابدا و ذلك قوله:

«وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» فهو يعلم كيف يذهب و لا يذهب به ابدا؟ قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئا، قال الرضا (ع): هذا قول اليهود فكيف قال: ادعوني استجب لكم «قال سليمان: انما عنى بذلك انه قادر عليه، قال:

أ فيعد ما لا يفي به؟ قال‏ «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ» و قال عز و جل: يمحو اللّه ما يشاء و يثبت عنده علم الكتاب و قد فرغ من الأمر؟ فلم يحر جوابا و في كتاب التوحيد مثله سواء.

(2)

المصدر ح 441 في كتاب الاجتماع للطبرسي عن الرضا (ع) حديث طويل‏ و في آخره قال سليمان ان الارادة هي القدرة، قال الرضا (ع) و هو يقدر على ما لا يريد ابدا لا بد من ذلك لأنه قال تبارك و تعالى‏ «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ» فلو كانت الارادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به بقدرته، فانقطع سليمان ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 335

و فيما لو ذهب بالذي اوحي اليه من روح النبوة او روح الوحي‏ «لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا» توكله او يتوكل عنك في استرجاعه‏ «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» هي الوكيل لك لا سواها ف «إن الله غالب على امره» و الروح من أمره! «إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً» كما استمر في وحيه عليك بعد انقطاعه ردحا من الزمن دون ودع و لا قلى.

و اما انقطاعه لودع او قلى حيث هما في خيانة الرسالة لا سواها: «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ» فانه انقطاع دائب لا رجوع فيه و لا رحمة تعتريه: «لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ ...» (69: 46)!

و لكنه ليس بالذي يخون في رسالته او يزيغ‏ «1» او يخطر بخلده، و ليس اللّه ليبعث من يخون.

و حين يتهدد ربّنا رسوله بذهاب ما اوحى إليه لو زاغ، فهل يشمل ذلك التهديد الأمة الاسلامية ان يذهب بالقرآن من بينهم و حتى من صدورهم إذا خانوا و زاغوا و كما

يروى عن النبي (صلى اللّه عليه و آله‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 200- اخرج الحكيم الترمذي عن ابن عباس قال‏ لما قدم وفد اليمن على رسول اللّه (ص) فقالوا: أبيت اللعن؟ فقال رسول اللّه (ص) سبحان اللّه انما يقال هذا للملك و لست ملكا أنا محمد بن عبد اللّه! فقالوا: انا لا ندعوك باسمك- قال: فانا ابو القاسم، فقالوا: يا أبا القاسم انا قد خبأنا لك خبيئا- فقال: سبحان اللّه انما يفعل هذا بالكاهن و الكاهن و المكتهن و الكهانة في النار فقال أحدهم فمن يشهد لك انك رسول اللّه فضرب بيده الى حفنته حصا فأخذها فقال: هذا يشهد اني رسول اللّه، فسبّحن في يده فقلن نشهد انك رسول اللّه فقالوا: أسمعنا بعض ما انزل عليك فقرء و الصافات صفا حتى انتهى الى قوله: فاتبعه شهاب ثاقب، فانه لساكن ما ينبض منه عرق و ان دموعه لتسبقه الى لحيته فقالوا: انا نراك تبكي امن خوف الذي بعثك تبكي؟ قال: بل من خوف الذي بعثني ابكي، انه بعثني على طريق مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم قرأ «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 336

و سلم): «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام و لا صدقة و لا نسك، و يسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية و يبقى الشيخ الكبير و العجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا اله إلا الله. فنحن نقولها» «1».

او يأتي‏

«على الناس زمان يرسل الى القرآن و يرفع من الأرض» «2»

او

«ينسج من القلوب و المصاحف» «3»

«فيصبح الناس ليس في الأرض و لا في جوف مسلم منه آية» «4»

او

«لا تقوم الساعة حتى يرفع الذكر و القرآن» «5».

و ترى ما هو الذنب الذي به يرفع القرآن؟ هل هو الكتب التي يكتبونها مع كتاب اللّه‏ «6» و مؤيد القرآن منه و شارحه من سنة ام ماذا يسانده، و مخالفه منه يعرض على الحائط و كما في أحاديث العرض، اللهم إلّا ان يعنى الكتب التي تجعل القرآن منسيا!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر 1- 2- اخرج الحاكم و صححه البيهقي عن حذيفة قال قال رسول اللّه (ص) ...

(2) المصدر اخرج ابن عدي عن أبي هريرة عن النبي (ص) ...

(3)

المصدر- اخرج الديلمي في مسند الفردوس عن معاذ بن جبل قال: خرج علينا رسول اللّه (ص) فقال: اطيعوني ما دمت بين أظهركم فإذا ذهبت فعليكم بكتاب اللّه أحلوا حلاله و حرموا حرامه فانه سيأتي على الناس زمان ...

(4)

المصدر- اخرج ابو الشيخ و ابن مردويه و الديلمي عن حذيفة و أبي هريرة قالا قال رسول اللّه (ص) يسرى على كتاب اللّه ليلا فيصبح.

(5) المصدر اخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه (ص) لا تقوم الساعة.

(6)

المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن عباس و ابن عمر قالا خطب رسول اللّه (ص) فقال: ايها الناس ما هذه الكتب التي بلغني انكم تكتبونها مع كتاب اللّه يوشك ان يغضب اللّه لكتابه فيسري عليه ليلا لا يترك في قلب لا ورق منه حرفا الا ذهب به فقيل يا رسول اللّه (ص) فكيف بالمؤمنين و المؤمنات قال: من أراد اللّه به خيرا أبقى في قلبه‏ «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 337

أم إن رفعه يعني رفع علومه و تطبيق احكامه؟ «1» و هو واقع في امة اتخذت هذا القرآن مهجورا، و قد يعنيه انسباخه عن القلوب حيث تنقلب عنه و عن المصاحف حين تهجر تفقها و تعلما أم و قراءة.

و في الحق ان القرآن منذ بعيد زمن منسبخ مرفوع عن ارض الإسلام و عن القلوب و حتى عن الحوزات العلمية، فدرسه مندرس، و آياته لا تدرس، و من أقبل الى درسه يرفض او يتهم بالجهالة و الباطلة و إلا فلما ذا القرآن؟

و هنا لك كتب علمية عميقة هي التي تشكل علوم الحوزات و تنصب أعلامها! كما يهرفه الهارفون! و أما ان يرفع القرآن عن بكرته. فلا يوجد لمتحري الحق، فهذا رفع للحجة عن المؤمنين به و الكافرين، و ثم إذا استحق العصاة رفعه فما ذنب المؤمنين ألّا يبقى لهم منه إلّا «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ»؟! و لا تتهدد الآية برفع القرآن إلّا الرسول تدليلا على ان الروح: القرآن و سواه، إنما هو من امر اللّه لا سواه، و في التي تتهدد الرسول أخذا باليمين لو تقول على اللّه بعض الأقاويل، تدليل على عصمة القرآن و انه حجة بالغة على المكلفين، ثم لا تجد تصريحة و لا تلويحة تهدد العصاة برفع القرآن. إلّا ان هذه الشفاء و الرحمة للمؤمنين لا تزيد الظالمين إلّا خسارا، و من ثم فالفضل الكبير للرسول هو للمؤمنين دونما انقطاع: «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً» (33: 47) او يعقل انقسام القرآن في كونه بين المؤمنين فكائن و بين غير المؤمنين فغير كائن، اللهم إلّا في شفاءه و رحمته.

ذلك الروح القرآن كسواه من أرواح «من امر بي» لا سواه، فلو تعاضد الانس و الجن- و أنت معهم دون وحي- لن يأتوا بمثل هذا القرآن!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما أخرجه محمد بن نصر عن الليث بن سعد قال: انما يرفع القرآن حين يقبل الناس على الكتب و يكتبون عليها و يتركون القرآن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 338

كما لن يحيط بعلمه روحا ظاهرة كالقرآن ام خفية كروح الإنسان او القدسي الرسالي ام ماذا؟:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى‏ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88) «1».

و المثل المتحدى فيه ليس فقط القرآن كله، و إن كان أعضله، بل و بأبعاضه ما يسمى قرآنا كسورة مثل الكوثر، ام و آية تامة، حيث الآية الإلهية هي الدالة بنفسها على أنها إلهية، و كل جملة من القرآن آية فالتحدي بإتيان المثل تشمله كما تشمل سورة و عشرا و الى كله.

كما المماثلة المتحدى فيها تعم جانبي اللفظ و المعنى، فانه القرآن فيهما، و ليس كلهم عربا يتحدون به لفظيا!.

و طالما حاول الناكرون ان يأتوا بمثله فرجعوا خاسرين، «وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» بعض من الإنس مع أنسه‏ «2»، و بعض من الجن مع جنه، ام انس مع جن، و لو تظاهروا طول الزمان و عرض‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع تفسير الآية «وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى‏ عَبْدِنا ...» في البقرة. تجد فيه بحثا فصلا عن اعجاز القرآن.

(2)

نور الثقلين 3: 320 ح 444 في الخرائج و الجرائح في أعلام أبي عبد اللّه (ع) ان ابن أبي العوجاء و ثلاثة نفر من الدهرية اتفقوا على ان يعارض كل واحد منهم ربع القرآن و كانوا بمكة و عاهدوا على ان يجيئوا بمعارضة في العام القابل فلما حال الحول و اجتمعوا في مقام ابراهيم قال أحدهم: اني لما رأيت قوله: «يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ» كنفت عن المعارضة، و قال الآخر: و كذا انا لما وجدت قوله: فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا «أيست من المعارضة، و كانوا يسترون ذلك إذ مر عليهم الصادق (ع) فالتفت إليهم و قرأ عليهم‏ «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى‏ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» فبهتوا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 339

المكان، و لو كرسوا طاقاتهم كلها «لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» أ فليس إذا الروح القرآن من امر اللّه لا سواه‏ «1».

و قد تلمح الآية بامكانية اجتماع الانس و الجن، و إن أحالت ان يأتوا بنتيجة الاجتماع بمثله، فلو استحال الاجتماع لم يكن هناك تحدّ، و إنما تحيل ما بالإمكان توفر وسائله لا المستحيل بداية و نهاية! و ترى هذا الانس عرفنا عيّهم عن الإتيان بمثله حتى الآن، فكيف لنا التعرف الى عي الجن في هكذا إتيان؟.

نقول: لأن الإنسان مخلوق في احسن تقويم فلا احسن منه أيا كان، فعدم إتيانه بمثله دليل على عدم الإتيان ممن في مستواه، فضلا عن الجان الذي هو ادنى من الإنسان! ثم لو كان للجن مثله لعارضوا القرآن بواسطة إخوانهم من الانس و لمّا و لن! ثم و الحكمة الهداية الإلهية قاضية ان لو كان بإمكان الجن الإتيان بمثله لوجب إظهاره للإنسان كما للجان حتى يتبين التدجيل في هذا القيل، و لمّا و لن! ان معجزة القرآن كافية لكل انس و جان في اي حقل من الحقول و اي عقل من العقول لمن القى السمع و هو شهيد «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى‏ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرى‏ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. قُلْ كَفى‏ بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» (29: 52) و الشهادة الإلهية ظاهرة في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 303- اخرج ابن إسحاق و ابن جريرة ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال‏ أتى رسول اللّه (ص) محمود بن سيحان و نعيمان بن اصماد و مجزئ بن عمرو سلام بن مشكم فقالوا: يا محمد! هذا الذي جئت به حق من عند اللّه فانا لا نراه متناسقا كما تتناسق التوراة فقال لهم: اما و اللّه لتعرفون انه من عند اللّه قالوا: انا نجيئك بمثل ما تأتي به فانزل اللّه‏ «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُ‏ الآية»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 340

آياته، باهرة في بيناته، دون حاجة ضرورية الى غيرها و هم يطالبون الرسول غيرها و هو دونها خلوا من الخلود في حجتها، ام خلوا من حجة:

وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى‏ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (89).

التصريف هو التكرار و المثل هو مواصفة المقصود بما يمثله و يقرّبه من الأفهام، و اللّه يكرر الأمثال في ضربها دون تضارب، يضرب الأمثال تصريفا لمزيد الانتباه، دون إبقاء على مثل لتمثيل الحق المرام تقريبا للأفهام إلّا و هو ضاربها مصرّفا إياها «فَأَبى‏ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً»: كفرانا بالأمثال و كفرا بالممثلات‏ «وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً»! و الاكثرية الكفور في مثلث الكفران بعد ايمان في ترك من شروط الايمان، ام نكران بعد ايقان‏ «وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ» و هو اعمق الكفر، أم تباعد عن ايات الايمان كمن‏ «جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ» كيلا يثبت لهم الحق مخافة ان يؤمنوا به و هو أحمق الكفر «فَأَبى‏ أَكْثَرُ النَّاسِ» عن اتجاه الى الحقائق القرآنية بأمثالها «إلا كفورا» في زاوية من هذه الثلاث:

هكذا قصّروا في إدراكهم فقصرت عن التطلع الى آفاق الاعجاز القرآنية تعندا و تعنتا. فأخذوا يتطلبون خوارق مادية في حسبانهم، متعنتين في اقتراحاتهم بكل طفولة ما لا يعنيهم. ام و يغويهم، او يتبجحون في ذات الألوهية دون ادب و لا تحرج، لم ينفعهم او يكفهم تصريف القرآن من كل الأمثال-:

وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا (92). أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى‏ فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 341

سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا (9).

اربعة عشر شخصا من صناديد قريش يطالبون الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بسبع من المعجزات في زعمهم‏ «1». بعد معجزة القرآن- و ان هي إلا هرطقات هارفة، خلوا عن اية حجة لو جاء بها، ام فيها حجة ضئيلة أمام القرآن، هؤلاء الجهنميون يتطلبون في تعنت و تزمت هذه السبعة من أبواب الجحيم، و القرآن فاتح للعالمين أبواب الجنة و النعيم!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 303- اخرج ابن جرير و ابن إسحاق و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن ابن عباس‏ ان عتبة و شيبة ابني ربيعة و أبا سفيان بن حرب و رجلا من بني عبد الدار و أبا البختري أخا بني اسد و الأسود بن عبد المطلب و زمعة بن الأسود و الوليد بن المغيرة و أبا جهل بن هشام و عبد اللّه بن بني أمية و امية بن خلف و العاص بن وائل و نبيها و منبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد و كلموه و خاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فجاءهم رسول اللّه (ص) سريعا و هو يظن انهم قد بدا لهم في امره بدء و كان عليهم حريصا يحب رشدهم و يعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد انا قد بعثنا إليك لنعذرك و انا و اللّه ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء و عبت الدين و سفهت الأحلام و شتمت الآلهة و فرقت الجماعة فما بقي من قبيح الا و قد جئته فيما بيننا و بينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و ان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا و ان تريد ملكا ملكناك علينا و ان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك و كانوا يسمعون النابع من الجن الرئي فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطلب حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال رسول اللّه (ص). ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب أموالكم و لا فيئكم و لا الملك عليكم و لكن بعثني اللّه إليكم رسولا و انزل علي كتابا و امرني ان أكون لكم بشيرا و نذيرا فبلغتكم رسالة ربي و نصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا و الآخرة و ان تردوه علي اصبر لأمر اللّه حتى يحكم اللّه بيني و بينكم-: أقول: و لما وصل امره معه الى هنا اقترحوا عليه مطاليب لهم مادية تحسبوها معجزات، تذكر الآيات أمهاتها السبع كالسبع أبواب الجحيم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 342

و في الحق ان هؤلاء الحماقي الطغاة ما تطلّبوا هذه السبعة و أضرابها طلبا للحجة و وصولا الى المحجة، و انما إفحاما على الرسول فيما تعنتوا حيث يقول قادتهم‏

«لقد استفحم أمر محمد و عظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه و تبكيته و توبيخه و الإحتجاج عليه و إبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه و يصغر قدره فلعله ينزع عما هو فيه من غيه و باطله و تمرده و طغيانه، فان انتهى و إلا عاملناه بالسيف الباتر» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 3: 221 ح 446 في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) قال: قلت لأبي علي بن محمد (ع) هل كان رسول اللّه (ص) يناظر اليهود و المشركين إذا عاتبوه و يحاجهم؟ قال: مرارا كثيرة- ان رسول اللّه (ص) كان قاعدا ذات يوم بمكة بفضاء الكعبة إذا اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي و ابو البختري بن هشام و ابو جهل بن هشام و العاص بن وائل السهمي و عبد اللّه بن امية المخزومي و كان معهم جمع ممن يليهم كثير و رسول اللّه (ص) في نفر من أصحابه يقرء عليهم كتاب اللّه و يؤدي إليهم عن اللّه امره و نهيه فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحم امر محمد ... قال ابو جهل: فمن الذي يلي كلامه و مجادلته؟ قال عبد اللّه بن امية المخزومي، انا الى ذلك، أما ترضاني له قرنا حسيبا و مجادلا كفيا؟ قال ابو جهل:

بلى- فاتوه بأجمعهم فابتدأ عبد اللّه بن امية المخزومي فقال: يا محمد! لقد ادعيت دعوى عظيمة و قلت مقالا هائلا! زعمت انك رسول رب العالمين و ما ينبغي لرب العالمين و خالق الخلق أجمعين ان يكون مثلك رسوله بشرا مثلنا يأكل كما نأكل و يمشي في الأسواق كما نمشي، فهذا ملك الروم و هذا ملك الفرس لا يبعثان رسولا الا كثير مال عظيم حال له قصور و دور و فساطيط و خيام و عبيد و خدام، و رب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده، و لو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك و نشاهده، بل لو أراد اللّه ان يبعث إلينا لكان انما يبعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا، ما أنت يا محمد الا مسحور و لست بنبي.

فقال رسول اللّه (ص) هل بقي من كلامك شي‏ء؟ قال: بلى- لو أراد اللّه ان يبعث إلينا رسولا لبعث اجل من فيما بيننا مالا و أحسنه حالا، فهلا نزل هذا القرآن الذي تزعم ان اللّه أنزله عليك و ابتعثك به رسولا على رجل من القريتين عظيم: اما الوليد بن المغيرة بمكة و اما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟ فقال رسول اللّه (ص) هل بقي من كلامك شي‏ء يا عبد اللّه! فقال: بلى: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 343

وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (90).

باب اولى من سبعهم «تفجير ينبوع لهم من الأرض» ... و «لن» تصريحة قاطعة منهم ان ايمانهم للرسول مستحيل على ضوء القرآن العظيم و هو الشهيد الكافي إلهيا على رسالته، فاستحالة الايمان على هذه الأضواء و البصائر الكافية لمتحري الحق تحيله في تحقيق متطلباتهم لو أمكنت و صلحت اكثر من بصائر القرآن! فلو ان الشمس لا تضي‏ء لهم عن ظلماتهم، فهل ان القمر و أخفى منه نورا او ما لا نور له، هل ان هذه تضي‏ء لهم؟

انهم في قولة «لن» أحالوا ايمانهم له على اية حال، فلو لم يكن في متطلباتهم محال، ام استجيبوا في التي تمكن على اية حال، ما كانوا ليؤمنوا كما بدأوا به المقال‏ «وَ قالُوا لَنْ ...»!

إذا فإجابتهم في هذه السبع غلطة رسالية فيما أمكنت، إغراء بجهلهم في غير الخارقة المعجزة، و إبقاء على كفرهم في إجابة الخارقة حيث هي ادنى من معجزة القرآن التي أحالوا ايمانهم على ضوءه ... و من ثم يبقى المستحيل رادعا عن ايمانهم حيث الإجابة فيه مستحيلة، حتى و لو استجيبوا في ممكناته خارقة و غير خارقة.

إذا فهذه السبع في مجموعاتها هرطقات هراء و ربنا في رسالته منها براء! حيث تركوا و تغافلوا عن آماد بعيدة من معجزة القرآن الخالدة، و اخلدوا الى أهوائهم المتطفلة الباردة الماردة، طلبا لآجن ماجن‏ «1» بعد ما أضاء عليهم معجز ماكن.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فانك اقترحت على محمد رسول اللّه أشياء: منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته و رسول اللّه يرتفع من ان يغتنم جهل الجاهلين و يحتج عليهم بما لا حجة فيه. و منها ما لو جاءك به لكان معه هلاكك. و انما يوفى بالحجج و البراهين ليلزم عباد اللّه الايمان بها لا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 344

ترى و ما هو المعني من تفجر الأرض ينبوعا؟ أ ينبوعا بمكة هذه، فانها ذات أحجار و عرة و جبال، تكسح ارضها و تحفرها و تجري منها العيون فإننا الى ذلك محتاجون»؟

فانك سألت هذا و أنت جاهل بدلائل اللّه، لو فعلت هذا كنت من اجل هذا نبيا؟ لا!- أ رأيت الطائف التي لك فيها بساتين، اما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها و ذللتها و كسحتها و أجريت فيها عيونا استنبطتها؟

بلى! و هل لك فيها نظراء؟ بلى! ... فصرت بذلك أنت و هم أنبياء؟

لا! ... فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لو فعلت على نبوته، فما هو إلّا كقولك: لن نؤمن لك حتى تقوم و تمشي على الأرض او حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس! «1».

فتفجير الأرض ينبوعا، إظهارا لما خفي تحته من ماء لا يحتاج الى معجزة رسالية، و إنما عمارة ارضية، ام هندسة تحت الأرضية، أفكل معمار او مهندس- إذا- هو من الأنبياء؟.

و إذا يعنى منه تفجرا بتفجّر الإرادة الخارقة، دون أية وسائل ظاهرية، فترى ان تفجر القلوب الميتة بمياه المعرفة القرآنية أرقى خارقة و أنبل، ام‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

ليهلكوا بها، فانما اقترحت هلاكك و رب العالمين ارحم بعباده و اعلم بمصالحهم من ان يهلكهم كما يقترحون، و منها المحال الذي لا يصح و لا يجوز كونه و رسول رب العالمين يعرفك ذلك و يقطع معاذيرك و يضيق عليك سبيل مخالفته و يلجئك بحجج اللّه الى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد و لا محيص، و منها ما قد اعترفت على نفسك انك فيه معاند متمرد لا تقبل حجة و لا تصغي الى برهان و من كان كذلك فدواءه عذاب النار النازل من سماءه او في حميمه او بسيوف أولياءه.

(1). من حجج الرسول (ص) في هذه المناظرة الطويلة البالغة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 345

تفجر الأرض بهذه المياه؟ و «لن» البادئة في هذه الاقتراحات تحيل الايمان و لو فجرت الأرض كما تطلبون، حيث أحلتم الايمان بالقرآن لنبي القرآن و هو أهم المعجزات و أتمها!.

ان التفجر الأول من فعلي و لا حجة فيه، و الثاني من فعل ربي و لا تؤمنون به حيث «لن» فيه، أحرى منها في حجة القرآن ألّا تصدّقوها! 2 أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (91).

فان كان كالأول فكالاول، او كالثاني فكالثاني! ... «او ليس لأصحابك و لك جنان من نخيل و عنب بالطائف فتأكلون و تطعمون منها و تفجرون الأنهار خلالها تفجيرا؟ أ فصرتم أنبياء بهذا؟ لا! فما بال اقتراحكم على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه، بل لو تعاطاها لدل تعاطيها على كذبه لأنه يحتج بما لا حجة فيه و يختدع الضعفاء عن عقولهم و أديانهم، و رسول رب العالمين يجل و يرتفع عن هذا! «1».

3 أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً ... في قوله‏ «وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ» () ان في سقوط السماء عليكم هلاككم و موتكم، فانما تريد بهذا من رسول اللّه ان تهلك و رسول رب العالمين أرحم من ذلك، لا يهلكك و لكنه يقيم عليك حجج اللّه، و ليس حجج اللّه لنبيه وحده على حسب اقتراح عباده لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح و ما لا يجوز منه و من الفساد، و قد يختلف اقتراحهم و يتضاد حتى يستحيل وقوعه و اللّه لا يجي‏ء تدبيره على ما يلزمه بالمحال ..

و هل رأيت يا عبد اللّه طبيبا كان دوائه للمرضى على حسب اقتراحهم و انما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). من حججه (ص) في نفس المناظرة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 346

يفعل به ما يعلم صلاحه فيه، أحبه العليل او كرهه، فأنتم المرضى و اللّه طبيبكم فان أنفذتم لدواءه شفاكم و إن تمردتم أسقمكم-.

و بعد فمتى رأيت يا عبد اللّه مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بيّنه على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه؟ إذا ما كانت تثبت لأحد على احد دعوى و لا حق، و لا كان بين ظالم و مظلوم و لا بين صادق و كاذب فرق- 4 أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا (92) يقابلوننا و نعاينهم! فان هذا من المحال الذي لا خفاء به، لأن ربنا عز و جل ليس كالمخلوقين يجي‏ء و يذهب و يتحرك و يقابل حتى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال الذي دعوتم اليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع و لا تبصر و لا تغني عنكم شيئا و لا عن احد- يا عبد اللّه! او ليس لك ضياع و جنان بالطائف و عقار بمكة و قوّام عليها؟ بلى! أ فتشاهد جميع أحوالها بنفسك او بسفراء بينك و بين معامليك؟

بسفراء! أ رأيت لو قال معاملوك و أكرتك و خدمك لسفرائك لا نصدقكم في هذه السفارة إلّا ان تأتوا بعبد اللّه بن أبي امية نشاهده فنسمع منه ما تقولون عنه شفاها كنت تسوّغهم هذا؟ او كان يجوز لهم عند ذلك؟

لا!- فما الذي يجب على سفرائك؟ أليس ان يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم ان يصدقهم؟ بلى!- أ رأيت سفيرك لو انه لمّا سمع منهم عاد إليك و قال: قم معي فإنهم اقترحوا عليّ مجيئك معي أ يكون لك ان تقول له: انما أنت رسول مبشر و آمر؟ بلى! فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوّغ لأكرتك و معامليك ان يقترحوه على رسولك إليهم، و كيف أردت من رسول رب العالمين ان يستندم الى ربه بان يأمر عليه و ينهى و أنت لا تسوغ مثل هذا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 347

على رسولك الى أكرتك و قوامك؟ هذه حجة قاطعة لابطال كل ما ذكرته في كل ما اقترحته يا عبد اللّه!- 5 أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ‏ و هو الذهب «أما بلغك ان لعظيم مصر بيوتا؟ بلى! أ فصار بذلك نبيا؟ لا! فكذلك لا توجب بمحمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) لو كانت له نبوة، و محمد لا يغتنم جهلك بحجج اللّه- ام تعني تكوّن بيت من زخرف دون اسباب ظاهرية؟ فالرسول لا يبيت في بيت من زخرف! و لو كان له لم تكونوا لتؤمنوا إذ لم تؤمنوا و «لن» بآية القرآن و هي أكبر الآيات و أتمها، ثم لا تقف اقتراحاتكم لحدّ! 6 أَوْ تَرْقى‏ فِي السَّماءِ 7 وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ‏ ... يا عبد اللّه! الصعود الى السماء أصعب من النزول منها، و إذا اعترفت على نفسك انك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول ثم قلت‏ «حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ» من بعد ذلك، ثم لا ادري أؤمن بك او لا أؤمن، فانك يا عبد اللّه! مقر أنك تعاند حجج اللّه عليك، فلا دواء لك إلّا تأديبه على يد أوليائه البشر او ملائكته الزبانية، و قد انزل اللّه عليّ حكمة جامعة لبطلان كلما اقترحه:

قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا ما ابعد ربي عن ان يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال بما يجوز و بما لا يجوز، و «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» لا يلزمني إلّا اقامة حجة اللّه التي أعطاني، فليس لي ان آمر على ربي و لا انهى و لا أشير فأكون كالرسول الذي بعثه ملك الى قوم مخالفيه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 348

فرجع اليه يأمره ان يفعل بهم ما اقترحوه عليه‏ «1».

و ثم إذا رقى في السماء بمحاولة بشرية او معجزة إلهية فهل ان اللّه في السماء حتى تنزل منه كتابا يقرءونه؟ و مجرد الرقي إليها دون وسائل آية إلهية لا تفسح مجالا لتنزل كتاب يقرءونه! فهل من خط اللّه فيصدقونه، و كيف هم عارفون خطه؟ و هل هو كخط البشر فما هي ميزته التي تجعله خط اللّه، و إن لا فكيف يقرءونه، و هنالك خطه التكويني «رقيه في السماء» لو رقى يقرء و ليسوا بمصدقيه، و هناك خطة التدويني «القرآن» و فيه الكفاية معجزة كاملة تقرء و لا يصدقونه، و من ثم لو نزل بخط من السماء يقرءونه فكيف يعرفون انه نزل من السماء و لم يأخذه معه في رقيه؟

الرسول هنا يؤمر ان يغلق الأبواب السبع من جحيم المعارضات بكلمة مختصرة محتصرة تحوي كل هذه التفاصيل‏ «قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا»؟

«سُبْحانَ رَبِّي» ان يغريكم بجهلكم مواضع الحجة فيحتج بما لا حجة فيه، ام فيه حجة الإهلاك، ام هو من المحال، ام جائز فيه حجة ادنى من حجة القرآن، و استحالة الايمان فيها أقوى منها في القرآن، ثم لا تقف هذه المقترحات لحدّ! «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا»؟ و الخارقة ليست من صنع الرسول، انما هي من امر اللّه وفق تقديره و حكمته، و لا ان طلبها من شأن الرسول فان اللّه يعلم بماذا يرسل رسوله حتى تصدّق رسالته، فشأن الرسالة و أدبها يمنعانه ان يفعل ما يقترحون، او يسأل ربه بما يقترحون.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). هذه الحجج كلها ننقلها عن كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري عن أبيه علي بن محمد (ع) عن رسول اللّه (ص).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 349

انني بشر و لست إلها، رسول من اللّه و لست إلها، و سبحان ربي ان يتخلى في إرساله عن ألوهيته، و سبحانه ان يتابع اقتراحات عباده او رسوله فيها سبحانه سبحانه هل كنت إلا بشرا رسولا؟

و أنتم تطلبون مني ان افعل هذه الخارقات ام غيرها من محالات ام سواها، وي كأنني إله اقدر على ما تطلبون، و هم لم يطلبوا إلّا منه، لا ان يطالب ربه‏ «1» او انني فوق الإله اتحكّم عليه‏ «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» ويكأن اللّه و ملائكته تحت إمرتي، ان لو أمكن إتيانهم فانا الآتي بهم دون استدعاء! فلا ان بشريتي تقتضي هذه او تلك و لا رسالتي، حيث الرسول مؤمّر و ليس آمرا، رسول فليس مرسلا لمن أرسله: «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ ...»! و لا تقتضي الرسالة إلا حمل آيتين من آيات اللّه: آية الوحي، و الآية التي تثبت الوحي، آية ظاهرة تدل على آية غير ظاهرة، ثم لا يرسل بآية اخرى إلّا إذا اقتضت الضرورة الرسالية، فضلا ان يأتي هو بآية او يأتي باللّه و الملائكة قبيلا! «قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا»؟ لا شأن لبشر إلّا كسائر البشر، و لا لرسول إلّا حمل ما حمّل من رسالة، لا تقلّد القدرة الغيبية المطلقة ذاتيا و لا رساليا، «سُبْحانَ رَبِّي» من ربّاني عبودية و رسالة، من أن أكون له شريكا، او ان أكون له ربا فأتحكم عليه، و عليه إجابتي! «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا»؟ جوابا جامعا يستأصل متطلباتهم الخاوية كلها!.

وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى‏ إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا (94).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). حيث قالوا: حتى تفجر ... فتفجر خلالها ... ترقى في السماء.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 350

«وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» (23: 34) «فَقالُوا أَ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ» (54: 24) «فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ» (23: 47).

فلانهم لم يدركوا قيمة البشر و انه في احسن تقويم، فاستكثروا على بشر ان يكون رسولا الى بشر! و هذه سنة اللّه الدائبة التي لا تتبدل:

ضرورة المجانسة بين الرسول و المرسل إليهم، إتماما للحجة و قطعا للمعاذير، فهي رحمة و منّة إلهية ان بعث اللّه الى البشر بشرا كما الى الجن جنا ام من ذا؟ «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا» (6: 130). فانما رسول الإنسان انسان و رسول الجان جان كما رسول الملك ملك.

قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا (95).

و مع غض النظر عن ضرورة المجانسة فالملك الرسول الى بشر يجب ان يباشر البشر، و الملك على كونه ملكا لا يرى فالواجب إذا ان يظهر بمظهر البشر، فأنتم ترونه بشرا و ليس ببشر! فما ذا أفادكم هذا المظهر إلّا ضررا في عدم المجانسة: «وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» (6: 9) فعادت النتيجة الى ضرورة المجانسة رؤية و إتماما للحجة.

و ترى هذه ضرورة، فلما ذا الجن يرسل له بشر، أ ليس محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) رسولا الى الجن و البشر و سواهما من العاملين؟

ان رسالة الرسول الى غير بشر ثانوية و بواسطة غير بشر، فكما ان الرسول الى الرسول البشر ملك لا بشر، كذلك الرسول الى رسول الجن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 351

بشر، كما الآيات في الجن و الحاقة تحقق هذه الرسالة: ان رسل الجن مرسلون من جانب الرسول محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)، و ان لم يكونوا رسل الوحي حيث انقطع به الوحي، و لكنهم قبل الرسالة المحمدية كان يوحى إليهم على هامش الوحي الى بشر!.

إن رسالة ملك الى جن قد تصح و تصلح لو لا مانع عدم المجانسة «1» ام ان الملك يرسل الى رسول الجن كما الى رسول الانس، اللهم الا في الرسالة الاسلامية!.

و قد تلمح الآية ان الحياة المطمئنة الأرضية تتطلب رسالة سماوية، ف‏ «لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ» اطمئنانا في مشيهم بقاء عليها لا نزولا مؤقتا لإبلاغ أمركما في رسل الوحي ام من ذا؟ و اطمئنانا على الحياة الأرضية، فهناك‏ «لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ» لا من نفس الأرض‏ «مَلَكاً رَسُولًا» و لكنما الماشون المطمئنون في الأرض ليسوا ملائكة، إنما هم انس و جان، فليبعث إليهم بشر رسولا، مهما يتلقى هو وحيه من ملك رسول.

هنا لك فرق بين الرسول الى الرسل، و الى سائر المكلفين، فالمجانسة لازمة في الرسالة الثانية دون الاولى، و لتتم حجة الرسالة و يعيش المرسل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالرسول الأول انما هو حامل رسالة كالبريد دون اي مزيد من إنذار و تبشير فلا ضرورة و لا رجاحة في مجانسته للمرسل إليهم الرسل، و لكن الرسول الثاني بشير و نذير و حجة في رسالته بتطبيقه ما أرسل به و لا تطبيق على الرسول الأول الا في الواجبات الأولية لاختلاف الجنس. فالملائكة لهم عقل بلا شهوة، و الانس و الجن يجمعانهما فالتكليف إذا غير التكليف الا ما يعم عامة العالمين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 352

إليهم رسولهم لكي يستطيعوا التلقي عنه دون وحي، بل برؤية و سماع‏ «1».

[سورة الإسراء (17): الآيات 96 الى 111]

قُلْ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (96) وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى‏ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً (97) ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (98) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى‏ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً (99) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (100)

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى‏ تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى‏ مَسْحُوراً (101) قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (102) فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (103) وَ قُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (104) وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (105)

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى‏ مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً (106) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى‏ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً (107) وَ يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً (108) وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (109) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى‏ وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً (110)

وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً (111)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و لكن‏ «رُسُلٌ مِنْكُمْ» تصريحة أو تلميحة ان المجانسة بينهما رحمة و منة إلهية، و ما

يرويه العياشي في تفسيره عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد اللّه (ع) «قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا» قالوا: ان الجن كانوا في الأرض قبلنا فبعث اللّه إليهم ملكا، فلو أراد اللّه ان يبعث إلينا لبعث ملكا من الملائكة و هو قول اللّه‏ «وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى‏ إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا».

هذه الرواية لا تدل على عدم المجانسة الا قبل هذا النسل الانساني ان بعث ملك الى جن، و لكنه من كلام هؤلاء الناكرين ينقله عنهم الامام (ع) و جوابه أولا ألا دليل عليه و لو كان فرسالة الملك الى رسول الجن لا إلى المرسل إليهم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 354

قُلْ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (96).

إنه لا بد من شهادة الهية لإثبات رسالة إلهية، و لا تخلوا عن احدى‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 355

زوايا ثلاث: 1 ان يريهم اللّه نفسه ليشهد برسالة رسوله‏ «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا»؟ و هذه المقابلة مستحيلة حتى للرسل أنفسهم! 2 ام يوحي إليهم فيشهد كما يوحي الى الرسل؟ و لو كانوا يستحقون وحيا لما احتاجوا الى رسل! و لا تنحصر الشهادة الإلهية بوحي! فهل ان دلالة الكون الحادث على المكوّن المحدث هي دلالة الوحي، ام دلالة الفطرة و العقل بمساندة الحس، فهلا تكفي هذه الشهادة الإلهية على حدوث الكون إلّا ان يظهر اللّه بنفسه او يوحي بهذه الشهادة؟! 3 أن يشهد لرسالة بافعال تخصه دون سواه، حيث الأفعال الخاصة الإلهية باهرة لا تخفى على ذي حجى! ثم قد تكون هذه الشهادة حسية بآيات حسية عابرة كسائر المعجزات المحسوسة كشق البحر و القمر ام ماذا، و هي آيات غير خالدة لا تناسب بوحدتها شريعة خالدة! ام شهادة علمية- عقلية- فطرية- فكرية، لفظية- معنوية اماهيه و القرآن يجمعها كلها و هذه شهادة اللّه الكافية بين محمد (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و بين العالمين: «قُلْ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً» ماذا تكفيهم و تغنيهم من شهادة خالدة تعيشهم و تعيشهم عبر الأجيال و الزمن، و لا يزداد في خلوده إلّا ظهورا و بهورا كلما تقدمت العقول و العلوم في كافة الحقول.

فتلك إذا شهادة إلهية خالدة كافية تعم الشهادات كلها و تطم، و سائر الشهادات هامشية تعبّد الطريق لهذا الشهادة الكبرى: «قُلْ أَيُّ شَيْ‏ءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ ...» (6: 19) «لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِكَةُ

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 356

يَشْهَدُونَ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً» (4: 166) «وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً (4: 159).

إن القرآن هو اكبر الشهادات الإلهية لهذه الرسالة السامية، ثم الرسول نفسه، ثم كتابات الوحي المبشرة برسالته، ثم صنيعه و فصيله علي (عليه السلام) فهو إذا في مربع من الشهادات متصلة و منفصلة: «أَ فَمَنْ كانَ عَلى‏ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى‏ إِماماً وَ رَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ» (11: 17).

ف‏ «بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» هو قرآنه و نفسه المقدسة و «شاهِدٌ مِنْهُ» علي (عليه السلام) «وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى‏» كأم الكتابات الرسالية قبل القرآن.

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى‏ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً (97).

«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ» هداية ثانية بعد الأولى، فمن يتقبل هدى اللّه دلالة و استدلالا يهديه اللّه إيصالا الى حق الهدى: «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ» (47: 17) «وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً» (19:) 76) «فَهُوَ الْمُهْتَدِ» حيث لا يضل بعد هدى اللّه.

«وَ مَنْ يُضْلِلْ» حيث لم يتقبل الهداية الأولى فعارضها و أنكرها، فانه يحرم بعد عن هذه الهداية الاولى‏ «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» (61: 5) إذا «فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ» يهدونه، إذ لا هادي و لا ضال إلّا اللّه‏ «يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ» (16: 93) كل بما قدمه المهتدي و الضال من هدى اولى او ضلال!: «قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ» (13: 27)» فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ» (16: 37)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 357

«فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ» (30: 29)!.

و لان الناس يحشرون كما عاشوا فليحشر هؤلاء العمي البكم الصم‏ «عَلى‏ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا» كما عموا تعاميا عن بصائر اللّه، و ابكموا خرسا لا يتكلمون عن آيات اللّه، و إنما لإبطالها و فصلها عن عباد اللّه، و صموا عن الاستماع الى كلمات اللّه، فهم أولاء يحشرون كما عاشوا و لا يظلمون نقيرا!.

ان الوجه ببصره و لسانه و اذنه مخلوق لحكمة المواجهة للحقائق ان يمشي به الإنسان سويا على صراط مستقيم، فمن يمشي في حياته مكبا على وجهه في الاولى سوف يحشر مكبا على وجهه في الاخرى: «أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى‏ وَجْهِهِ أَهْدى‏ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» (67: 22) «وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى‏ وُجُوهِهِمْ ...» كما حشروا أنفسهم يوم الدنيا على وجوههم! ف‏

«الذي أمشاهم على أرجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم» «1»

و ترى إذ يحشرون هكذا فكيف الترائي و التسامع و التلاسن بين اهل الجنة و النار، و بين أهل النار أنفسهم مع بعض؟

إن حشرهم هكذا عذاب فوق العذاب، و من ثم بعد حشرهم يتبدل عذابهم هذا بآخر فيه يبصرون و يسمعون و يتكلمون كعذاب أخر فوق‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 4: 203 اخرج ابو داود الترمذي و حسنة و ابن جرير و ابن مردويه و البيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (ص) يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف مشاة و صنف ركبان و صنف على وجوههم قيل يا رسول اللّه (ص)! و كيف يمشون على وجوههم؟ قال: ان الذي ... اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب و شوك‏

أقول و أخرجه جماعات آخرون على اختلافات و لكنها متفقة فيما نقلناه في المتن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 358

العذاب، ففقدهم لهذه الثلاث يوم حشرهم عذاب، و وجدانهم لها بعد حشرهم في نارهم عذاب أخر فوق عذاب! و على اية حال ف:

«مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً»: «كُلَّما خَبَتْ»: سكن لهبها و صار عليها خباء و غشاء من رمادها ام ماذا «زِدْناهُمْ سَعِيراً» كما الأوّل، فان السعير بعد الخباء زيادة على الخباء، لا زيادة للسعير على ما كان قبله، زيادة العذاب! و لماذا يزيدهم سعيرا على سعيرهم؟ أ لأنهم اخباءوها؟ و ليس منهم و لن! ام انهم كانوا يستحقون هذه الزيادة من قبل؟ فلما ذا لم تحق لهم من قبل؟- فلتكن زيادة السعير زيادة بعد الخباء باعادة مثل السعير!، و علّه كما تعاد جلودهم التي نضجت لتنضج تلو الأخرى: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ» (4: 56) ففاعلية كل سعير هي نضج الجلود، ثم تبدل جلودا غيرها فزيدوا لنضجها سعيرا، سعير تلو سعير لنضج تلو نضج دون ان يخفف عنهم العذاب او يفتروهم فيه مبلسون! و لماذا تداوم السعير دون فتور في عذابهم؟:

ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (98). أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى‏ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً» (99).

هنا لك كفر بآيات اللّه و كبراها القرآن، و قولة النكران للمعاد «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً» خلوا عن لحوم «و رفاتا» حيث تتبدل العظام رفاتا، فتصبح الأبدان رفاتا فوق رفات‏ «أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً» كما كنا يوم الدنيا؟!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 359

ذلك الكفر و هذا النكران جزاءه مأوى الجحيم و مزيد السعير بعد الخباء ...!

«أَ وَ لَمْ يَرَوْا» ضمن ما رأوا، حيث الواو تعطف هنا لغير المذكور، فهم يرون الخلق الجديد و يلمسونه ليل نهار بموت ثم حياة ثم موت و من ثم حياة، ثم رؤية عقلية تفوقها و تعمهم و ان لم يروا هذه و تلك‏ «أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى‏ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» لا «ان يخلقهم» فقد خلقهم و أفناهم و هم يتشككون في خلقهم الآخر الذي هو خلق لمثلهم، مماثلة في الصورة الإنسانية و عينية للمادة التي زالت عنها تلك الصورة، و يخلق لها مثلها مرة اخرى! «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» (50:) 15) و لا يعني الخلق الجديد و خلق أمثالهم إلّا الناحية البدنية من الإنسان حيث تفنى صوريا ثم تخلق صورة اخرى، و اما الروح فهو باق لا يفنى إلّا صعقة حتى يخلق البدن خلقا جديدا، و هو المتكفل للوحدة بين الإنسان في النشأئتين في حقيقة الانسانية، كما ان الأجزاء المعادة من بدنه يوم المعاد هي المتكفّلة لوحدته البدنية، فلا يعني المعاد إلّا عود الروح الى مثل بدنه صورة و الى عينه مادة! ثم و «مثلهم» في اصل الخلقة و «لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» (40: 57) فالمعنيان هنا معنيان من «مثلهم».

«وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ»: أجلا فرادى موتا عن الحياة الدنيا الى البرزخ، و جماعات: نقلة عن الحياة البرزخية الى الحياة الأخرى، و لا ريب في اي منهما! «فَأَبَى الظَّالِمُونَ» أنفسهم، المتهتكون عقولهم، المتغافلون عن ضمائرهم، العمي الصم البكم عن آيات اللّه. أبوا عن كل حق‏ «إِلَّا كُفُوراً» كفرا و كفرانا.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 360

وهب ان اجل الموت لا ريب فيه عند احد، و لكن اجل المعاد فيه مرتابون كثير فكيف‏ «لا رَيْبَ فِيهِ» في مطلق الأجل؟

هنا نفي للريب لا نفي الشك، فمهما شك في المعاد شاكون، ليس لشكهم سناد مريب فلا يرتابون، فكما القرآن لا ريب فيه و فيه شاكون كثير، كذلك المعاد لا ريب فيه على شكه الكثير! قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (100).

ترى و ما هي الصلة بين خشية الإنفاق هنا، المحتفة بنكران الرسالة و المعاد مسبقا، و بذكرى آيات الرسالة ملحقا، و الموضعان ليسا موضع إنفاق أو إقتار؟.

نجد الجواب في‏ «وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى‏ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (43: 32).

فخزائن الرحمة المقصودة هناك هي الرحمة الروحية اصليا و سواها فرعيا، و علّها هنا هي الظاهرة فباحرى الباطنة، فالخزائن هي المواضع التي جعلها اللّه تعالى جهات لدرور الرزق و منافع الخلق، ترفع الأيدي عند السؤال و الرغبات و استدراك الخير و البركات، ثم و أحرى منها بركات معنوية فلو ان هؤلاء المعترضين على الرسالة المحمدية و سواها كانوا يملكون‏ «خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي» الرحمة الربانية الروحية الرسالية «لأمسكتم» عن إنفاقه لمن يستحقها «خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ» الإفناء، «وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً» ممسكا بخيلا، لا بما لنفسه فقط بل و برحمة اللّه، و لا بما يفنى فقط بل و ربما لا يفنى من رحمة اللّه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 361

... ليست الآية الكافية القرآن تنكر لأنها غير حسية، فمن قبل كفروا بآيات حسية أوتيت رسل اللّه رغم قولهم، «لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى‏ مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ ...» (61: 124)

«أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى‏ مِنْ قَبْلُ» (28: 48)؟:

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى‏ تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى‏ مَسْحُوراً (101).

ان فرعنة النكران لآيات اللّه لا تميّز بين آية حسية يعرفها كل من له إحساس، و بين آية معرفية يعرفها كل من له ادنى معرفة «وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا».

ترى و كيف تكون الآيات المرسل بها موسى تسعا و هي حسب القرآن خمسة عشر «1» فهل تعني الآيات هنا آيات سوى المعجزات كما يسند الى الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)؟ «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هي اليد البيضاء 2- عصاه صارت حية تسعى 3- عصاه حيث صارت ثعبانا مبينا تلقفت ما يا فكون 4- عصاه حيث شق بها البحر 5- عصاه حيث ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا- و من ثم 6- الطوفان 7- و الجراد 8- و القمل 9- و الضفادع 10- و الدم 11- و إظلال الجبل فوقهم كأنه ظلّة كأنه واقع بهم 12- أخذهم بالسنين 13- أخذهم بنقص من الأموال 14- الطمس على أموالهم 15- المن و السلوى.

(2)

الدر المنثور 4: 304- اخرج الطيالسي و سعيد بن منصور و ابن أبي شيبة و احمد و الترمذي و صححه و النسائي و ابن ماجه و ابو يعلى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبراني و ابن قانع و الحاكم و صححه و ابن مردويه و ابو نعيم و البيهقي معا في الدلائل عن صفوان بن عسال‏ ان يهوديين قال أحدهما لصاحبه انطلق بنا الى هذا النبي نسأله فأتياه فسألاه عن قول اللّه‏ «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى‏ تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ» فقال رسول اللّه (ص): 1- لا تشركوا باللّه شيئا 2- و لا تزنوا 3- و لا تقتلوا النفس التي حرم اللّه الا بالحق 4- و لا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 362

و الآيات المذكورة في؟؟ شتات الآيات هي المعجزات الى فرعون و ملئه أما ذا، دون آيات؟؟ التوراة احكامية؟؟ أماهيه! و الحل ان التسع لا تستغرق كل ما أرسل به موسى من آيات، و انما «فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى‏ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ» (27: 14) و هي التسع المذكورة في ايات‏ «1» ثم اربعة اخرى هي خاصة ببني إسرائيل‏ «2».

و هنا لك روايات في تعديد التسع الآيات تتعارض بعضها البعض و الكل تعارض القرآن‏ «3».!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

تسرقوا 5- و لا؟؟ تسحروا 6- و لا تمشوا ببرئى الى سلطان فيقتله 7- و لا تأكلوا الربا 8- و لا تقذفوا محصنه 9- و قال و لا تفروا من الزحف شك شعبة و عليكم يا يهود خاصة الا تعتدوا في السبت، فقبلا يديه و رجليه و قالا نشهد انك نبي قال: فما يمنعكما ان تسلما؟ قالا: ان داود دعا اللّه ان لا يزال في ذريته نبي و انا نخاف؟؟ ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود

(1). و هي اليد البيضاء 2- عصاه حية تسعى 3- عصاه ثعبان مبين 4- الطوفان 5- الجراد 6- القمل 7- الضفادع 8- الدم 9- ضرب الأموال بنقص و طمس و أخذهم بالسنين.

(2). 1- من نتق الجبل 2- و المن و السلوى و هما واحدة 3- و انفجار العيون من الحجر 4- و فلق البحر، و هذه الرابعة لا تمت بصلة الى فرعون و ملئه حيث أغرقهم و الآية تقول‏ «وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» و العذاب هنا تخويفية الآيات و لا رجوع في آية الغرق.

(3)

نور الثقلين 3: 229 ح 457 في تفسير العياشي عن سلام عن أبي جعفر (ع) قال: سألني نفر من اليهود عن الآيات التسع التي أوتيها موسى بن عمران (ع) فقلت:

العصا و إخراجه يده من جيبه بيضاء و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و رفع الطور و المن و السلوى آية واحد و فلق البحر قالوا صدقت‏

و 458

في قرب الاسناد للحميري باسناده الى موسى بن جعفر (ع) في الآية قال: الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و الحجر و البحر و العصا و يده‏ و رواه مثله في الخصال عن هارون بن حمزة الغنوي الصيرفي عن أبي عبد اللّه (ع).

و بينهما اختلاف في رفع الطور و المن و السلوى المذكورة في الأولى دون الثانية و في الحجر

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 363

هذه الآيات من صغراها و كبراها الى فرعون و ملئه كلها بينات، و لكنما الفرعنة الحمقاء لا تبقى و لا تذر: «... فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى‏ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ. فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» (27: 14).

و من ظلم فرعون و علوه قولته الفاتكة «إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى‏ مَسْحُوراً» و مجنونا «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» (26: 27) «فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَ قالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» (51: 39) ف‏ «ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» يفسر المسحور انه المجنون، تعبيران عن حالة واحدة ثانيتهما انه ساحر حيث الساحر ليس ليعني المسحور! فكلمة الحق و بصائره لا تصدر في عرف الطاغية إلّا عن ساحر او مسحور: مجنون: لا يدري ما يقول او يسحر فيما يفعل او يقول! قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (102).

انظر الى رب موسى في مناظرته مع اطغى الطغاة و أحمقهم، يستند لإبطال كونه مسحورا الى علم فرعون ان هؤلاء نازلة من رب السماوات و الأرض بصائر «1» و إذ لا تبتصر أنت بهذه البصائر فلا بصر لك إذا و لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و الطوفان المذكورين في الثانية دون الأولى، ثم التوافق في سبعة اخرى. و من ثم بعض الآيات الخاصة ببني إسرائيل ليست الى فرعون و ملئه.

(1).

نور الثقلين 3: 230 ح 462 مجمع البيان و روي ان عليا (ع) قال‏ في «علمت» و اللّه ما علم عدو اللّه و لكن موسى هو الذي علم فقال: لقد علمت‏

أقول: هل كذب موسى او استند الى علم نفسه ف «علمت» بضم التاء، و استناد المناظر على المناظر بعلمه نفسه جهل، فهذه الرواية مختلقة مخالفة للقرآن كما و تعارضها اخرى في نفس المصدر ح 463

في تفسير علي بن ابراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 364

بصيرة «وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً» هالكا في بعدين من الأبصار، حيوانا في بصرك، و إنسانا في بصيرتك!.

يقول: «لأظنك» حال انه متيقن معلوم، رعاية لأدب المناظرة ألا يتجاوز الكلمة الفرعونية: «إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى‏» ظنا بظن، و لا يملك ظن فرعون حجة، و لموسى الحجة البالغة في يقينه و لكنه يعبر عنه بالظن معارضة بالمثل!.

و المثبور هو الهالك المدمر بجهله و جهالته تقصيرا، حيث غربت بصيرته و عزب عنه عقله، بما أهلكه طغيانه، و أنساه إنسانه.

و ترى لماذا «هؤلاء» و هي لمن يعقل؟ علّه لأنها بصائر للعقول، صادرة عن خالق العقول لمن يعقل.

ثم و سناد هؤلاء الى رب السماوات و الأرض تنبيه انها ليست لتصدر عن غيره، فأنت أنت يا فرعون تدعى‏ «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى‏» و لا تقدر على أصغر آية منها او تدفع عنها، فكيف تعطف بها الى سحر ام جنون، في حين ان العقلاء بأجمعهم لا يستطيعونها و لا أصغر آية منها، و حتى الأرضية فيها فضلا عن السماء! فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (103).

إرادة استفزازية فرعونية، فرارا عن الحجج الموسوية بالبصائر الإلهية، و لجوء إلى طغوى مادية هي سنة للطغات، حيث يواجهون الحجة العقلية بالقوة المادية اللّاعقلية ... فلانه ما استطاع استفزازا لحجته و صدا عاقلا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

«فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أراد ان يخرجهم من الأرض و قد علم فرعون و قومه ما انزل تلك الآيات الا اللّه عز و جل، و تؤيده الآية: و جحدوا بها و استيقنها أنفسهم ... بعد الآية:

فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 365

لمعجته، أراد أن يستفزهم من الأرض استئصالا عن الأرض كلها بقتلهم، او إخراجا عن أرض الفرعنة «فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً» دون إبقاء!:

«فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ. فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى‏ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. قالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ. فَأَوْحَيْنا إِلى‏ مُوسى‏ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ. وَ أَنْجَيْنا مُوسى‏ وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» (26: 67).

وَ قُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (104).

الأرض هذه هي ارض مصر كما استضعفوا فيه: «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» (28: 5) فالمستضعفون من بني إسرائيل سكنوا ارض مصر وراثة عن فرعون و ملئه، و لو كانت هي الأرض المقدسة لصرح بها، ثم و لا صلة بها لموقفهم إذ أغرق اللّه فرعون و جنوده في يمّ مصر «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ»: (عذابها لمن عصى) «جِئْنا بِكُمْ»: (أنتم و آل فرعون) «لفيفا»: خلطاء مع بعض دون ميزة قومية إلّا بأعمالكم.

و قد يعني‏ «وَعْدُ الْآخِرَةِ» هنا فيما يعنيه المرة الآخرة من مرتيهم كما في مفتتح الأسرى: «... فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» و الجيئة اللفيف- إذا- هي الجيئة السوداء لاسوداد في وجوههم اكثر و تبتيرهم بايدي القائم المؤمل (عجل اللّه فرجه) و أصحابه.

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً» (105).

هنا لك إنزال للقرآن و هناك نزول له يختلفان فعلية و فاعلية مهما اتفقا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 366

في الحق، ففاعلية الحق هي ان اللّه أنزله في حالة الحق حيث الحق مادته و كيانه و قوامه، و بسبب الحق و غايته ... فهل نزل كما انزل، دونما اصطدامه حين انزل بصدامات الشياطين امّن ذا، و دونما خطاء في منزله:

قلب الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و لا فيمن انزل به: الروح الأمين، و لا في مقامه في منزله الاوّل و سائر منازله حتى القيامة الكبرى؟

اجل‏ «وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ» و هنا لك فعليته فلا تجد فيه إلّا الحق، و لا في منازله إلا نزول الحق، و لا في غاياته إلّا الحق: «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (41: 42) «وَ ما أَرْسَلْناكَ» به‏ «إِلَّا مُبَشِّراً» ببشاراته «و نذيرا» بنذاراته دون ان تزيد فيه و لا ان تنقص عنه! فالحق إنزالا و نزولا سداه و لحمته، مادته و غايته، صورته و سيرته، قوامه و اهتمامه، و مكانه و مكانته بأحق ما يكون من معنى للحق، دون شوب للباطل فيه او نقص و نسخ يعتريه! وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى‏ مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا (106).

هنا لك قرآن غير مفروق هو النازل عليه ليلة القدر، و قرآن آخر مفروق هو النازل عليه طوال البعثة: «كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ».

فهذا الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يعيه محكما دونما فرق و لا مكث، و لكن الناس ليسوا ليعوه و يفهموه إلّا على مكث، بل و ليثبت قلب الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) على آياته البينات تطورا و تنورا: «قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا» (35: 32).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 367

فهنا لك فرق بين فرق القرآن للرسول تثبيتا لفؤاده ما وعاه محكما، و فرقه للمرسل إليهم ليعوه و من ثم تثبت عليه افئدتهم!.

ثم ان فرق القرآن له بعدان، بعد الألفاظ حيث فرقت في نجوم عدة عبر الرسالة، فصلا له في سور و آيات و ذلك بمنزلة فرق الشعر و هو تمييز بعضه عن بعض حتى يزول التباسه و يتخلص التفافه.

و فرق المعاني اي بيناه للناس بنصوع مصباحه و شدوخ أوضاحه حتى صار كمفرق الفرس في وضوح مخطّه، او كفرق الصبح في بيان منبلجه.

فمن واجب القراءة للقرآن ان يقرء على مكث و يرتل ترتيلا دونما استعجال، و لقد كان اصحاب النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) يتعلمون القرآن على مهل خمسا خمسا امّا زاد او نقص دون ان ينثروه نثر الدقل او يركموه ركم الركام!.

ثم من فرق اللفظ في القرآن كما أشرنا فرقه الصغير بالآيات ثم الكبير بالسور كما تذكر ان في عديد من الآيات، و أما الفرق بالركوعات و السجودات و الأجزاء امّا ذا مما اصطلح عليه القراء فلا اثر عنهما في القرآن.

صيغة السورة و السور نجدها في عشر، منزّلة (9: 64) تدريجيا، او منزلة (9: 86) دفعيا، و السور القرآنية لا تخلو عن إنزال او تنزيل و إن كان تنزيلها أكثر «1».

و لأن السورة و الآية من صنيع الوحي فعديدهما كذلك و حدودهما ايضا من الوحي، و مهما اختلفت القراء في عدد السور و الآيات فلا اختلاف في ألفاظ القرآن الموجودة بين الدفتين، و السور حسب الرسم المتواتر مائة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فالتنزيل في موردين ثانيهما «لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ» (47: 20) و الانزال في خمسة، و الثلاثة الباقية إتيان لها «قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» (10: 38).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 368

و اربع عشرة، و مهما اعتبرت سورتا الضحى و الم نشرح و سورتا الفيل و لإيلاف سورة واحدة، فهذه الوحدة حكمية و ليست واقعية.

ثم عديد الآيات، رغم الاختلافات الستة فيها «1» لا تضر بالحفاظ على كلمات القرآن و حروفه و هي محدودة دونما اختلاف.

و من أهم الخلافات بين الشيعة و السنة تحسب البسملات من السور و عدم تحسّبها حيث البون بينهما يصبح في 113- آية و ليس حسب الكتب القرآنى إلّا اختلافا صوريا، و كون البسملة آية في النمل يحتم كونها آية أينما كانت من السور!.

و مما لا يربيه شك ان ترتيب الآيات و السور كما الآن مثل تركيب السور و الآيات كل ذلك من الوحي دون تدخل من غير الوحي فان الكل من فرق القرآن‏ «قُرْآناً فَرَقْناهُ»! قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى‏ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً (107) وَ يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا (108). وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (109).

إن شرائط الايمان به لزاما حاصلة «قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا» أنتم الجدد في واجهة وحي الكتاب‏ «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ»: علم الوحي الكتاب و البشارة فيه بحق القرآن، أولئك يؤمنون به‏ «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» (6: 20) يعرفونه في بعدين اثنين، 1 فبالمقايسة بين الوحين وحي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). اختلفوا ان آياته ستة آلاف ام و مائتان و اربع ام و اربع عشرة، ام و تسع عشرة، ام و خمس و عشرون ام و ست و ثلاثون.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 369

القرآن يفوق سائر الوحي ام لا يقل عنه 2 و بما بشر بنزول القرآن كما في كتاب اشعياء «1».

و كما يعرفون محمدا (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» (2: 146) بنفس البعدين.

«إِذا يُتْلى‏ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً»: تخضعا له و تواضعا و احتراما، ليس في آيات السجدة فحسب، بل و القرآن كله، و هذه قضية الايمان الصادق.

و هذه ثالثة الآيات الدالة على وجوب الاستماع للقرآن ثانيتها كهذه:

«فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ» (84: 21) و أولاها: وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (7:) 204) و اقل السجود للقرآن استماعه إذا قرئ، و أكثره السجود للأذقان في استماع سائر القرآن‏ «وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً» و أوسطه واجب السجود عند استماع آيات السجود و هذه منها.

و لأن الخرور للأذقان سجود، فهو سائغ في الصلاة لمن لا يمكنه سواه‏ «2» و لعل «يخرون» الأول خرور الخضوع بالجوارح و الثاني خرور الخشوع بالجوانح، تدرجا من الجارح الى الجانح، حيث البكاء من مظاهر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

(2)

نور الثقلين 3: 331 ح 470 في تفسير علي بن ابراهيم حدثني أبي عن الصباح عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد اللّه (ع) قال: قلت له: رجل بين عينيه قرحة لا يستطيع ان يسجد عليها، قال: يسجد ما بين طرف شعره، فان لم يقدر سجد على حاجبه الأيمن فان لم يقدر فعلى حاجبه الأيسر فان لم يقدر فعلى ذقنه، قلت: على ذقنه؟ قال: نعم اما تقرء كتاب اللّه عز و جل‏ «وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ»؟

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 370

خشوع الجارح كما الخشوع يختص بالجانح!.

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى‏ وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا (110) «وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى‏ فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» (7: 180) «اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى‏» (20: 8) «هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى‏» (59: 24).

آيات اربع في سائر القرآن ان للّه تعالى الأسماء الحسنى فادعوه بها لا سواه، فهناك اسماء سيئة تختلق‏ «1» و اخرى حسنة تخلط بين صالح و سواه‏ «2» لا تناسب أيّ من هذه او تلك الساحة المقدسة الإلهية «فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ‏. إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» حيث يصفونه بالحسنى التي وصف بها.

و قد يلوح من‏ «أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ» أن أناسا كانوا معترضين على دعوة الرحمن كأنه غير اللّه فهذه ثنوية تنافي دين التوحيد و كما

يروى‏ ان الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) صلى بمكة ذات يوم فدعى اللّه فقال في دعائه «يا الله يا رحمن» فقال المشركون انظروا الى هذا الصابئ ينهانا ان ندعو إلهين؟ و هو يدعو إلهين؟ فانزل اللّه‏ «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ‏ الآية» و كان رجل باليمين يسمى رحمن‏ «3».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كالأسماء الخاصة بالمخلوقين مثل الآكل. الذاهب، الماشي، الخائف، الراجي أما ذا؟

(2) كالأسماء التي تجمع بين اللائق بذاته و غير اللائق ك «الواجب الوجود». الوجود المطلق مقابل الوجود المحدود حين يعنى منهما سنخ واحد في اعتقاد وحدة حقيقة الوجود.

(3) الدر المنثور 4: 306- اخرج ابن جرير و ابن مردويه عن ابن عباس قال: صلى‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 371

ان هؤلاء الحماقى خيل إليهم بطبيعتهم الشركية ان عدد الاسم دليل لعديد المسمى، على غفلة ان اسماء اللّه تعالى هي تحبيرات اللغات و تعبيرات شتى عن صفاته الذاتية و الفعلية دون تعديد في الذات او في حقيقة صفات الذات، او الذات و هذه الصفات، فانما هذه الأسماء الحسنى التي تناسب ساحة الالوهية تعبيرات حسنى عن ذات واحدة بحقيقة الوحدانية.

و الاسم- أيا كان- ما يدل على مسمى، فهو إذا غير المسمى، سواء أ كان لفظيا كأسماء اللّه الحسنى التي ندعوه بها، ام عينيا كسائر الكون فانها بذواتها تدل على خالقها، ام و خصوص الأولياء المكرمين و لا سيما اهل بيت الرسالة المحمدية (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) فإنهم من اسماء اللّه الحسنى ندعوه بها، ثم لا يكون لعديد الأسماء اللفظية عديد من معان في ذات اللّه، اللّهم إلّا اسماء الأفعال الدالة على عديد الأفعال، و هي حادثة بارادة اللّه تعالى، منفصلة عن ذاته و ليست في ذاته او عينها. و اما اسماء الصفات الذاتية كالعلم و الحياة و القدرة فهي تدل على حقيقة واحدة مجردة عن اي تركب دون حقائق هي عين الذات او عارضة على الذات! و هذه الثلاثة اركان لسائر أسمائه الحسنى‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

رسول اللّه (ص) ... و

فيه اخرج ابن جرير عن مكحول‏ ان النبي (ص) كان يتهجد بمكة ذات ليلة يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين فلما أصبح قال لأصحابه انظروا ما قال ابن أبي كبشة يزعم الليلة الرحمن الذي باليمن و كان باليمن رجل يقال له رحمن فنزلت الآية.

(1).

نور الثقلين 3: 233 ح 271 عن الكافي باسناده عن أبي عبد اللّه (ع) قال: ان اللّه تبارك و تعالى خلق اسما بالحروف غير مصوت و باللفظ غير منطبق و بالشخص غير مجسد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معا ليس‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 372

و ترى‏

«هل كان اللّه عز و جل عارفا بنفسه قبل ان يخلق الخلق؟

نعم! فهل يراها و يسمعها؟ ما كان محتاجا الى ذلك، لأنه لم يكن يسألها و لا يطلب منها، هو نفسه و نفسه هو، قدرته نافذة، فليس يحتاج ان يسمي نفسه، و لكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف فأوّل ما اختاره لنفسه‏ «الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» لأنه أعلى الأشياء كلها فمعناه اللّه و اسمه العلي العظيم هو اوّل أسمائه علا على كل شي‏ء»! «1».

فأسماء اللّه الحسنى بثلاثتها الأركان و سائر الفروع، انها ليست الا لحاجة الخلق لا لحاجته، و لا أنها تحكي عن عديد من الحقائق المختلفة في ذاته و حتى الثلاثة الأركان، اللهم إلّا ذاتا واحدة بحقيقة الوحدة، مجردة عن اي تركيب بأي معنى!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة اسماء لفاقة الخلق إليها، و حجب منها واحدا و هو الاسم المكنون و المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت، فالظاهر هو اللّه تبارك و تعالى، و سخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء اربعة اركان، فذلك اثنى عشر ركنا، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسما، فعلا منسوبا إليها فهو: الرحمن- الرحيم- الملك- القدوس- البارئ- الخالق- المصور- الحي- القيوم لا تأخذه سنة و لا نوم- العليم- الخبير- السميع- البصير- الحكيم- العزيز- الجبار- المتكبر- العلي- العظيم- المقتدر- القادر- السلام- المؤمن- المهيمن- المنشئ- البديع- الرفيع- الجليل- الكريم- الرازق- المحيى- المميت- الباعث- الوارث: فهذه الأسماء و ما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلثمائة و ستين اسما فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة و هذه الأسماء الثلاثة اركان و حجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة و ذلك قوله تعالى: قل ادعوا اللّه او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى.

(1). نور الثقلين 3: 233 ح 472 عن اصول الكافي باسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا (ع) هل كان اللّه ... أقول: فالسائل ابن سنان و المجيب الامام الرضا (ع) كما في المتن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 373

ف‏

«من عبد الله بالتوهم فقد كفر، و من عبد الاسم و لم يعبد المعنى فقد كفر، و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك، و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي يصف بها نفسه فعقد عليه قلبه و نطق به لسانه في سرائره و علانيته فأولئك هم المؤمنون حقا» «1».

فذات اللّه تعالى غير هذه الأسماء و هي غيرها «2» و انما هي تحبير اللغات عن الذات المقدسة بصفاته الذاتية و الفعلية.

«قُلِ ادْعُوا اللَّهَ» الاسم الأعظم الظاهر للذات المقدسة «أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ» أعم الأسماء الشاملة للرحمة الإلهية «أَيًّا ما تَدْعُوا» من أسماءه التي تعنيه وحده‏ «فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى‏» التي يدعى بها ... «وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ» إلحاد النكران او الشرك باللّه، إلحادا في مثلث الأسماء، ففي اللفظية كأن تختلق ما يعني معنى تحيد عنه ذاته او صفاته و أفعاله، من اسم ذات او صفة ذاتية او فعليه، و في العينية ان تتخذ آلهة من دون اللّه أو تشرك بها اللّه كالملائكة و النبيين أمن ذا من المقربين اليه، ام من الطواغيت.

و كذلك اعتبار صفاته- و حتى الذاتية- معاني زائدة على ذاته، او تعني منها مثل ما تعنيه من صفات غيره.

للّه اسماء لذاته تعالى فمن ظاهرها «اللّه» و من باطنها «هو» و اسماء

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في التوحيد للصدوق عن ابن رئاب عن غير واحد عن أبي عبد اللّه (ع) قال ...

(2)

في التوحيد مسندا و في الاحتجاج مرسلا عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد اللّه عن اسماء اللّه عن ذكره و اشتقاقها فقلت: اللّه مما هو مشتق؟ قال يا هشام اللّه مشتق من إله و إله يقتضي مأدها و الاسم غير المسمى-

و

ذكر مثل ما عن ابن رئاب الى ان قال-: فقلت زدني فقال: ان للّه تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسما فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلها و لكن اللّه معنى يدل عليه بهذه الأسماء و كلها غيره.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 374

لصفات ذاته و هي الحياة و العلم و القدرة، ثم أسماء لصفات فعله كسائر أسمائه الحسنى، و الإلحاد في شي‏ء منها لفظيا أو معنويا، كما في الإلحاد في الأسماء العينية المنفصلة كسائر الموجودات، او التي يوصف هو بها، فالإلحاد في كل ذلك محظور محظور! «1» و من الإلحاد في أسمائه تعالى المنهي عنه في آيته (7: 180) ان تتخذ معاني زائدة على ذاته، ام و لها مظاهر من خلقه هي مواليد تلكم الأسماء فتعبد من دون اللّه، و المناهي المؤكدة عن عبادة الاسم او مع المسمى أنها كفرا و شرك، لا تعني الأسماء اللفظية حيث لا يعبدها احد، و إنما تعني المعاني الزائدة على ذاته سبحانه ان تعبد هي او مظاهرها إلحادا او إشراكا- يجمعها «يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ»! إلحادا لفظيا او معنويا او عينيا «2».

فلا أن أسماءه معاني زائدة على ذاته سواء في ذلك الصفات الذاتية و الفعلية، و لا ان لها مظاهر تعبد، كل ما هنا لك تجير اللغات كما أسلفناه، او أسماء عينية هم أفاضل خلقه من رسله و أولياءه حيث يدعى اللّه بهم كما امر: «وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» دونما استقلال لهم في دعاءهم، و لا عبادتهم من دون اللّه!.

فاختلاق اسماء له تعالى قد يعني إلحادا في اسماء او اشراكا، فما التوحيد في أسمائه إلّا التي سمى بها نفسه المقدسة، و لأن أسماءه صفاته و «سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» فإنهم لا يصفونه إلّا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1، 2) من اللفظي ان تسميه بأسماء خاصة لخلقه سواء في اسم الذات أو صفة الذات أو صفة الفعل. و من العيني ان تظن أحد من خلقه انه إله في شريكه أو جزئه، و من المعنوي ان تعني مثلا من «العالم» علما كعلم خلقه، او تتصور له معنى أيا كان، او تنزهه عن ان تعلم معنى علمه و لكنك تظن أنه زائد على ذاته!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 375

بما وصف به نفسه، فأمثال العلة و الواجب و أضرابهما من اسماء فلسفية أمّا هيه؟ من اسماء غير مقتبسة من مشكاة الوحي كلها اسماء إلحادية مهما اختلفت دركاتها! و لسنا نعرف من أسمائه معاني ايجابية كالتي نألفها و نعرفها لأنه باين عن خلقه و خلقه باين منه، و انما نعني نفي مقابلاتها و هو تسبيح بالحمد فلا الحمد و التوصيف فقط، و لا التسبيح فقط، و انما تسبيح بالحمد يعني نفي المقابلات للصفات الثبوتية، و إذا فالصفات الإلهية كلها سلبية مهما اختلفت سلبية سالبة عن سلبية موجبة في تحبير اللغات.

... وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا.

الجهر و الإخفات و صفان متضايفان، أ ترى بعدهما مطلقا منهيان، و النتيجة ألّا تصلي أصلا، حيث القراءة لا تخلوا عن جهر ما أو إخفاف! ام المنهي عنه من الجهر أعلاه و من الإخفات أدناه؟ و هذا هو السبيل الوسط المأمور به‏ «وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا»! فلا سبيل وسطا في قراءة الصلاة إلّا عوانا بين عالي الجهر و داني الإخفات.

فالجهر المأمور به في جهرية الصلوات، و الإخفات المأمور به في إخفاتيتها هما في السبيل الوسط، جهر دون العال و إخفات فوق الدان، فقد يخفت لحدّ لا يسمع نفسه بأدنى اذن؟ فلا! او يجهر لحد يسمع البعيدين عنه في أعلى الجهر؟ فكذلك لا «1»، بل‏ «وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا» و

«المخافتة ما دون سمعك و الجهر ان ترفع صوتك شديدا» «2».

و لماذا الجهر العال في صلاتك؟ أ لتسمع ربك؟ و هو اقرب إليك من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

العياشي عن سليمان عن أبي عبد اللّه (ع) في الآية قال: الجهر بها رفع الصوت و المخافتة ما لم تسمع اذناك.

(2) نور الثقلين 3: 233 ح 476 في الكافي عن سماعه قال سألته عن قوله اللّه عز و جل‏ «وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها» قال ....

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 376

حبل الوريد: و «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى‏» ام تسمع المؤمنين معك؟ فلا عليك إلّا السبيل الوسط «1». ام و لتسمع الكافرين؟ و هم بسماعهم أو استماعهم يؤذونك! «2».

ثم و لماذا الإخفات الدان، لحد تحرم نفسك عن سماعه، و اقل السماع في صلاتك ان تسمع نفسك، ام تحرم الذين معك؟ فلما ذا و هم في صلاتك صامتون لا يقرءون، أ فحرمانا لهم عن قراءتهم و عن قراءتك؟، ف‏ «ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا» و إن كانت تختلف السبيل في جهريتها و أقلها إسماع من بجنبك، و في إخفاتها فلتسمع فيه نفسك دون جوهرية لصوتك لتسمع، و انما همس سمعه غيرك ام لم يسمع، و كما ثبت في السنة المقدسة الاسلامية.

و ترى ان الحكمة في ترك الجهر العال هي فقط التقية عن أذى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر ح 477 القمي عن عبد اللّه بن سنان قال‏ قلت لأبي عبد اللّه (ع): أعلى الامام ان يسمع من خلفه، و ان كثروا؟ قال: ليقرء قراءة وسطا يقول اللّه تبارك و تعالى: «وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها».

(2) تظافرت الرواية عن طريق الفريقين انه‏

«كان رسول اللّه (ص) إذا كان بمكة جهر بصوته فيعلم بمكانه المشركون فكانوا يؤذونه فأنزلت هذه الآية «نور الثقلين عن العياشي عن أبي جعفر و ابن عبد اللّه (ع).

و

في الدر المنثور 4: 206- اخرج سعيد بن منصور و احمد و البخاري و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن حابن و ابن مردويه و الطبراني و البيهقي في سننه عن ابن عباس في الآية قال: نزلت و رسول اللّه (ص) بمكة متوار فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن. و من أنزله و من جاء به فقال اللّه لنبيه (ص): وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ... أي بقرائتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، و لا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك و ابتغ بين ذلك سبيلا» يقول: بين الجهر و المخافتة

و

اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: كان النبي (ص) يجهر بالقراءة بمكة فيؤذي فانزل اللّه‏ «وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 377

المشركين، فلا نهي إذا فيما لا تقية، بل و فيه تعظيم شعائر اللّه، و لا سيما إذا أسمعت الصلاة بالسماعات و الإذاعات؟ علّه نعم! حيث الوارد في الروايات هو هي لا سواها! إذا فلا محظور في الجهر العال.

او ترى ان هناك حكمة اخرى على من يجهر علّ اللّه يسمعه اكثر و اوفى، فقضي على سنة الجهر العال لهذه و تلك لا وحدها «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى‏» (30: 7) «وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» (67: 13)، و لكنهما تلمحان بالتنديد لمن يجهر عاليا أم غير عال إسماعا لربه و هو في حد الكفر باللّه! و اما الجهر أيا كان لغرض إسماع المؤمنين دون تقية عن الكافرين، و لتعلوا كلمة اللّه و تعظم شعائر اللّه فلا منعة فيه حسب الآيات! اللهم إلّا ما تلمحه آية الأعراف: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ» (7: 205) و لكنما الأمر بهكذا ذكر ليس نهيا عن الجهر، و المنهي عنه في آيتنا هو الجهر العال لا مطلق الجهر، إذا فالجهر الذي لا يخرج المصلى عن حالة الصلاة ممنوح، اللهم إلا الطوارئ تقية إمّا ذا فممنوع.

وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً (111).

«و قل» في نفسك و جهرا، إظهارا لهذه الحقيقية و اجهارا «الْحَمْدُ لِلَّهِ» كل الحمد مني و من كل حامد «الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً» بأي معنى من الولادة، حقيقية و تشريفية. لا فقط انه‏ «لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً» بعد الأزل، بل‏ «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ» منذ الأزل اللّااول، ولدا و غير ولد، و لماذا شريك في الملك؟ أ لعجز عن ملكه، ام ذلك في وحدته؟ «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ» منذ الأزل اللّااوّل‏ «وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً» في نفسك توحيدا ناصعا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏17، ص: 378

خالصا، و في الآخرين الذين صغروه باتخاذ ولد ام شريك في الملك او ولي من الذّل «تكبيرا» يجتث جذور الإشراك عن بكرتها، و يبلور التوحيد عن كل شائبة آئبة من مختلقيها.